جامعة وهران 2
كلية العلوم الاجتماعية

مذكرة
لنيل شهادة الماجستير
في علم الاجتماع الثقافي

الجامعة ومعضلة إنتاج الطالب المثقف

-دراسة ميدانية لطلبة ماستير علم الاجتماع السياسي بجامعة سيدي بلعباس أنموذجا-

إعداد الطالب:
صلاي كمال

إشراف الأستاذ:
أ.د لقجع عبد القادر

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبـــة	الصفـــــة	مؤسسة الانتماء
الزاوي مصطفى	أستاذ محاضر أ	رئيـــــسا	جامعة وهران2
لقجع عبد القادر	أستاذ	مقررا	جامعة وهران2
مرضي مصطفى	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة وهران2
شارب دليلة	أستاذة محاضرة أ	مناقشا	جامعة وهران2

السنة الجامعية: 2016/2015

كلمة شكر

نشكر الله العلي القدير الذي أنعم علينا بنعمة العقل والدين. القائل في محكم التنزيل" **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ "سورة يوسف آية 76 ....**صدق الله العظيم.
وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :**(من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه) ...."**رواه أبو داوود".

ونثني ثناء حسنا على روح الفقيد **:"جمال غريد"** رحمه الله ،الأستاذ المثل في العلم والنزاهة والتواضع ،والذي كان له فضل كبير في نجاحاتنا ،وشاءت الأقدار أن يأخذه الله -جل وعلا- ،قبل أن يرى آخر دفعاته وهي تجني ثمارها.

وأيضا وفاءً وتقديراً وإعترافاً منَا بالجميل ،تقدَم أسمى آيات الشكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف **:"لقجع عبد القادر"** ،الذي صاحبنا في إنجاز هذا البحث بتوجيهاته ونصائحه الارشادية في مواجهة مصاعب العلوم والمعارف.

وقبل أن نمضي نتوجه بتشكراتنا السامية إلى الأساتذة الأفاضل ،الذين أشرفوا على تدريسنا وتنويرنا بأفكارهم ،ومناهجهم العلمية الخصبة ضمن مشروع **"ثقافات ومجتمعات"** ،والذين علمونا حس السوسيولوجيا بالنقد العسير والعلم الغزير.

كما لا يفوتنا أن نتقدَم بجزيل الشكر إلى الأستاذ **:"بوعناني إبراهيم"** ،الذي مدَ لنا يد العون منذ دخولنا في غمار هذا العمل بمساعداته على تجميع المادة البحثية ،وإلى الأستاذة **:"دنَاف أسماء"** التي ساعدتني كثيرا وتقاسمت معي انشغالات هذا البحث ، ،وكل من أفادنا وساعدنا من قريب أو من بعيد بلمساته العلمية والمعنوية.

في الختام نشكر أعضاء اللجنة العلمية الموقَرة ،الذين قبلوا عنا مناقشة هذا العمل المتواضع.

الإهداء

بكل تواضع أهدي ثمرة جهدي في هذا العمل

إلى خير الأمهات و نعم الآباء.

إلى أحبائي في الله و جميع الأصدقاء والزملاء.

إلى كل من قدر العلم و اقتدى بالعلماء.

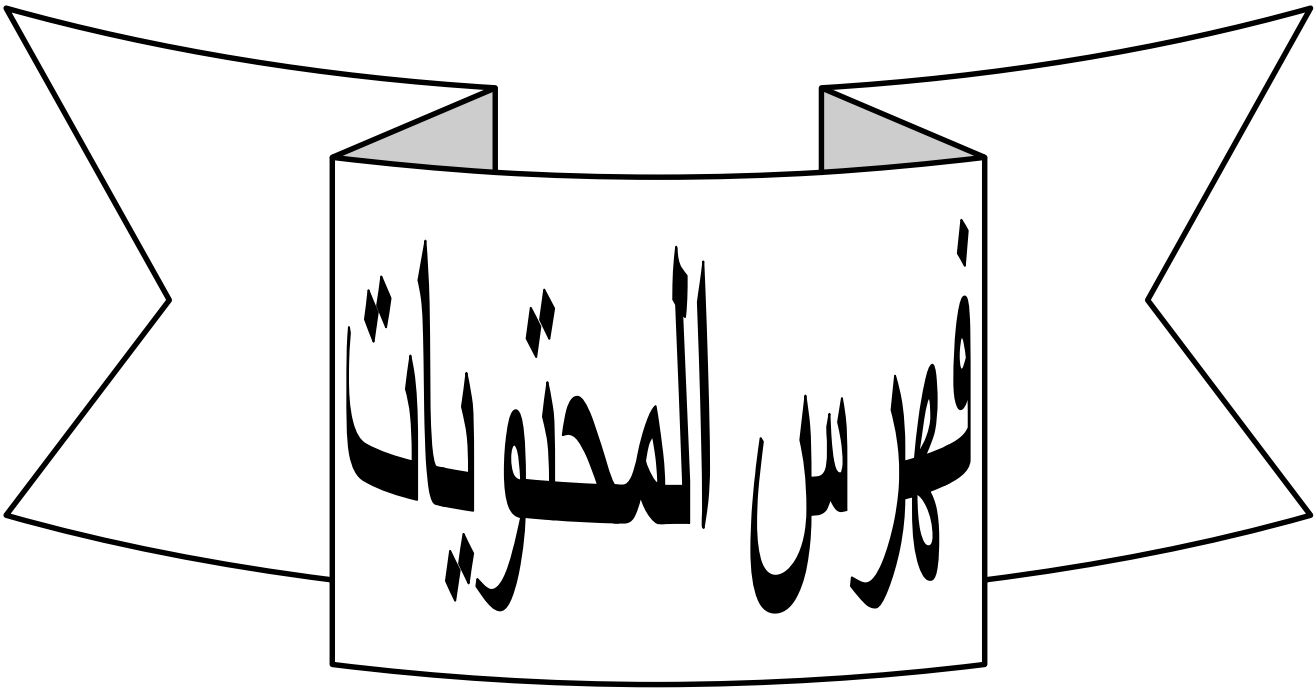
فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المقدمـة العامة	**أ-ب-ج-د**
الفصل الأول: الإطار النظري والإجراءات المنهجية للدراسة.	**▪**
• **تمهيد**	**06**
I. الإطار النظري للدراسة	**07**
1- الإشكالية	**07**
2- الدراسات السابقة -عرض وتعقيب-	**11**
3- الفرضية	**20**
4- أهمية الدراسة	**24**
5- دوافع اختيار الموضوع	**25**
6- أهداف الدراسة	**28**
7- المقاربة النظرية	**29**
8- السياق المفاهيمي للدراسة	**33**
II. الإجراءات المنهجية للدراسة	**38**
1- مجالات الدراسة	**38**
2- منهج البحث	**41**
3- تقنيات جمع البيانات	**43**
• **خاتمة**	**45**
الفصل الثاني: طبيعة الجزئيات العلائقية للتثاقف داخل الفضاء الجامعي.	**▪**
• **تمهيد**	**47**
1- خصوصية البيئة الجامعية كفضاء للعملية التثاقفية	**48**
أ- صدمة الجديد داخل النمط التقليدي	**50**
ب-صدمة المعرفة في ميزان الأدلوجة	**52**
ج- صدمة الانفتاح أو انعدام الطابع العمومي	**55**
2- كينونة الموقع الجامعي لفواعل التثاقف	**58**

أ- تناظر المحور والهامش	61
ب- ثنائية مالك الحقيقة ومستهلك الخطاب	65
3- محددات الفعل الممارساتي في المشاركة التثاقفية	69
أ- أسلوب التلقين: من النقد المؤسس إلى الجهل المقدس	73
ب- أسلوب الترميق: بين التحفيز والتدليس	78
4- ماهية الآليات التداولية للتثاقف الجامعي	84
أ- دافعية الأستاذ للتقويم: من عقلانية التكافؤ إلى منطق المحاباة	89
ب- دافعية الطالب للتقويم: بين النزعة الإنتاجية والعقل الريعي	93
• خاتمة	97
الفصل الثالث: إنتاجات اللاتثاقف البنيوية في الحقل الجامعي ودلالاتها	▪
• تمهيد	100
1- نموذج الحقل الجامعي المجهض أو البديل الشائع	101
أ- أسطرة التحديث والتشبع بالنكوصية	105
ب- الخرافة العددية وواقعية التذَيل العلمي والتنموي	112
ج- دمقرطة التعليم ودكترة المخيال الأكاديمي	119
2- نموذج الهوية الجامعية وصراع الأضداد الرَمزية	127
أ-السلطة الرمزية المركزية	133
ب- السلطة الرمزية الأبوية	140
ج- السلطة الرمزية القبلية	145
• خاتمة	152
الفصل الرابع: المولَدات الدينامية لأزمة المثاقفة الجامعية ومسلَماتها	▪
• تمهيد	155
1- نموذج النخبة الجامعية: من أنوميا الدور إلى مشروع إعادة الإنتاج	156
أ- نخبوية الأستاذ الجامعي على ضوء إرهاصات تاريخانية المثقف	161

1. الأستاذ الجامعي المستلب وعقدة الاستقلالية	167
2. الأستاذ الجامعي المغترب وعقدة الحضور	172
ب- قاعدة الأستاذ الجامعي الشائع على ضوء استراتيجية العدد	178
2- نموذج العلاقات الجامعية في ظل النسيج التقليدي للمجتمع	183
أ- العلاقات الشخصانية كتجسيد لقيم العصبية	187
1. العلاقة القرابية: من العائلة الطبيعية إلى العائلة الجامعية	190
2. العلاقة العشائرية المستحدثة أو الرابطة الجهوية	194
3. العلاقة التكتَلية لتوسيع دائرة النفوذ الرمزي	198
ب- العلاقات الزبونية كتجسيد لدعائم الندرة	201
• خاتمة	208
الخاتمـــة العامة	211
المصادر والمراجع	218
الملاحق	▪

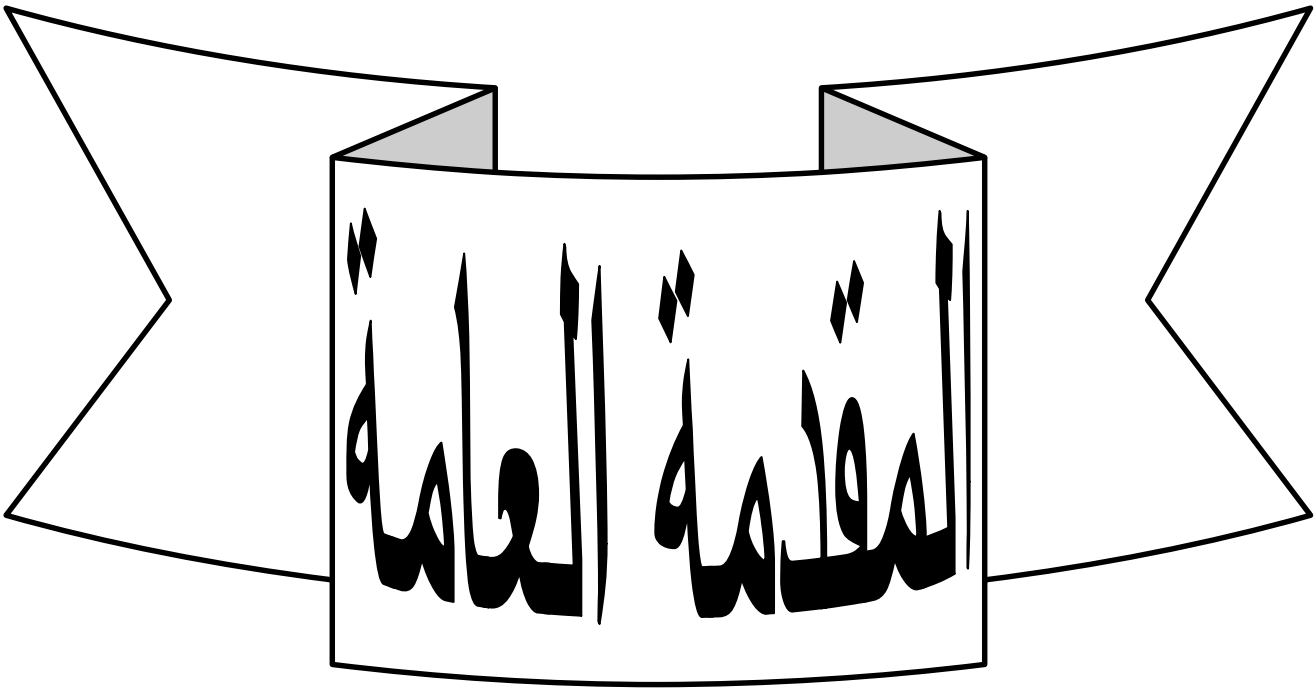
المقدمة العامة

المقدمة العامة:

إن ذروة التعقيد التي شهدتها وتشهدها المجتمعات الإنسانية على مر الأزمة ،في ظل تحوَلاتها النسقية –وفق المنظور التطوري للمجتمع والدَولة- من بنياتها البسيطة ،التي تجسَدت في مرئيات التجمَعات الأسرية والعشائرية والقبلية ،..الخ بمدلولات بدائية ،لتنتقل إلى أشكالها المركبة ،التي تأسَست على نهجها الدَول والأمم والحضارات ،..الخ ،ومن نزعاتها الثقافية المجافية لتعدد الثقافات ،والمستعدية لتنوَع العصبيَات ،إلى اعتباراتها الانفتاحية الجامعة للأفكار ،والمستقطبة لتشعب المرجعيات والانتماءات ،قد استهلت تبييئاتها الحديثة من باب العمل الاستراتيجي ،المؤسس على الاستثمار المنطقي في مختبرات العقل البشري ،الذي ألزمته معطيات التاريخ باستيعاب شتَى العقلانيات المتضاربة ،واللوغوسيات المتناصَة في سياقاتها المعرفية ،والمتباينة في أطرها الاجتماعية ،وذلك من خلال تبنَيها المشروع الأنسني ،عبر منظوماتها القيمية ومقاييسها المعيارية على حد سواء ،بحكم أنَ الحقيقة العلمية والمجتمعية التي لا يمكننا القفز عليها ،تسلَم أبجديَاتها على أن اتخاذ موقف الأنسنة لدى هذه العمرانيات البشريَة ،قد ترتَب عنها شساعة الآفاق من حوار الذَهنيات إلى حوار الإنسانيَات ،ومن حوار الثقافات إلى حوار المجتمعات ،ومن حوار الأديان إلى حوار الحضارات ،..الخ.

هذه الطفرة النَوعية التي ساهمت في إيضاح ملابسات التأثير والتَأثر ،بين ثنائية الثقافات والمجتمعات داخل العمران البشري الواحد ،من فكرة التأسيس التعاقدي لمرتكزاتها ،والبناء الموضوعي لمعارفها ،والتجسير العمومي لفضاءاتها ،لم تجعل من شبكة علاقاتها الطَردية ،إلا حجر أساس لتطبيق المدارات الابستيمولوجية للإطار المؤسساتي الخاص بمزايا الأنسنة إجرائيا ،وهكذا بدت صورة انصهار الثقافات وتلاحمها على المستوى الفكري ،تمهَد لتكوين اللبنات الجوهرية لمؤسسات المجتمع الجديد ،لتخلق دينامية هذه الدواليب المؤسساتية بدورها ،نموذج الفاعل الثقافي الأكثر عقلانية والأشد نقدا لكل ما هو متداول ضمنيا ،فإذا كانت هذه الوتيرة النموذجية للتحيينات الأنسنية ،قد تتراءى لدينا في المجتمعات الغربية من طابعها الفرداني إلى نمطها الكلياني ،ومن شكلها التحضَري إلى عمقها الحضاري على أكثر

من صعيد ،فإن مأزق الفكر والواقع العربيين ،وعلى ضوء هذه الاستقراءات العلمية ،لا ضير إذا ما استوقف القارئ العربي عند موضع التساؤل حول: هل من مشروع أنسني يمكننا التماسه في الثقافة والمجتمع العربيين؟ ،ولعل الإسناد الذي يمكّننا من التَنقيب عن خبايا هذه المسائل ،لاسيما في الحالة الجزائرية على وجه الخصوص ،لا يستطيع أن يعود بنتائجه العملية إلا من خلال التَأشير على الطابع المؤسَساتي ،الذي تتجلى عبره هذه النَمذجة ،وكذا على مستوى المخزونات الذَهنية التي تنتجها رؤاها الفكرية ومناهجها العلمية ،والتي لا تستدلَ إجرائياتها إلا في صورة المؤسسات التَربوية ،والمنظَمات المعرفية بشيء من الدَقة.

وممَا سيدفعنا إلى الغوص في ثنايا هذه الحراكات ،هي تلك المهام المنوطة بالجامعة في الجزائر ،ومكانة الموقف الأنسني داخل محتوياتها ،لطالما أن ميلاد الجامعة بين جدلية الثقافات والمجتمعات ،لازالت كوابحها الممارساتية تعيش الانغلاق في الجزائر ،بين التراث والحداثة ،بين المحلي والكوني ،وبين الكمي والنوعي ،..الخ ،لاسيما وأن التراكمات التاريخية المترصدة في المجتمع الجزائري ،لم تجمع تفريعاتها الجزئية لا على مفهوم الرمز الثقافي –وعندما حاولت ذلك وقعت في لبس الشرعية والمشروعية- ،ولا على مفهوم المشروع المجتمعي –الذي كانت أولى تجاربه هي عملية استنساخية لنماذج مجتمعية غير مشتركة في الخصوصيات- ؛وعلى هذا الأساس ،فإن الزامية تشريح الواقع الاجتماعي والمعرفي للجامعة اليوم ،هو في واقع الحال ،محاولة لخط خطوة تقدَمية في ترميز أهم مؤشَرات الإجابة المفصلية لجل الطابوهات والمواضيع العالقة ،التي ما انفك العقل الجزائري يطرح تساؤلاته المستمرة حولها ،وحتَى لا نلج في تخمينات الفهم التي تجعل من الممكنات الذَهنية على أنَها حقيقة ،فإن ضرورة ابراز واقع الحقل الأكاديمي للجامعة الجزائرية ،هو اثبات على أن مطلقية التصوَر والتَماهي مع مطلب المطابقة الجذرية للوعي المؤدلج ضمنيا والمزيَف مركزيا ،قد اتحتمت عليه مصائر التاريخ بمنأى عن طبائع المجتمعات وسمات الثقافات ،إلى فعل التثوير بدل فعل التنوير ،وظلَت قابعة على مثل التمجيد بدل محاجات التجديد.

فرصدا لهذه المنعطفات الكبرى بمسار التاريخانية ،التي لم تسعى إلى البحث عن مخارج لأزمات واقعية بدلا من النزوع إلى اليتوبيات ،ذلك أن حاجة المتسائل في شأن الثقافة اليوم ،ما فتئت منطوية على مأزق فهم الذَات الجزائرية؟ ،وإشكاليات التغيير الفجائي في الذهنية الجزائرية؟ وكيف تبدو تركيبة العقل الجزائري سيكولوجيا وسوسيولوجيا؟ ..الخ ،لا يمكننا الإقرار بتقديم الإيحاءات السطحية أو الردود الآنية المباشرة حولها ،سواء من القارئ أو من الدارس لمستجدات الشأن العام ،إلا بالتأكيد أن التغيير يبدأ من الواقع وليس من الحلم ،وينطلق من الاستعدادات الذاتية وليس من الإتكاليات الجماعية المتشنجة ،ولهذا يبدو لنا جليا أن مهمة التعمق في معضلات الجامعة في إنتاج الطاقات البشرية الفاعلة في المجتمع وتحريك الذهنيات الثقافية الخصبة في المعرفة ،ستتضح معطياتها الأولية من منطلق الصورة النمطية التي يشكلها الفاعلين بها داخليا ،فإذا كانت آية العديد من الباحثين تلزم أن للجامعة مهمة موكلة في ربط المتخرَج نظريا ،بمتغيَرات سوق العمل تطبيقيا ،فإن حد الإنتاج الجامعي من منظور ثقافوي ،يأخذ منحى يقترن بدرجات التفاعل وكيفيات التواصل مع وقائع المجتمع ،التي سبق أن مهَدتها رمزيات العلاقة داخل الحقل ذاته ،ذلك أن تقلص المجال الحيوي للذَات الجامعية بين قوى المجتمع والثقافة ،الذين تعيش فيهما/بهما ،بدَل اليوم معادلات الزمان والمكان أيَما تبدَل ،بعد أن دخلت فيها متغيَرات البحث عن النموذج في حيثيات البناء الحضاري ،وكينونتها على مستوى الواقع ،لطالما أن معيقات التحليل العلمي لهذه التراكيب ،في حقول "الإنسانيات والاجتماعيات" وجيراتها ،ما برحت تركز معارفها في استيعاب الظواهر والمشكلات المجتمعية المتمخضة عنها ،في عولبة الاقتراب الآني –ما هو كائن- ،بشكل منقطع عن بداياته التاريخية حدثية كانت أو وقائعية (وفق تقسيمات ابن خلدون لعلم التاريخ) ،كما أظهرت قصورها عن الرؤى الاستشرافية ودراساتها المستقبلية ،التي تستصيغ امتدادات ومآلات هذه الظواهر والمشكلات بنقديات أكثر موضوعية.

وعلى هذا النحو ،تتناول دراستنا العلمية الموسومة بـ:"الجامعة ومعضلة إنتاج الطالب المثقف في الجزائر" والتي حصرناها في كلية العلوم الاجتماعية لجامعة جيلالي اليابس بسيدي بلعباس ،جانبا مهما من هذه السرديات المفصلة آنفا ،لتجيب من منطلقات علمية على

لب التساؤلات المحورية ،التي ستطرحها مرحليات التحليل السوسيولوجي من جهة ،والتي ستتبادر لدى القارئ في أولى اطلاعاته من جهة أخرى ،وللإلمام بجوانب الموضوع وأبعاده ،تم تقسيم محتويات هذا العمل البحثي إلى أربعة فصول ،أين استهلينا **الفصل الأول** بالإطار التمهيدي للدراسة والتي فصلنا فيها الجانب التنظيري لظاهرة الجامعة في الجزائر ،حيث حددنا فيها مستويات الإشكالية الجوهرية بمجمل استقراءاتها واستطلاعاتها الأولية ،وحاولنا تقديم الافتراض العلمي الذي بنى طبيعة المقاربات النظرية ،التي تعكس مفاهيمها الابستيمولوجية بنوع من الأجرأة الامبريقية ،وهو ما مهد لتسطير الاجراءات المنهجية لهذا البحث ،من خلال تأطير المجالات الزمكانية والبشرية للمجتمع الاحصائي ،ناهيك عن استظهارنا لسياقات المنهج المعتمد بأدواته التقنية في جمع البيانات ،ومن هنا ،كان **الفصل الثاني** عبارة عن رحلة كشفية عن مواطن وضمنيات الظاهرة المدروسة ،والذي عنوناه "بطبيعة الجزئيات العلائقية للتثاقف داخل الفضاء الجامعي" ،حيث تضمن في ثناياه خصوصيات البيئة الجامعية والموقع الأكاديمي الذي يميَز فاعليه وكذا الفعل الممارساتي المسير لمنطق التشاركية والآليات التي يشتغل بها على مستوى لغة التداول فيما بينها ،وراحت سرديات **الفصل الثالث** تجوب خبايا المحذور الميكروسوسيولوجي والغموض السانكروأنثربولوجي ،لتكشف إنبناء البنيات البانية للرواسب البيدولوجية على البراديغمات العلمية والتأسيسات الابيستيمولوجية للمجتمع الجامعي والذي حددناه بالنقديات التحليلية في صورة "إنتاجات اللاتثاقف البنيوية في الحقل الجامعي ودلالاتها" ،حيث حمل هذا الشق البحثي نموذجين من البنيويات الجامعية تمثلت الأولى في نموذج الحقل الجامعي وتلويناته ،وتمظهرت الثانية في نموذج الهويات الجامعية المتضاربة في رمزياتها ،أما **الفصل الرابع** والذي أسميناه "بالمولدات الدينامية لأزمة المثاقفة الجامعية ومسلماتها" ،فقد كان عبارة عن الوجهة الثانية نمطية الانتاجات البنيوية ،إلا أن المختلف فيها تجسد في عمقها الدينامي التكوني لأزمة التثاقف في الجامعة والذي فصلنا فيه هو الآخر نموذجين من المولدات الحراكية أين اقتصرت أبجدياتها من نموذج النخبة الجامعية وكيفيات اشتغالها إلى نموذج العلاقات الجامعية وأشكال استثماراتها ،وفي الأخير استخلصنا عمل هذا **بخاتمة عامة** ،حاولنا أن نطرح فيها جل النتائج المتوصل إليها في هذا التحليل مع تقديم أسئلة جديدة.

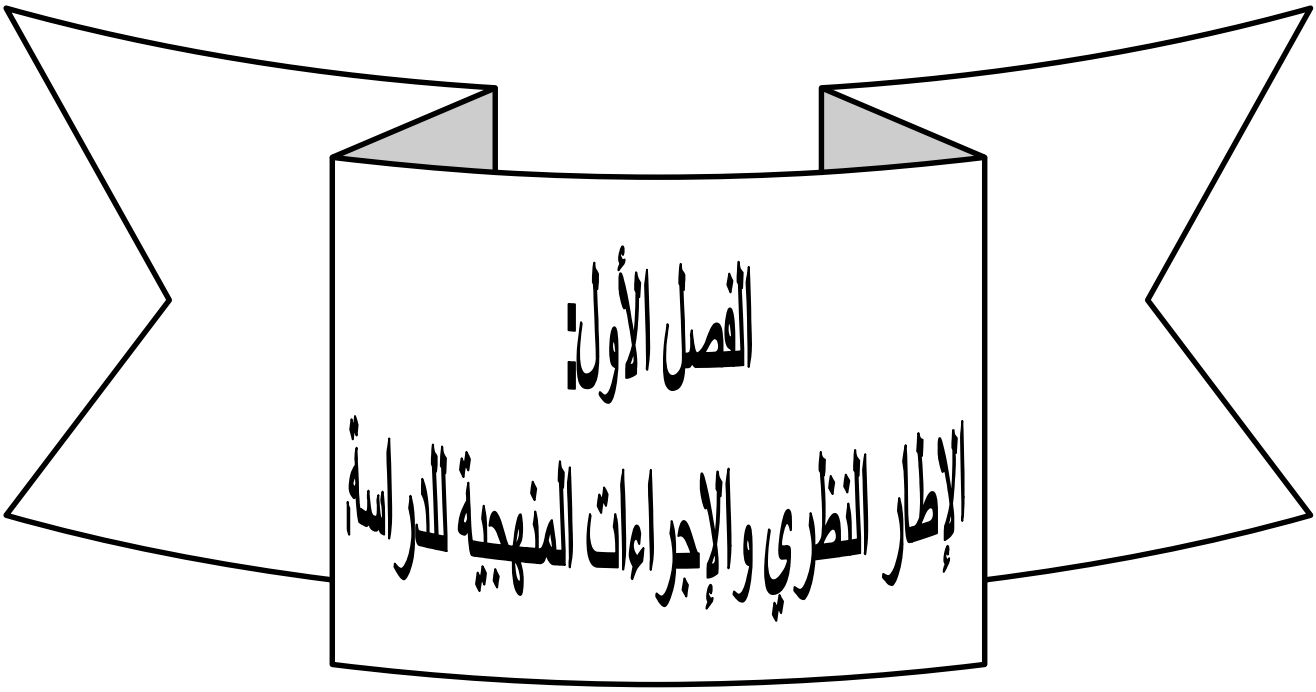
الفصل الأول:
الإطار النظري والإجراءات المنهجية للدراسة

- **تمهيد:**

يعد البعد الاختصاصي في تحليل المشكلة الإنسانية وتفسير الظاهرة المجتمعية ،على اختلاف مجالاتها وميادينها المتفرعة ،جانبا محوريا في استنباط تاريخانيتها ،واستخلاص راهنيتها ،واستشراف مستقبلياتها ،بالقدر الذي يدفع بالباحث العلمي إلى استعمال المناهج والآليات الأكاديمية المحضى ،والتشبع بالحس المعرفي المناسب الذي يحمل مميزات الدقة والموضوعية بشكل خاص. ونظرا لما وصلت إليه الظاهرة الاجتماعية من تعقيد ،فإن أوجه دراستها ومنطلقات البحث فيها ،هي متعددة المنابر ومتنوعة المسائل على أكثر من صعيد ،ولعل إشكالية التعمق في إيضاح معضلة إنتاج الطالب المثقف في الجامعة الجزائرية ،على سبيل الحصر ،وما تتضمنه من تأصيل فكري وتاريخي وأنثربولوجي ،وتحليل اجتماعي ونفساني ،وتعليل تقني وتنموي ،وتدليل استراتيجي وسياسي ،هو في الحقيقة انشغال مفصلي لابد أن يوليه الباحث قبل القارئ اهتماما واسعا ،لاسيما وأن التساؤل الأولي الذي يمكن أن يطرح في هذا السياق مفاده :ما هي الأسس المعرفية التي يفترض اعتمادها في تأطير مداخل ومضامين هذه الدراسة العلمية؟ وما هي الركائز الابستيمولوجية التي يجب الاقتصار عليها في فهم وتحديد زاوية هذا الاستشكال؟.

وعلى مبنى هذا الطرح ،تنبع عملية تحليلنا لهذه المشكلة البحثية من سجال الحقل السوسيولوجي ،الذي يختص باستبيان المخفي والمنسي وغير المصرح به في ثنايا هذه الظاهرة ،وذلك من خلال التحصيلات التمهيدية التي تعرض فيها الأدبيات السوسيولوجية النظرية بشتى جوانبها الكليانية والجزئية ،وهو ما ارتأينا إلى الوقوف عليه في هذا الفصل المنهجي ،الذي سنستحضر فيه الإطار النظري والإجراءات العملية المنتهجة في المراحل التحليلية لهذه الدراسة.

I. الإطار النظري للدراسة:

1- الإشكالية:

على ضوء تطورات المنطقة وتحولاتها المتسارعة في الآونة الأخيرة ،وفي ظل التغيرات الثقافية والاجتماعية التي شهدتها وتشهدها المجتمعات العربية ،سواء كانت هذه المجابهات على مستوى الذهنيات الفردية، أم ضمن التفاعلات الجماعية ،أو حتى في صورة الهياكل والمؤسسات الحديثة منها والتقليدية ،باعتبارها البيئة المحركة للفاعلين فيها ،طرحت مسألة التغيير داخل هذا الثالوث من الأبنية ،عدة تساؤلات تضاربت حولها أفكار الفئات الاجتماعية بمختلف شرائحها ،تمثلت مضامينها في كيفية إحداث هذه العملية على مستوى أرض الواقع؟ لاسيما وأن الإشكال الجوهري في هذه المسألة ،انطوى أساسا في فكرة من يقود هذا التغيير في سبيل مواكبة هذا العصر الذي لطالما تخلفت عنه هذه الشعوب منذ أمد بعيد ؟ حيث باتت مجمل الإسهامات التي تسعى إلى فهم طبيعة ونمطية هذا الشكل من الحراك ،متباينة المعالم والزوايا في وجهيها الخاص والعام ،والذي تمظهر بصورة أدق في ميزة الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للمجتمعات ،التي تحكمها مجموعة قواعد وشروط أنثربولوجية وتاريخية ،تختلف من مجتمع إلى آخر ،ومن ثقافة إلى ثقافة مغايرة ،إذ ارتكزت مهمة المشتغلين عليها في برهنة وتبيان :ماهية الأسس والمرتكزات المعرفية والمجتمعية التي يمكن أن تحقق التعايش المتنوع والمتعدد في علاقة الفرد بالآخر؟.

فعلى اختلاف الرؤى و النظريات المفسرة لفواعل التغيير ،لاسيما نظرية دور النخبة في هذه النقلة النوعية على وجه الخصوص ،قد شكلت قضية المثقف والصفوة ،بمثابتهما المحرك الفعال لعجلة التطور والنهوض الثقافي للمجتمعات ،إحدى أهم المواضيع العلمية التي عادت إلى الساحة الثقافية والفكرية ،خاصة وأن الكثير من المجتمعات أصبحت تقر بأن قوة الأمم لا تقاس ،إلا من خلال معاييرها التعليمية ومستوى انتاجاتها المعرفية ،وقدرة شعوبها على الابتكار والإبداع ،نظرا لكون أن المفهوم المتداول حديثا للنخبة لم يعد مقتصرا على جانبيها الثقافي والفكري ،وإنما بات يغطي أبعادا سياسية واجتماعية واقتصادية ..ومن

ثم تصبح النخبة المثقفة ،هي تلك التي تمتلك ثقافة عضوية وظيفية ،تهتم بالواقع وتتمحص في اللامتوقع وتسلط الضوء على اللامفكر فيه،فتصنع أرضية التغيير وفاعليته بل وتضعه على رأس اهتماماتها ،وفي أعلى سلم أجندتها وأولوياتها داخل المجتمع ،هو الأمر الذي دفع بالعديد من الدارسين ،الى إعادة النظر في طبيعة المنظومة التربوية في الجزائر ،لاسيما الفضاء الجامعي على وجه التحديد ،بما أن الجامعة هي أهم صرح للتعلم والبحث والتطوير وإنتاج القدرات العلمية للأمة .

وعلى اعتبار أن موضوع المثقف داخل الوسط الجامعي ،قد يعيدنا للتعمق في صفة الطالب بهذه المنظومة التي يعتبر أحد منتجاتها ،يكاد يقر الكثير من الباحثين على أن الجامعة الجزائرية ،قد حققت العنصر الكمي والعددي للطلبة ،وتناست مقابل ذلك كل ما له صلة بالنوع المعرفي والإبداع الثقافي ،ناهيك على أن الثقافة تعتبر الحصن المنيع والمحرك لدى أي اجتماع بشري أو أي فرد في المجتمع ،نظرا لكونها الركيزة الأساسية في تطوير قدرات الإنسان وتوجيهها نحو التقدم وبناء الحضارة ،وبالتالي فإنها كظاهرة اجتماعية ـ نفسية تحتل مكانها في عقول الأفراد ،ولا تجد تعبيرا عن نفسها إلا عن طريق الأفراد ،فهي تختلف عن الشخصية الفردية من عدة نواحي ،فإذا كانت الثقافة تزود الفرد معظم المفاهيم التي تصلح أساسا لنشاطاته العقلية ،فان عمليات التفكير والاستدلال العقلية هي عمليات فردية لا ثقافية ،وبالعكس ،فان تعلق أفراد كثيرين بثقافة ما يعزز من أفكارها وقيمها عند كل منهم ،كما يكسبهم صفات تسمو على الفردية[1]. ومن ثم بات من الضروري إيضاح البعد الثقافي للمؤسسة التربوية والتعليمية ،كبنية أساسية في فهم شبكة العلاقات الاجتماعية ومدى استيعابها للفرد والمجتمع ،فإذا كان الإصلاح التربوي الذي شهدته الجزائر مطلع السبعينيات ،دفع بالجامعة إلى تشكيل ما يسمى بالنخبة الفاعلة في المجتمع ،فإن هذه الطفرة قد خلفت فجوة عميقة وعقيمة بين الجامعة والمجتمع ،من حيث الطبيعة الانثربولوجية والخصوصية الثقافية التقليدية ،التي كان عليها المجتمع الجزائري آنذاك ،وهو الأمر الذي يعبر عنه الباحث الاجتماعي **"جمال غريد"** (بالثنائية الثقافية

1- محمد السويدي ،مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،ط1 ،الجزائر ،1991 ،ص33.

وانعكاساتها)*،حيث أن هذا النهج من الإصلاح لم يراعي البنية القاعدية للمجتمع الجزائري ثقافيا واجتماعيا ،وباتت الجامعة كحقل للمعرفة متقدمة زمنيا على المجتمع، مما أدى بكل هذه العوامل إلى إفراز تراجع مستمر للدور الفعال ،الذي يكتسي الطالب الجامعي نتاجا للمتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ،التي عايشتها الجزائر مع ما سمي بانفجار أكتوبر 1988 ،حيث يفسرها الأستاذ **"غريد"** أنها حدثت من منطلق فشل عملية الزرع ،التي فرضت نظريا وعمليا على المجتمع الجزائري[1] ؛فمن هذا المنطلق بقي انشغال المهتمين بهذه الظاهرة يطرح بإلحاح:هل للثنائية الثقافية واقع جديد في يومنا هذا ما فتئت تتغذى منه أم أنها زالت مع هذا الحدث التاريخي؟ .

وعليه فان مسألة البناء الحضاري والمؤسساتي ،الذي تعمل عليه الدولة الجزائرية حديثا ،لاسيما من خلال إنفاقها لأموال طائلة على قطاع التربية والتعليم العالي والبحث العلمي ،وتوظيف خطاباتها السياسية المتعددة في الكثير من المناسبات ،وغيرها من الخرجات الإعلامية ...،قد أدى بالكثير من الدارسين في مجال العلوم الاجتماعية وحقولها المجاورة ،إلى فهم وتفسير طبيعة الإنتاج الجامعي معرفيا وبشريا ،في الوقت الذي أصبح الواقع المعاش يطرح عدة استفهامات ضمنية ،تعبر عن الحالة المتأزمة التي مافتئ الوطن العربي والجزائر تحديدا تعاني إرهاصاتها ،والتي تمثلت أساسا في :أين هو الدور الفعلي للمثقف ؟ وأين هي أدواته التحليلية والاستيعابية من أجل فهم ما يجري داخل واقعنا الاجتماعي ؟ ما هي طبيعة علاقته بالأوساط الشعبية ؟ وفيما تتمثل صلته بالسياسي ؟ ،إلا أن الرهان الرئيسي الذي يمكن أن يتمظهر جليا داخل هذا التحليل المعرفي لموضوع المثقف ،يستلزم البحث في مصادر إنتاجه ومميزاتها ؟ وبالتالي فإن تركيزنا حول مسألة إنتاج الطالب المثقف داخل الجامعة ،قد يدفعنا بذلك إلى الإقرار بسؤال مفاده هو:عن أي مثقف نبحث؟

***-انظر كتاب:**

DJAMEL GUERID, L'EXCEPTION ALGERIENNE –La modernisation à l'épreuve de la société, edt CASBAH, Alger, 2007.

1- جمال غريد ،محاضرة في التحولات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري -من الصدمة الاستعمارية إلى الانفجار المجتمعي-مقياس الأسس الثقافية للمجتمع الجزائري ،السنة الأولى ماجستير علم الاجتماع ،تخصص: ثقافات ومجتمعات ،جامعة وهران 2 ،كلية العلوم الاجتماعية ،جامعة وهران 2 ،الجزائر ،2012-2013.

،لاسيما وأن مفهوم المثقف يعتبر مفهوما معقدا ،من حيث الدلالة والمعنى الإجرائي والاجتماعي للكلمة ،نتاجا لتعدد التعاريف الخاصة به مثله في ذلك مثل تشعب مفهوم الثقافة ،ومن ثم فان المثقف الذي نبحث عنه هو: ذلك الفاعل الاجتماعي الذي يملك وعيا نقديا للمجتمع ،وبذلك يصبح صاحب رأسمال رمزي وثقافي واجتماعي بالتعبير **البورديوي** للمفهوم .

ولهذا فقد ارتأينا أن يرتكز بحثنا على الطالب الجامعي ،ليس على أنه يحمل كما هائلا من المعارف أو المتعلم ،وإنما ذلك الذي يجمع بين الوعي والدور الاجتماعيين ،ناهيك عن التزامه الثقافي واهتمامه بالشأن العام ،الذي يهدف إلى تجسيد هذه المعارف عبر مختلف المجالات والميادين ؛وعليه فان اهتمامنا بالجامعة والمثقف قد دفعنا إلى طرح السؤال المحوري التالي:

- ما هي الدوافع والأسباب المتحكمة في إعاقة إنتاج الطالب المثقف داخل الوسط الجامعي في الجزائر؟

وفي صورة أدق ومن مستوى أكثر تحديدا مرتبط بطبيعة هذا النموذج من المثقف داخل الجامعة والمجتمع على حد سواء:

- لماذا لم تعد الجامعة تنتج المثقف الذي يملك وعيا نقديا للمجتمع؟

- أي علاقة باتت تحكم الطالب في تواصله مع الجامعة والمجتمع؟

- لماذا أصبحت الجامعة الجزائرية لا تنتج الطالب الذي ينخرط في الشؤون العامة للمجتمع؟

- إلى أي مدى يمكننا الحديث عن وجود معالم ومؤشرات لطالب جامعي ملتزم ثقافيا؟

2- الدراسات السابقــة: –عرض وتعقيب-

إن مهمة الدراسة العلمية لأي موضوع أو ظاهرة ما ،لا يمكن أن يكون لها بعدا علميا وأكاديميا ،إن تخللها نقص في استعراض الأدبيات والقراءات النظرية والامبريقية ،التي تجعلها أكثر موضوعية في تحليل وفهم الظواهر ،وهو ما يذهب إليه "غوفمان" بقوله :" لا يوجد موضوع جديد بصفة جذرية ،وليس هناك باحث يمكنه أن يدعي أنه يستطيع الاستغناء عن المعارف المكتسبة في ميدان ما."[1] ،وهو الأمر الذي التمسناه عند دراستنا لموضوع الجامعة وإنتاج المثقف ،حيث بات لزاما علينا أن ندرس مداخل هذه الإشكالية من الناحية النظرية والعملية ،خاصة وأن مسألة الإنتاج المعرفي والبشري للجامعة ،أخذ في مضامينه عدة مسميات لدلالات متقاطعة في المعنى ،ومتراكمة في التنظير والمنهج ،حيث تبين لنا أن إشكالية إنتاج (المثقف أو الكفاءة أو النخبة ...الخ) في الجامعة الجزائرية ،تعود دوافعه إلى أسباب كثيرة تختلف مجالاتها باختلاف الأجندة السياسية ،التربوية ،الاجتماعية والاقتصادية ،التي ينبني عليها المجتمع من مرحلة تاريخية إلى أخرى.

1/ تقويم العملية التكوينية في الجامعة:

من ضمن الدراسات التي تناولت موضوع الجامعة والإنتاج المعرفي في الجزائر ،كان للتحليل التربوي وللسياسة التعليمية ،جانب مهم في فهم كوامن هذه الظاهرة وعلاقتها بالمجتمع ،حيث تناول الباحثين -**لحسن بو عبد الله ومحمد مقداد**-* ،جانبا مهما منها بعد أن اقتصر اهتمامهما حول إشكالية العملية التكوينية في الجامعة الجزائرية ،ومدى تحقيقها للتحصيل المعرفي وإنتاج الكفاءات العلمية ،الطامحة إلى فهم وتحريك عجلة التغيير التقدمي للمجتمع الجزائري ،لاسيما بعد أن شملت دراستهما العديد من الجامعات بالشرق

1- سعيد سبعون ،الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع ،دار القصبة للنشر ،الجزائر ،2012 ،ص29.

***- باحثين اجتماعيين جزائريين.**

الجزائري(قسنطينة ،باتنة ،سطيف وعنابة) ،حيث تمحورت الأسئلة الأساسية لهذه الدراسة فيمايلي :

- هل حققت الجامعة أهدافها في إعداد الإطارات المتمكنة من تأدية مهامها على أكمل وجه؟ وهل هناك علاقة بين البرامج التعليمية المعمول بها وبين الممارسة الميدانية لها؟

وللتعمق في الجوانب المحركة للظاهرة والسير في العمل الميداني للدراسة ،اعتمد الباحثين على الصيغة المنهجية المتعددة الفرضيات ،خاصة وأن الطريقة العملية التي ميزت هذا البحث ،اقتصرت على الجانب الإحصائي للمعطيات وفق المنهج الكمي ،حيث كانت فروض هذا البحث مدرجة على النحو التالي:

- العملية التكوينية في الجامعة لا تستجيب لمتطلبات العمل الميداني.
- ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات طلبة الجامعات الأربع لأبعاد التكوين في الجامعة .
- ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات طلبة التخصصين العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم والتكنولوجية لأبعاد التكوين في الجامعة.

من منطلق هذه الاستفهامات والفرضيات المقترحة ،خلصت الدراسة إلى أن هذه الجامعة لم تحقق هدفها المتمثل في إعداد إطارات ذات كفاءة ،وقادرة على تأدية مهامها إلا بقدر متوسط ،وبين طلبة العينة المدروسة أن ذلك يعود أساسا ،إلى قلة التدريبات الميدانية في البرامج الدراسية ،مما أدى بالطالب الجامعي إلى الجمود المعرفي واغترابه عن الواقع المعاش ،كما كشف هذا البحث أن البرامج الدراسية غير قادرة على تزويد الطلبة بالمعلومات الكافية ،التي يتطلبها عملهم المستقبلي ،فهي تحتوي على مواد كان يمكن الاستغناء عنها ،لاسيما أن بعض مقرراتها تتسم بالتكرار ،وتضيف أن طريقة التدريس الأكثر شيوعا في الجامعة هي طريقة المحاضرة الإلقائية ،وهذا ما يؤدي إلى تكوين طالب ذي شخصية غير قادرة على الإبداع والاعتماد على النفس ،ضف إلى ذلك أن طلبة العلوم

الإنسانية والاجتماعية ،كثيرا ما يجدون أنفسهم بعد تخرجهم من الجامعة في مناصب عمل ،ليست هي التي من المفروض أن يتواجدوا فيها أكثر مقارنة بطلبة العلوم والتكنولوجيا ،وهو ما دفع بهم إلى فقدان الإرادة والرغبة في امتلاكهم للدور الاجتماعي داخل المجتمع.[1]

- **تعقيــب:**

لقد مست هذه الدراسة جانبا مهما في تحليل البنية التحتية للمؤسسة الجامعية ،ألا وهي تحديد طبيعة العملية التكوينية التي ترتكز عليها ،وهو ما جعلنا نعتمد عليها كقراءة أولية ،لضبط معالم إشكالية بحثنا الموضوع محل الإجراء العلمي ،لاسيما وأن هذا البحث قد التمسنا فيه عدة مداخل رئيسية مشتركة ومجال اهتمامنا ،خصوصا ما تعلق منها بالاستفهام المحوري ،الذي يبحث في مدى تحقيق الجامعة لأهدافها المتمثلة في إعداد الإطارات الكفأة داخل المجتمع ،إلا أن موضوعية التفكيك والتحليل ،قد دفعتنا في ذات السياق إلى استخراج بعض الجوانب الهامة ،التي أغفلتها محاور هذه الدراسة شكلا ومضمونا.

فمن خلال ما رصدناه نظريا ،بدى لنا جليا أن مهمة التكوين الجامعي في تصور الباحثين (لحسن أبو عبد الله ومحمد مقداد) ،وكأنها مقتصرة على ما تقدمه الجامعة وفرعها البيداغوجي من حيث البعد التلقيني المحض ،وليس بصفتها فضاء للإبداع الثقافي والمعرفة البحثية ،وهنا قد جرى العرف إذا ما تم التطرق إلى الجامعة والتكوين ،أن مهمة الأستاذ في التدريس ونشر المعرفة لا تتعدى 25% ،أما ما يقارب 75% فهو من إنتاج وعطاء الطالب ،حيث أن تناول موضوع الإنتاج العلمي والبشري للجامعة ،من دون الغوص في تدقيق مكوناته البشرية والمعرفية نفسها ،لا يمكن إلا أن يكون تحليلا سطحيا للظاهرة ،ولا يستوفي المحركات الأساسية فيها ،لاسيما الطالب على وجه التحديد ،فالاكتفاء بالمناهج التدريسية والمروجين لها (أي الأساتذة) ،من دون تقصي الطرف الآخر في هذه العملية

1- لحسن بو عبد الله ومحمد مقداد ،تقويم العملية التكوينية في الجزائر: دراسة ميدانية بجامعات الشرق الجزائري ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1998.

،سيجعل من نتائج البحث لا تولي أي اهتمام بالتفاعل والتواصل ،الذي يحدث داخل الجامعة وطبيعة إرهاصاته ،وهو ما يمكن أن نستنتجه من خلال البحث بالتساؤل في: هل يمتلك الطالب الجامعي من الاستعدادات الذاتية ما يؤهله لأن يكون إطار كفء داخل الجامعة والمجتمع؟ وأي صورة يحملها الطالب حول الجامعة اليوم ؟ وهل هناك مشروع مجتمعي يجعل من الطالب الجامعي يمثل مطلبا اجتماعيا ليكون مساهما في تنمية وتطور المجتمع إذا ما تناولنا الجزائر أنموذجا؟ وهل يحمل في طياته مفهوما ابستيمولوجيا بعيدا عن كل ما هو معرفة ضمنية تجعل من الطالب الجامعي منتوجا استهلاكيا لا يعبر عن واقع اجتماعي قائم بذاته؟.

2/ الجامعة وتنمية المجتمع في الجزائر بين النجاح الكمي والإخفاق الكيفي:

لقد أثارت الدراسة التي قام بها الأستاذ **تومي حسين** ،حول مسألة الجامعة ودورها في تنمية المجتمع في الجزائر ،بعض التساؤلات في إطار الكليات التي تتعرض لها، ذلك أن قضايا التعليم عامة والتعليم العالي الجامعي خاصة ،قضايا جوهرية وخطيرة ينبغي أن تدرس وتحلل من مختلف الزوايا ،حيث تطرق في دراسته إلى الأبعاد التي تتحكم في إعاقة الجامعة في إنتاج الإطارات (ما نسميه في دراستنا بالمثقف) ،التي تساهم في تنمية المجتمع ،إذ طرح في إشكالية بحثه سؤالا محوريا مفاده :ما هو إسهام الجامعة في مد التنمية بالعناصر البشرية الكفأة المؤهلة؟ ،حيث أبرز في هذا الجانب التجربة الجزائرية ،وما قامت به الجامعة في خدمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ،أي في تنمية المجتمع ودون الإخلال بالمطالب المستقبلية للأجيال وما لها وما عليها ،باعتبارها المؤسسة المنتجة للموارد البشرية ،التي تؤطر عملية التنمية وتوجهها نحو المنهج السليم ،خدمة للفرد والمجتمع والأجيال القادمة.

وعليه يرى **أ.تومي** أن مشروع تنمية المجتمع في الجزائر لم يتحقق [...] ،وأن الجامعة لم يكن لها دور فاعل وفعال في تحقيق التنمية ،وإنما لم يزد دورها على أنها مؤسسة كبقية المؤسسات تنشر العلم والمعرفة في أوساط الشباب ،الذي أنهى دراسته الثانوية بنجاحه في

البكالوريا ،ورغم محاولات الإصلاح المتعددة لجعل الجامعة مندمجة في المجتمع ،ومساهمة في حل مشاكله التنموية المختلفة ،فإنها بقيت هامشية ومعزولة عن الحركية الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها المجتمع ،وهي كغيرها من القطاعات الأخرى تعتاش من مصادر الثروة البترولية [...] ،فالجامعة الجزائرية وبغض النظر عن بعض الايجابيات ولاسيما الكمية منها ،فإنها مؤسسة استهلاكية للبرامج والمناهج المنتجة بالغرب ،بقيت إلى يومنا هذا تجترها اجترارا وحتى بعد انتهاء صلاحيتها عند منتجيها. فلم تستطيع الجامعة أن تندمج في وسط المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية ،لتساهم في الرفع من مستوى أدائها وذلك بالخبرة والمعرفة والعلم ،وعوضا أن تؤثر الجامعة في المجتمع أصبحت هي المتأثرة به ،فانقلبت سلبيات البيروقراطية والقيم الاتكالية والاستهلاكية المفرطة ،ومظاهر الفساد المختلفة إلى الحرم الجامعي ،وتحولت مهمتها إلى توزيع الشهادات ،لا تكوين خبرات وكفاءات إلا ما ندر منها.

هذا الوضع المتردي (يضيف الباحث)، جعل أحد الكتاب الجزائريين ينشر كتابا عنوانه "هل يجب غلق الجامعة؟" « Faut-il fermer l'université ? » *،وذلك أن أصحاب القرار لم يعد يهمهم أن تكون الجامعة رافدا فاعلا في دفع عجلة التنمية ،وأن نجاح الجامعة مرهون بنجاح دورها في تحقيق الرفاهية ،والرقي والتقدم للمجتمع وحل مشاكله المختلفة ،بل أصبح على العكس فالنجاح من منظور المسؤولين ،أصبح منحصرا في زاوية ضيقة جدا لا تمت بصلة إلى اهتمام ووظائف الجامعة [...] ،أما التكوين والتأهيل والتدريب والمساهمة في إنتاج إطارات ،تقود المجتمع إلى النجاح والتقدم والتطور فذلك شأن آخر لا يهم ،ما دامت أسعار البترول مرتفعة والموارد المالية متوفرة.

من هذا المستوى يستنتج الباحث في دراسته هذه مجموعة من النتائج ،التي تعد من أهم العوامل والمعيقات الأساسية ،التي أثرت على الجامعة لإفشالها كمؤسسة منتجة ورائدة في المجتمع ،تساهم وتقود عملية التنمية المستدامة ،تمثلت بشكل جلي في التسيير البيروقراطي

---

*- انظر:

Liés Mairi, Faut-il fermer l'université ? ENAL, Alger, 1994.

على حساب الجانب البيداغوجي ،مما همش مهمة الأستاذ الجامعي وأصبح يمارس مهامه كأي موظف عادي ،مما فتح المجال على مصراعيه أمام الانتهازيين والوصوليين للسيطرة على الجامعة ،وإدخال الأستاذ في متاهات ومطالب ضيقة كالأجرة ،والسكن وتحسين الوضع المهني وتوفير وسائل العمل وغيرها [...] ،ففي خضم هذه المستجدة يختتم **"أ.تومي"** عمله العلمي متسائلا بنظرة استشرافية وباستفهام جوهري مفاده: "ما هو مستقبل التنمية بكل أشكالها وأنواعها في الجزائر ؟وما هو الدور المنوط بالجامعة في التكيف مع هذه المعطيات الجديدة ورفع التحديات المفروضة ؟.[1]

- **تعقيـــب :**

على مبنى هذا الأساس ،وإذا ما تناولنا مسألة الإنتاج الجامعي في الجزائر من هذه الزاوية ،يبقى ليس بالعسير على الملاحظ الحصيف أن يدلل إجرائيا ،أن الأخذ بهذه المسلمة يعود بنا إلى البحث في طبيعة المؤطر داخل الجامعة ،أو نوعية النخبة المكونة للطالب بشكل أدق ،وذلك عبر تحديد سماتها وخصائصها ،موقعها ودورها ،فعاليتها وتأثيرها...الخ ،فلا يمكننا الحديث عن الإنتاج المعرفي للجامعة والنوع البشري للمجتمع ،إلا من خلال التأكيد على الفواعل الأساسية لهذه العملية ،التي يعتبر فيها المحاضر أو الأستاذ الحلقة الجوهرية ،فوفقا لهذه السمة لا يمكننا إرجاع هذا الإخفاق ،إلا لهذا العنصر الذي لقبته العديد من الأدبيات العلمية بـــ:(المثقف الريعي ،المثقف الموظف ،المثقف الانتهازي ،المثقف غير المنتج ،المثقف المقلد ...الخ) ،والذي اكتفى بدوره الروتيني في التدريس ،وفق مناهج فوقية تفرضها السلطة ،كجهاز إيديولوجي يراهن على تفعيل مؤسسات التعبئة ،التي تخدم استمراريته في الحكم ومستثمرا في ثباتها لضمان شرعيته عليها ،فبعيدا عن كون الدراسة قد مكنتنا من تحري المجال التنموي والسوسيو-اقتصادي للظاهرة ،ناهيك عن استفادتنا الكبيرة من الحس النقدي الذي طبع مراحل البحث فيها ،إلا أن نقائصه الكبرى تمحورت

1- حسين تومي ،الجامعة وتنمية المجتمع في الجزائر –بين النجاح الكمي والإخفاق الكيفي- ،مجلة دراسات اجتماعية الصادرة عن: مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلمية ،العدد05 ،الجزائر ،جويلية2010 ،ص13.

أساسا في أن الباحث استفاض من خلال طرحه في نقد ما يمكن التنويه له (بالسياسي) ،كحلقة رئيسية وحيدة في فهم وتفسير ما يسميه بالإخفاق الكيفي للجامعة الجزائرية ،وهو ما يجعل من الضروري أن نتساءل عن طبيعة الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه الطالب الجامعي؟ وهل هو أمام سلطة الجامعة أم جامعة السلطة؟ وأين هو الدور الفعلي للنخب المكونة والمساهمة في إنتاج الطالب الجامعي الذي يشارك في تنمية المجتمع؟ وهل فعالية المثقف تحتاج إلى إرادة السياسي أم أن لها حيزا معرفيا وثقافيا يمثل سلطة مستقلة؟

3/ التعليم العالي وتنمية قدرات الطالب الجامعي:

في دراستها السوسيولوجية المتخصصة في تسيير الموارد البشرية ،أثارت الباحثة **"آمنة سعدون"** إشكالية جوهرية حول تنمية طاقات وقدرات الطلبة ،وعلاقتها بمتطلبات التنمية السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في المجتمع ،حيث ركزت بإسهاب معرفي ،على إبراز الوظيفة الحقيقة للتعليم العالي عامة والجامعة الجزائرية خاصة ،من أجل الإجابة على مجموعة من التساؤلات والاستفهامات التي كان أهمها مايلي:

- ما هي أهم الصفات الواجب توفرها في برامج ونظام التعليم العالي؟.
- هل سياسة التعليم العالي تساهم في بناء الطالب المتكامل الشخصية من خلال ابتكار وتطوير بعض القوانين والنظم؟
- هل يقيم الطالب على أساس العلامات أو على أساس قدراته ومهاراته في ربط حقائق المعرفة مع واقع الحياة؟
- هل تعكس الأعداد المتزايدة للطلبة والطالبات الحاصلين على الشهادات فعالية التعليم العالي في تحقيق التنمية؟

فعلى مبنى هذا الأساس طرحت الباحثة سؤالا محوريا في هذا البحث كان مفاده كالتالي:

- هل يساهم التعليم العالي في تنمية قدرات الطالب الجامعي ؟وماذا أضاف إلى تجاربه وقدراته وإمكاناته العقلية والجسمية والنفسية والاجتماعية؟

ومنه صاغت فرضية عامة من أجل قياسها في العمل الميداني نافية ما تم التوصل إليه في قراءاتها النظرية وأدبياتها الاستكشافية وذلك بأن:

- التعليم العالي لا يلعب دورا أساسيا في تنمية قدرات الطالب الجامعي.

حيث أدرجت تحت هذه الإجابة الشاملة فرضيتين جزئيتين هما:

أ* تنحصر وظيفة التعليم العالي في إلقاء المعلومات وتكرار ما في المقررات.

ب* ضعف مستوى الطالب الجامعي هو ما يؤثر على مصداقية شهادته الجامعية.

بعد الإجراءات النظرية والميدانية ،التي تطرقت إليها الباحثة في هذه الدراسة ،تم التوصل إلى مجموعة من النتائج ،أثبتت صحة الفرضيات المطروحة ،حيث استنتجت أن الطالب الجامعي يتأثر بنظام التعليم العالي ،والسبب يعود إلى سوء التوجيه من طرف الجامعة ،وسوء الاختيار من طرف الطالب ،ومن ثم فمستوى المعرفة المكتسبة لديه شيء ضروري ولكنه غير كاف للالتحاق بالجامعة ،فيجب توفره على استعداد ورغبة في متابعة تعليمه ،وعليه تضيف الباحثة أن التكوين يخضع لمقاييس عددية رقمية أكثر منها نوعية كيفية ،مما يؤكد عدم تمكن الطلبة من اكتساب أي مهارات وقدرات ،وبالتالي فإن سياسة التعليم العالي هي بعيدة كل البعد عن إعداد الطالب ،لذلك وجب برمجت مخطط بديل لتلك السياسة يراعي فيه التأقلم مع الأوضاع المتغيرة.

أما بالنسبة لنتائج الفرضية الثانية ،فقد تم من خلال إجابات الطلبة إثبات أن 45.45% من المبحوثين ،أكدوا على ضعف مستوى الطالب ،أما 53.03% أكدوا على أن البرامج التعليمة المكثفة كان سبب هذا التراجع والإخفاق ،مما أدى بالطالب للاعتماد على الحفظ في الامتحان أو الغش والاحتيال. وعليه أصبح التعليم العالي في الجامعة الجزائرية ،لا يقدم أي تأطير وأي خدمات معرفية لتنمية قدرات الطالب الجامعي.[1]

1- آمنة سعدون ،التعليم العالي وتنمية قدرات الطالب الجامعي ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ،تنمية الموارد البشرية ،قسم علم الاجتماع ، قسنطينة ،الجزائر ،2005.

- **تعقيــب:**

من منطلق هذا الطرح العام لهذه الدراسة ،التي تعمقت أكثر في الجانب التنموي البشري دون التحليل السوسيولوجي النوعي ،يمكننا أن نطرح تساؤلا هاما يتمثل في هل من الممكن أن نفند أبجديات المستوى العلمي الراق بأبعاد الأستاذية للطلبة بوجه شامل؟ ،مما يعنى أن البحث لم يراعي المستوى المعرفي وآليات التكوين ،التي يمكن أن تتوفر لكل طور بخصائص ومميزات محددة ،وبالتالي لا يمكن أن يكون التعميم في وضع إستراتيجية الإنتاج متوقف على كل الأطوار وبمقاييس مشابهة؟ ،مما يدل أن انعدام توضيح الرؤية في البحث عن أي نموذج من الطالب يراد تحقيقه من مستوى إلى مستوى آخر؟ لا يضع الباحث في الصورة ،التي تتحدد بموجبها هذه الفروق العلمية والعقلية ،وهو ما يتطلب على الجامعة بمختلف مؤطريها التعمق فيه .

ومن هنا ،فلا شك أن الباحثة ومن خلال اتخاذها لمنهج المسح الاجتماعي، أيقنت أن كل الطلبة هم على مستوى واحد من الناحية العلمية والاستيعابية للمعرفة ،وهو ما يثير أكثر من تساءل حول أهمية مجال الدراسة وطبيعة المجتمع الإحصائي ،الذي يتجلى من خلاله منطق البحث وخصوصية نتائجه ،فعلى الرغم من أن اتخاذنا لهذه الدراسة ،له عدة دعائم وإضافات لموضوع بحثنا من منطلق البعد السيكولوجي ،الذي يحدد اندفاعات الطالب داخل الوسط الجامعي ،إلا أنه سيبعدنا عن هذه الإجراءات في سبيل تعزيز مجال دراستنا العلمية.

3- الفرضية:

من خلال ما توصلت إليه قراءاتنا النظرية واستطلاعنا الميداني ،لإشكالية الجامعة ومخرجاتها العلمية والبشرية ،كموضوع للدراسة في ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية بشكل عام ،تبين لنا أن الإقرار الأكبر في هذه المسألة ،يؤكد أنها لازالت تثير العديد من التساؤلات الضمنية وباستمرار على جميع الأصعدة ،حيث تعددت المناهج والأدوات المعرفية في فهمها ،نظرا لعمقها الثقافي والاجتماعي في المجتمع بشكل أدق ،وهو ما أثبت لنا في العديد من الاطلاعات، أين ظل البعد السياسي في فهم الظاهرة ،يأخذ طرحا واسعا على مستوى الخطاب والفكر العربيين ،لاسيما في الجزائر على وجه الخصوص ،إذ أرجعت هذه الدراسات أن غياب الإرادة السياسية للسلطة في الجزائر ،قد منعت من انتقال الجامعة إلى لعب دورها الفعلي والتثقيفي ،خاصة إذا ما أمعنا النظر في حقل العلوم الاجتماعية على سبيل الحصر ،أين يمكن أن ينتج هذا الأخير نموذج (الفاعل الاجتماعي ،والناقد النضالي ،والسياسي الذي يعيش من أجل السياسة ،والإعلامي الثوري ،والمثقف الملتزم ...الخ) ،وبالتالي فإن خلفيات غياب الإنتاج النوعي للطالب داخل الجامعة في الجزائر ،ترجعه هذه الدراسات إلى علاقة المثقف بالسياسي بشكل خاص ،وصلة الجامعة بالسلطة السياسية في شكلها العام ،وهو ما يمكن أن ندرجه في أننا أمام جامعة السلطة ،وليس سلطة الجامعة من حيث الإطار الاستقلالي للمؤسسة ! ،إلا أن هذا التحليل قد صاحبه بعد لا يقل أهمية عن سابقه ،والذي يمكن حصره بشكل جلي في العامل الاقتصادي ،ومدى علاقة الجامعة بسوق العمل ،حيث أقرت هذه الدراسات السوسيو- مهنية ،أن الجامعة في الجزائر لم تواكب متطلبات العصر والعولمة ،وخاصة ما توصلت إليه بلدان العالم المتقدم ،في جعل الجامعة مؤسسة اقتصادية ،تهدف إلى تجسيد مجتمع المعرفة واقتصاد المعلوماتية ،فارتكاز النظام الاقتصادي في الجزائر على الإنتاج الطبيعي والموارد الريعية ،لم يجعل من مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي تلعب دورها التفعيلي والنوعي ،وبات الفكر الاستهلاكي يستحوذ على الفعل الإبداعي ،بل وذهب إلى أبعد من ذلك بعد أن

أصبحت اليد العاملة الأجنبية ،تكتسح الساحة الاقتصادية على حساب الكفاءة المحلية ،مما طرح سؤالا محوريا لدى الباحثين والدارسين ،عن جدوى التعداد الهائل لخريجي الجامعات في الجزائر سنويا ؟.

إلا أن هذه الظاهرة ومن منطلق تشعيباتها الاجتماعية ومدلولاتها المفاهيمية ،قد طرحت في ذات السياق عدة مقاربات نظرية في عملية تحليلها السوسيولوجي ،حيث ربط الكثير من الدارسين في الحقل السوسيو- تربوي ،أن غياب إنتاج الكفاءة في الجامعة يعود بالأساس إلى فشل فلسفة التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر ،إن لم نقل بالأحرى انعدام كلي لهذه الفلسفة من حيث مستواها الإجرائي والعملي ،إذ ظل الاعتماد الكبير في هذه العملية يرتكز على استيراد المناهج التربوية والتدريسية ،من دون توظيف لأي أداة تمحيصية ونقدية من الداخل.

على مبنى هذا الأساس ،وإذا ما تناولنا هذه المقاربات من أحد الجوانب والأشكال ،التي يمكن التدليل عليها ميدانيا ،فإن الإقرار بهذه المسألة كونها تعتمد على الآخر ،باعتباره فاعلا يمثل المجهول وليس كائنا قائما بذاته ،لا يمكن أن يتحدد إلا من منطلق صراع طوباوي ،تتقاطع فيه جل هذه الدراسات بالتأكيد على فكرة احتكار السلطة المركزية داخل المجتمع ،من خلال هيمنة البنية الفوقية على الشأن القاعدي ،والتي تمظهرت في السلطة السياسية بأوجهها المختلفة (النظام السياسي ،النظام الاقتصادي ،النظام التربوي) ،وهو ما ينفي وجود بنية تحتية لها من الفعالية والتأثير ،ما يسمح لها بتجسيد حراكها الثقافي والاجتماعي داخل المجتمع ،حيث أننا التمسنا ذلك من خلال استطلاعنا الميداني ،الذي اقتصر على طبيعة الخصوصيات ،التي تحملها القاعدة في الوسط الجامعي ،والتي يمثل فيها الطالب والأستاذ إحدى أهم المرتكزات الرئيسية في إحداث هذه الوثبة داخل الجامعة ،حيث توصلت نتائج استكشافاتنا الإجرائية الأولية حسب بعض المؤشرات ،أن الطالب الجامعي قد حمل في تمثله للجامعة عدة تصورات كانت نتاجا للتراكم المعرفي ،الذي سبق التحاقه بالجامعة – انطلاقا من الطور الثانوي - ،حيث كان الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أكثر نوعية ،إن لم نقل أكثر وعيا في فهم واستيعاب مخرجات المجتمع على جميع الأصعدة

،يحمل في ثناياه عدة تراكمات معرفية ولو سلمنا بأنها معارف ضمنية ،وذلك نتاجا لتشبعه بالتخصص (علم الاجتماع) ،وبات يحمل من الإصرار استعدادا ذاتيا منقطع النظير في اكتسابه للمعارف العلمية المتنوعة ،إلا أن هذه العملية وجدت عائقا حال دون تحقيقه لذلك المبتغى ،وهو الأستاذ الجامعي الذي ينفي كل ماله صلة بالأفكار الجديدة والمعارف الخصبة ،خاصة وأننا ركزنا في هذه المعاينة على مدى تمثل الأستاذ الجامعي لواقع الجامعة الجزائرية اليوم ؟وما هو منظوره للطلبة والإنتاج المعرفي بشكل خاص ؟فكانت صور السلبية واللامبالاة تغطي جل الاستفهامات ،التي تقدمنا بها إلى الأساتذة في قسم العلوم الاجتماعية ،ومن هنا ،بات لزاما الافتراض بأن المعضلة الأساسية في إنتاج الطالب المثقف (المبدع والفاعل والنقدي والمنتج والملتزم ...الخ) ،لا تكمن في الجانب السلطوي والمركزي للسلطة السياسية فقط ،أم بالأحرى لغياب إرادتها في إحداث هذه النقلة النوعية للأداء الثقافي والفكري للجامعة (وإن كانت هذه الرؤية لها هامش من الصحة) ،وإنما غياب الركيزة الأساسية للتفاعل المعرفي ،والتواصل العقلاني بين الفاعلين داخل الوسط الجامعي ،آل دون الرفع من المستوى الكيفي وإنتاج المعنى لمؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي بشكل جلي ،ومن ثم ألا يمكننا أن نفترض وبحدس لا يفتقر للأدلة ،أنه بغياب قنوات الاتصال داخل المدرج (القاعة) بين الطالب والمحاضر من جهة ،وبين الطلبة أنفسهم من جهة أخرى ،يتشكل عائق في وجود هذا النوع من الحراك. وعليه ألا يجب أن نستدل بأن انعدام المجال العام ،الذي يسمح لكل من الطالب والأستاذ في التفاعل ،بجل أشكال الحوار والنقد ،وتقبل الرأي والرأي الآخر ،وحق الاختلاف واحتكاك الأفكار ،ومحاكاة الثقافات..الخ ،هو دليل على عدم القفز بالمستوى الجوهري للجامعة. فمن منطلق ما كشفته لنا المعاينة الميدانية المبدئية ،لإشكالية الجامعة ونمطية إنتاجها المعرفي ومخرجاتها البشرية ،قد تبين لنا أن الطالب بات يبحث على من يسمعه؟ ومن يفهمه؟ ،داخل هذا الفضاء التفاعلي بمختلف أوجهه ومجالاته ،وبالتالي يبقى ليس بالعسير علينا أن نبين بأن الحقل ،الذي يجمع كل الأطراف المكونة للجانب المعرفي والعلمي في الجامعة ،والذي يمكن أن نسميه **"بالمخبر الأولي لإنتاج المثقف"** ،هو من يحفز على الإنتاج وتحديد طبيعة العلاقات الاجتماعية ،التي تجمع بين هذه الفواعل ،وبطرح آخر ألا يمكن أن نعتقد من وجهة نظرنا

ومن خصوصية منهجنا ،بأنه كلما كانت هناك خاصية الاعتراف بالمواقع ،التي ينتمي إليها كل طرف في هذا الفضاء ،كلما استطاعت الجامعة أن ترتقي إلى مستوى الانفتاح من منطلق النقد الذاتي إلى تحريك مفعول العقل التفكيري داخل المجتمع .

ومن ثم أليس باستطاعتنا أن نقول أن الدافع في غياب إنتاج فعلي للطالب المثقف داخل الجامعة الجزائرية اليوم ،متوقف على مدى تمثل كل طرف في هذا الحقل للآخر ،على أساس أن كل عنصر يحمل ثقافة وفكر إنتاجي وفعال داخل فضاء المعرفة قبل المجتمع؟

فمن كل هذه التساؤلات الافتراضية والاستفهامات المقترحة ،يصبح من الضروري أن نكشف هذه الجزئيات ،في مدى وجود آلية تواصل معرفي وثقافي على مستوى العلاقات الاجتماعية ،بين ثنائية الطالب والأستاذ والتي تتسم بها الجامعة في الأساس ،فكل هذا سيمكننا من فهم وتحليل الدوافع والأسباب المتحكمة في إعاقة إنتاج الطالب المثقف داخل الوسط الجامعي في الجزائر.

وعليه يمكننا صياغة فرضيتنا على الشكل التالي:

- **" غياب العملية التثاقفية داخل الحقل الجامعي يمنع من إنتاج الطالب المثقف الذي يمتلك وعيا نقديا للمجتمع. "**

4- أهمية الدراسة :

إن المعالجة السوسيولوجية التحليلية ،والنقدية لهذا النوع من المواضيع ،يخرجنا أكاديميا ويبعد البحث العلمي في جامعاتنا عن سياسة "التقوقع على الذات" ،والاكتفاء بالأبحاث المستهلكة والروتينية ،خاصة بعد أن ظهر اهتماما متزايدا من طرف المثقفين ،والمختصين في جميع المجالات ،بالمشكلات الاجتماعية التي تعتبر من بين المؤشرات ،التي تساهم في إحداث عملية التغيير والتغير داخل المجتمع ،وخاصة ظاهرة الجامعة والمثقف ،التي أثارت جدلا كبيرا في المجتمعات النامية والعربية ،لاسيما المجتمع الجزائري على وجه التحديد.

وعليه تنبع أهمية هذا البحث كذلك من الأهمية الخاصة ،التي تتمتع بها مسألة التنمية المجتمعية ،والبشرية بالنسبة لكافة الشعوب والأمم ،على ضوء إنتاج فكرة الإنسان الكامل ،وهذا بالاستناد إلى نمطية العلاقة الموجودة بين الجامعة والمجتمع من جهة ،ومدى تحقيق نموذج المثقف وصورة مجتمع المعرفة داخل البيئة الاجتماعية التي تتأسس عليها من جهة أخرى ،مما يفتح المجال لإحداث وكبة تاريخية في عملية البناء الحضاري للمجتمع ،خاصة إذا ما تحدثنا عن الحالة الجزائرية ،موازاة مع ما يتوفر لديها من ثروات طبيعية وبشرية ،ناهيك عن المكانة الإستراتيجية التي تتسم بها.

ولهذا فإن التطرق لمسألة الجامعة الجزائرية ومعضلة إنتاج الطالب المثقف ،هو بحث في أحد عوائق هذه التنمية في مستواها الممارساتي ،وهو الأمر الذي تكشفه حجم الملتقيات الفكرية والدراسات العلمية الحديثة ،والبرامج الإعلامية السمعية والبصرية ،التي عقدت في غضون السنوات الأخيرة ومافتئت إلى يومنا هذا ،نظرا للمتغيرات الداخلية والخارجية الإقليمية منها والدولية ،التي باتت تطبع المجتمع الجزائري على جميع الأصعدة.

5- دوافع اختيار الموضوع:

لم يكن اختيارنا لموضوع الجامعة ومعضلة إنتاج الطالب المثقف ،وليد الصدفة والتلقائية في الطرح ،لاسيما وأنه يمثل نقطة مركزية بأبعادها السياسية ،الثقافية ،الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الجزائري ،الذي مافتئ يعيش أزمة بنيوية في جانبها الأنثربولوجي والمعرفي-الفكري على أكثر من صعيد ،ومن ثم فوجود عنصر الانشغال والحيرة لدى أي باحث في الحقول العلمية المختلفة وخاصة في علم الاجتماع ،لابد وأن ترتكز على جملة من الأسباب والدوافع منها الموضوعية ومنها الذاتية ،ولعل أبرز ما أدى بنا إلى اختيار هذا الموضوع ما يلي :

1- الدوافع الموضوعية:

تنبع خلفيات هذا الاختيار كفكرة أولية من البعد المتأزم ،الذي تعيشه البلدان العربية والجزائر خاصة ،عبر مختلف المجالات والميادين ،التي تتمثل أساسا في غياب الإثارة الديناميكية-التغييرية للواقع الراهن ،وضيق الأفق فيما يخص النظرة الإستشرافية المستقبلية ،التي تتطلع للبناء الحضاري-التقدمي للمجتمع ،لاسيما وأن التحولات والتغيرات السريعة ،التي شهدها العالم في كل من المجال العلمي والتقني والعولمة ،ومدى تجلي هذه التلوينات على الواقع المجتمعي المعاش ،جعل من الجزائر تصنف في ذيل الترتيبات الدولية ،تأكيدا على مدى هشاشة منظومتها التعليمية التربوية والبحثية الجامعية ،وهو ما أدى بنا إلى الغوص في مداخل هذه الإشكالية ،بحثا في عوائق تفعيلها وتحليلا لآليات سيرها ،خاصة وأن هذه الظاهرة تعتبر قضية جديدة قديمة من حيث الفهم والتمحيص ،نظرا لاتساع نطاقها وتعدد جزئياتها التخصصية.

وفي ذات السياق ارتكز اهتمامنا بهذه الإشكالية ،من خلال معرفة نموذج العلاقة التفاعلية التي تبنيها الجامعة ،باعتبارها حقلا حديثا ومجتمعا جديدا للتواصل ،بعيدا عن صورة المجتمع التقليدية ،وعلى هذا المنوال ،بات لزاما علينا إيضاح عملية الإبداع الثقافي والإنتاج الفكري والعلمي ،من منطلق الكشف على طبيعة ونمطية الموارد البشرية ،التي تؤسس لها هذه الحقول والفضاءات ،بل والتي تعتبر إحدى القوى الفاعلة فيها ،فهي إذا من المواضيع التي تتطلب منا دراسة علمية نقدية وتحليلية جادة.

2- الدوافع الذاتيـــــــة:

لقد اقترنت بالأسباب الموضوعية لاختيار الموضوع دوافع ذاتية ،انحصرت مضامينها في عدة وضعيات علائقية ،ربطتنا بالظواهر الاجتماعية والمشكلات المعرفية ،التي تنجم عن الجامعة والمجتمع على حد سواء ،حيث تمثلت أهم الأسباب التي جعلتنا نطرح التساؤل حول جدوى وجودنا في الجامعة؟ وماذا ينتظر منا المجتمع لكي نساهم في إحداث الحراك الثقافي والاجتماعي داخله؟ في الصراع المعرفي الاجتماعي الذي تلقيناه مع بعض الأساتذة ،ونحن على مقاعد الدراسة الجامعية ،أين واجهتنا الكثير من العوائق ،من أجل طرح أفكارنا العلمية على مستوى فضاءات النقاش ،الذي تفتحه المحاضرات والأعمال التطبيقية والموجهة في علم الاجتماع ،فكانت مظاهر التصفيات الشخصية والحسابات الضيقة هي عناوين العلامات ،التي تحصلنا عليها من خلال الامتحانات والبحوث ،مما جعلنا نطرح استفهاما جوهريا محتواه: أي علم نتلقاه في هذه الكلية ؟وأي معرفة يراد منا إنتاجها في الحقل الجامعي ؟

بالإضافة لأهم ما شهدناه على مستوى الفضاء الأكاديمي للجامعة ،كانت لعلاقاتنا بالأوساط والمؤسسات الثقافية والاجتماعية ،وحتى السياسية في المجتمع دوافع هي الأخرى ،أدت بنا إلى صب كل اهتماماتنا من أجل دراسة هذا الموضوع ،إذ تجلت أولى هذه الأسباب في جملة التهديدات والمضايقات ،التي تلقيناها من إحدى السلطات المحلية البلدية الكائنة بولاية سيدي بلعباس ،ونحن نقوم بحملة مساندة لإضراب قام به تلاميذ الطور

الثانوي لذات البلدية ،من أجل تحقيق مطلب توفير النقل المدرسي للالتحاق بمقاعد الدراسة ببلدية مجاورة ،فكان مآلنا هو ترهيبنا بالأمن ،مما جعلنا نطرح عدة شكوك حول مسألة تكويننا وآليات توعيتنا بسؤال مفاده: أي دور يراد منا أداؤه في ظل هذه الأوضاع ونحن في هذا المستوى الجامعي؟

وإذا كان للوعي النضالي الذي اتسمنا به ،له جانب من جوانب البعد الاجتماعي السياسي في هذه الوضعيات ،فإنه كذلك يمكننا إيضاحه ونحن نقوم بدورنا التفعيلي في إحداث الحراك الثقافي والفكري في المجتمع ،بعد أن ساهمنا في تشكيل فضاء ترفيهي تربوي تطوعي للدفع بعجلة التنمية الثقافية محليا ،فكانت انتقاداتنا المستمرة للأوضاع الهامشية - التي كنا نعيشها والاحتكار المركزي الإداري للفضاء الذي يفترض أن يكون صرحا للعيش المشترك– ،أساليب ردعية قوبلت بالعنف الرمزي والإقصاء ،إلى أن دفع بهذه الإدارة إلى تقديم شكوى ضدنا لدى الشرطة ،ونحن في بهو مؤسستها (لا لسبب إلا لأننا قمنا بالنقد البناء وتجديد الأفكار) ،مما شكل لدينا هذا الفعل حالة من الاستغراب ،والاغتراب عن المؤسسة وعن المجتمع ،وهو الأمر الذي زاد من إلحاحنا لكي نتعمق في البحث باستفهام مضمونه هو: أي طالب لأي جامعة ؟وأي مثقف لأي مجتمع؟.

6- أهداف الدراسة:

على ضوء الأهمية الكبيرة التي توليها مثل هذه الدراسات الأكاديمية داخل المجتمع ،تظهر معالم الأهداف الأساسية التي تتطلع إلى تحقيقها على مستوى الحقل المعرفي والمجتمعي معا ،حيث أننا سطرنا من خلال دراستنا لهذه الإشكالية ،غايات علمية وأخرى اجتماعية ،حيث تمثل الهدف العلمي في هذا البحث المتواضع ،في ترقية مستوى البحوث النوعية في جامعاتنا لاسيما حقل العلوم الاجتماعية ،التي ما فتئت تعاني من غياب شيء من الفعالية على مستوى الواقع الجزائري ،ناهيك على الإسهام في جعل هذا البحث مرجعا ضروريا في المكتبات الاستطلاعية ،من أجل حل الإشكالات العلمية التي يتولد عنها أو تؤدي إليها ،وعليه أبينا إلا أن نحلل بعدا من الجوانب الباطنية ،التي تؤثر على الفعل الإنتاجي للجامعة في الجزائر.

أما الهدف المجتمعي لهذا العمل ،يقتصر على توضيح الموقع العلمي والاجتماعي ،الذي يوجد عليه الطالب الجامعي في الجزائر ،ومدى فاعليته داخل المجتمع ،من خلال إبراز فعله الممارساتي في تفاعله مع مختلف الفئات الاجتماعية ،كما ارتأينا إلى إعادة النظر في البعد العلائقي ،الذي يجمع بين الجامعة باعتبارها فضاء للمعرفة وإنتاج الأفكار ،والمجتمع الذي يعتبر تحصيل حاصل لطبيعة المؤسسات المكونة له. ومنه يصبح من المهم الكشف عن طبيعة المنتوج ،الذي تفرزه الجامعة من حيث البعد المفاهيمي ،الذي سيسمح لنا ببلورة التعريف النظري والإجرائي له ،وكذا البعد التطبيقي والعملي من منطلق فاعليته داخل المجتمع ،التي تتمخض عنها نمطية المكانة الاجتماعية.

7- المقاربة النظرية:

لا شك في أن الدراسات المعمقة والموضوعية لأي عمل علمي ،لا يمكن أن تتأسس إلا من خلال وضع مجموعة من المقاييس والمعايير التنظيرية ،بغية التوصل إلى صحة أو خطأ الفرضيات ،التي يطرحها الباحث من أجل الإجابة على جملة التساؤلات ،التي تتضمنها مشكلة الدراسة ،لاسيما وأن المقاربة النظرية في البحث السوسيولوجي ،تلعب دورا هاما في ضبط السياق الابستيمولوجي والإطار المنهجي ،الذي يتبعه ومن ثم فبعد أن استرسلنا في موضوعنا ،المتعلق بالجامعة ومعضلة إنتاج الطالب المثقف جل الأبعاد ،التي تمس تحديد مشكلة البحث ،تبين لنا أننا أمام ثنائية نظرية تستوجب منا اعتمادها ،من أجل الوصول إلى النتائج المرجوة في البحث والتي تمثلت في ما يلي:

1) المقاربة النظرية النقدية: (التواصلية عند يورغن هابرماس)

يتم في أغلب الأحوال مساواة النظرية النقدية **(critical Theory)** مع أعمال منظري مدرسة فرانكفورت ،وبخاصة أفكار -يورغن هابرماس-* ،وينظر منظرو النظرية النقدية إلى النظرية الاجتماعية ،باعتبارها قائمة على المصالح البشرية المتباينة ،والتي تشكل وجهات النظر المتبناة .ويرون النظرية النقدية نفسها قائمة على الاهتمام بالانعتاق من السلطة والهيمنة في مجالات العمل والتفاعل.[1]

ومن هنا ارتكز اختيارنا على هذه النظرية التواصلية ،من منطلق البحث في مدى وجود آليات تفاعل عقلاني بين الأطراف المكونة للفضاء البيداغوجي بالجامعة (الأستاذ والطالب على وجه الخصوص) ،وهو ما يدفعنا إلى تبيان صورة المجال العام ،الذي يمثل في نظر **"هابرماس"** حلبة النقاش التي تدور فيها المساجلات ،وتتشكل فيها الآراء والمواقف حول القضايا التي تجسد اهتمامات الناس وهمومهم[2] ،مما يدل على توضيح مدى وجود براديغم تشاوري ،يجسد مبدأ المساواة والتماثل وتكريس نفس الحظوظ في التساؤل ،والكلام والفعل

***- Jürgen Habermas :فيلسوف وعالم اجتماع ألماني.**

1- جون سكوت ،علم الاجتماع المفاهيم الأساسية ،تر: محمد عثمان ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،ط1 ،بيروت ،2009 ،ص417.

2- أنتوني غدنز ،علم الاجتماع ،تر: فايز الصياغ ، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط4 ،بيروت ،2005 ،ص511.

وفتح المناقشة ،حتى تسمح بتوفير خاصية الاندماج الاجتماعي داخل ما نسميه في دراستنا بـــ:(المخبر الأولي لإنتاج المثقف).

وبالتالي فإن منهجية المدرسة النقدية ،تمثلت في محاولة رواد هذه المدرسة لإبراز الطريقة ،التي يهيمن بها النسق(النظام الاجتماعي)على بقية النظم الاجتماعية أو الأفراد أو الجماعات الاجتماعية وذلك عن طريق استخدامهم أولا ،منهج العقل الأداتي **instrumental Reason** ،وثانيا ،الأسلوب الذي تدمج فيه الثقافات الشعبية للناس بالنظام الاجتماعي ،وثالثا ،نوعية البنية الشخصية التي لا تقبل السيطرة عليها بل تسعى (الشخصية) لها بنفسها[1]،وعلى مبنى هذا الأساس ،ارتأينا من خلال هذه النظرية إلى تحديد آليات اكتشافنا لمسببات الظاهرة (معضلة إنتاج الطالب المثقف) ،من خلال إبراز جل المفاهيم المكونة للمقاربة الهابرماسية ،والتي ستسلط الضوء على جانب من مميزات الموقع والأسلوب التواصلي ،ناهيك عن الدور الذي يؤديه كل طرف ،في ظل هذه العلاقة والأدوات المستعملة في هذا التواصل ،بالإضافة إلى طبيعة الفضاء الذي تقوم عليه هذه العملية ،إلا أن المتتبع لهذه النظرية وقياسا لما تم التأكيد عليه في محتوى الإشكالية ،سيستخلص أنه هناك عملا جزئيا في فهم وتحليل هذا الموضوع ،إذا ما تم الارتكاز على آليات الكشف دون التعمق في عملية تمحيص واستنتاج نمطية هذا التواصل ،وعليه استندنا إلى نظرية ثانية ومقاربة تحليلية مكملة تفرضها الدراسة ،بل وتعتبر كنتيجة حتمية للمقاربة النظرية السابقة **ففيما تتمثل وأين تكمن وظيفتها؟**

2) المقاربة النظرية التوليفية: (التوليدية عند بيير بورديو)

استنادا إلى أدبيات الدراسة واستطلاع الأبحاث والنظريات ،التي تبحث في التفاعل الاجتماعي والتواصل العقلاني بين الأفراد داخل الحقول المتعددة ،قد فرضت علينا الدراسة اعتماد النظرية التوليفية عند بيير بورديو ،كامتداد لما سيتم الكشف عنه من خلال النظرية النقدية التواصلية التي فصلنا فيها آنفا ،حيث حاول -بيار بورديو **pierre Bourdieu-***

1- عبد الله محمد عبد الرحمن ،النظرية في علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،2006 ،ص440.

***- فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي [1930-2002].**

تجاوز متناقضة (الذاتي والموضوعي) ،في عمله العام والموحد حول الممارسات الاجتماعية ،عن طريق إعادة الفهم التكاملي للعلاقات بين الأبعاد الرمزية والمادية للحياة الاجتماعية.[1] ،وهو ما سنكشفه من خلال جدلية الأنا والآخر ،التي تحدث في أساسها بين الأستاذ والطالب داخل الجامعة (القاعة) ،ولكي يستطيع بورديو عبور الفجوة بين هذا الشخص والبنية التي تضمه ،أو بمعنى آخر ،لكي يكشف كنه العلاقة الجدلية بينهما أو التفاعلات القائمة ،قام بتفكيك البناء الاجتماعي إلى مجموعة من المجالات ،كالمجال السياسي ،والاجتماعي والثقافي ،والديني والفني...الخ ،وكل مجال من هذه المجالات يحتاج إلى رأسمال نوعي مختلف ،والمتفاعلون داخل المجال يمتلكون بالضرورة استعدادات متفاوتة بتفاوت الرأسمال النوعي الذي يمتلكونه ،وبالتالي فإن علاقات القوة داخل المجال التي تحدد حيازة المكانة داخله ترتبط بهابتوس الأفراد. وما أضافه بورديو هنا ،هو جعل العلاقة الجدلية بين الاستعدادات الذاتية والشروط البنائية ممكنة التصور والتحقق على أرض الواقع. فالفرد يتعامل مع مجالات ،ولا يتعامل مع بناء اجتماعي كلي.[2] هو الأمر الذي نسعى إلى تبيانه من خلال مؤشرات العملية التثاقفية ،التي تتجلى داخل المجال المعرفي ،والذي يعتبر تحصيل حاصل لما يعتمده يورغن هابرماس في نظريته النقدية التواصلية ،ومنه يطرح بورديو المسلمة القائلة بأنه يوجد في كل مجتمع مهيمنون وخاضعون ،وأنه في هذا الاختلاف يكمن المبدأ الأساس للتنظيم الاجتماعي. لكن هذه الهيمنة تعتمد على وضع الفاعلين ومواردهم وإستراتيجيتهم [...] ،ولفهم هذه الظاهرة يجب التعرف على المنطق الكامن وراء تأثيرات المواقف والموارد ،لهذا السبب يطرح بورديو رؤية طوبولوجية Topologique للمجتمع ،فالمجتمع ليس هرما أو سلما ،بل يبدو "كفضاء للاختلافات ".[3]

1- محمد عبد الكريم الحوراني ،النظرية المعاصرة في علم الاجتماع –التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفة والصراع- ،دار مجدلاوي ،ط1 ،عمان ،2008 ،ص75.

2- أحمد موسى بدوي ،مابين الفعل والبناء الاجتماعي:بحث في نظرية الممارسة لدى بيير بورديو ،مجلة إظافات الصادرة عن: مركز دراسات الوحدة العربية ،العدد 08 ،بيروت ،خريف2009 ،ص12.

3- فيليب كابان ،علم الاجتماع -من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات- ،تر: إياس حسن ،دار الفرقد ،ط1 ،دمشق ،2010 ،ص208.

3) المؤشرات التكاملية للمقاربتين:

لقد عمدنا في هذا الجانب أن نوضح مراكز التقاطع النظري ،والإيبستيمي للمقاربتين في إطار ما يتماشى وموضوع دراستنا السوسيولوجية ،بما أن كل من العالمين الألماني يورغن هابرماس -JÜRGEN HABERMAS- ،والفرنسي بيير بورديو -P.BOURDIEU- كان لهما اهتماما واسعا بالثقافة والمثقف ومؤسسات المعرفة بشكل عام ،حيث أدرجنا هذه العملية في أهم المفاهيم والمصطلحات والتي كانت كالتالي :

مفاهيم النظرية التواصلية عند هابرماس	مفاهيم النظرية التوليفية عند بورديو
الفضاء العمومي - المجال العام.	الحقل - الموقع.
إتيقا المناقشة - البراديغم التشاوري.	رأسمال - التبرير.
السلطة التواصلية (الفعل).	السلطة الرمزية (الفعل).
العالم المعيش.	الحس المشترك.
مأسسة الرأي والإرادة(مبدأ المأسسة).	الإستراتيجية - الاستعداد.
العقل الأداتي.	العنف الرمزي - إعادة الإنتاج - الهيمنة.
المشاركة الفعالة.	الحس العملي - الممارسة - الفاعل.
قوة الاستقلالية.	الحرية - التميز.
الاندماج الاجتماعي.	الهابيتوس - عادة.

- ***جدول يوضح التقاطع المفاهيمي بين النظرية التواصلية والمقاربة التوليفية.***

8- السياق المفاهيمي للدراسة:

إن تحليلنا السوسيولوجي لموضوع الجامعة وإشكالية إنتاج الطالب المثقف ،قد أخذ بعدا مختلفا عن ما توصلت إليه الدراسات السابقة ،مادام أن فهمنا للظاهرة يمثل إعادة النظر في محتوى العلاقات الاجتماعية ،التي تحددها الجامعة بين الأطراف الفاعلة فيها ،حيث لا يمكن أن يقتصر تناولنا لمفهوم المثقف ،من دون التطرق إلى ماهية ما نريد البحث عنه شكلا ومضمونا؟ وبالتالي فلاشك أن أبرز ما أصبح يعاني منه الفكر العربي المعاصر في تحليله للواقع الاجتماعي ،والثقافي ،والسياسي للمجتمعات وللعلاقات الاجتماعية بين الأفراد ،هو وليد البعد المتأزم للإطار المفاهيمي للمصطلحات ،والالتباس الفكري للمفاهيم ومعانيهما الدلالية ،فقد شكلت جدلية العقلنة والفعلنة بين ثالوث الطالب والجامعة والتثاقف ،لدى المقاربات الاجتماعية في تحليلها العلمي ،عائقا ابستيمولوجيا من الناحية التعريفية ،التي لازالت الدراسات العربية تعاني من صياغة وترجمة المفاهيم والمصطلحات ،التي أنتجها الفكر الأوروبي الغربي ،وهو الأمر الذي جعل الباحث الاجتماعي تواجهه عوائق وصعوبات في عملية التحليل والتفسير ،عند تعمقه في فهم الظاهرة الاجتماعية ،لاسيما إشكالية المثقف والجامعة والمجتمع تحديدا ،ومن ثم طرحت هذه المسائل عدة تساؤلات مفادها : ما هو تعريف الطالب؟ وما هو مفهوم الجامعة في واقعنا المعاش؟ ماذا يمثل لنا مفهوم التثاقف في المجتمع؟ وماذا نعني بالمثقف ؟

على مبنى هذا الأساس ،حصرنا هذه المفاهيم في الإطار الذي نراه يقارب افتراضنا النظري وخصوصية منهجنا العلمي ،الذي يمكن أن نستنبط من خلاله العائق الابستيمي في الظاهرة الاجتماعية ،حيث ارتكز **مفهوم الطالب أو الطلبة** بالمنظور العلمي التقليدي على جماعة أو شريحة من المثقفين في المجتمع بصفة عامة[1] ،حيث يعتبر الطالب الجامعي ذلك الشخص ،الذي سمحت له كفاءته العلمية بالانتقال من المرحلة الثانوية أو مركز التكوين المهني أو الفني العالي إلى الجامعة تبعا لتخصصه الفرعي بواسطة شهادة أو دبلوم يؤهله

1- محمد علي محمد ،الشباب العربي والتغيير الاجتماعي ،دار النهضة العربية ،بيروت ،1985 ،ص16.

لذلك ،ويعتبر الطالب أحد العناصر الأساسية والفاعلة في العملية التربوية طيلة التكوين الجامعي ،إذ يمثل عدديا النسبة العالية في المؤسسة الجامعية[1]، كما أن الطلاب هم مدخلات ومخرجات العملية التعليمية الجامعية[2]،خاصة إذا ما وقفنا عن ميزة الفئة العمرية التي يمثلها الطالب الجامعي ،وسلمنا أنها تنحصر في شريحة الشباب ،حيث يعرف **"إسماعيل علي سعد"** الطلبة على أساس أنهم شباب ،وهم فئة عصرية تشغل وضعا متميزا في بناء المجتمع ،وهي ذات حيوية وقدرة على العمل والنشاط ،كما أنها تكون ذات بناء نفسي وثقافي يساعدها على التكيف والتوافق والاندماج والمشاركة بطاقة كبيرة تعمل على تحقيق أهداف المجتمع وتطلعاته[3] ،ولهذا يحدد الشباب الجامعي علاقته بالدراسة وفقا لثلاثة مبادئ كبرى تمثل الوظائف الأساسية للنسق الجامعي ،وهي: « وظيفة التأقلم مع سوق الكفاءات (المشروع المهني) ووظيفة التنشئة الاجتماعية (الاندماج في الوسط الجامعي والطلابي) وأخيرا وظيفة الإبداع الفكري (الأهلية الثقافية)» .[4]

وعليه يبقى **المدلول الإجرائي** لمفهوم الطالب الجامعي :"هو ذلك الدارس الذي يصل إلى أعلى مستوى من التحصيل المعرفي في مراحله التعليمية ،حيث يفتح له هذا المستوى مجال للإبداع والتعبير عن مكتسباته العلمية ،والتمتع بحق النقد والاختلاف وتقديم وجهات النظر في عملية تكوينه داخل الفضاء الجامعي والوسط الاجتماعي على حد سواء."

من هذا المنطلق ،يصبح من البديهي أن يختلف الباحثون في تعريفهم للجامعة بين من يعرفها على أساس عنصرها ،ومن يعرفها من منطلق طبيعتها ،إذ يراها **"رامون ماسيا مانسو"** « Ramon Macia Manso » أنها:"مجموعة أشخاص يجمعهم نظام ونسق خاصين ،تستعمل وسائل وتنسق بين مهام مختلفة للوصول بطرق ما إلى المعرفة العليا."[5] ،أما محمد الصالح مرمول فقد عرفها على أنها :" المؤسسة العلمية التي تضم النخبة الممتازة في

1- فضيل دليو وآخرون ،إشكالية المشاركة الديمقراطية في الجامعة الجزائرية ،مخبر التطبيقات النفسية والتربوية، قسنطينة ،الجزائر ،2006 ،ص226.

2- محمد عبد الرحمن عبد الله ،سوسيولوجيا التعليم الجامعي: دراسة في علم الاجتماع التربوي ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1991 ،ص26.

3- إسماعيل علي سعد ،الشباب والتنمية في المجتمع السعودي ،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ،1989 ،ص37.

4- François Dubet, « Dimensions et figures de l'expérience étudiante dans l'université de masse », Revue Françoise de sociologie, vol.xxxv, 1994, p152.

5- فضيل دليو وآخرون ،مرجع سابق ،ص211.

المجتمع ويمكن اعتبارها من هذه الناحية السلطة العليا بفضل ما يوجد فيها من أنواع العلم والمعرفة والبحث والاستكشاف والاختراع في مختلف ميادين العلم."[1]

ومن خلال دورها الوظيفي وطبيعة إنتاجها اعتبرها **السيد سلامة لخميسي** على أنها:" تلك المؤسسة التي تتبنى المستويات الرفيعة من الثقافة ،فتحافظ عليها ،وتضيف لها وتقدمها بعد ذلك إلى الطالب الذي يلتحق بها ما يجعل منه إنسانا مثقفا وشخصا مهنيا."[2] ،فمهما كانت أساليب التكوين وأدواته ،فإن المهمة الأولى للجامعة ينبغي أن تكون دائما هي التوصيل الخلاق للمعرفة الإنسانية في مجالاتها النظرية والتطبيقية ،وتمهيد الظروف الموضوعية بتنمية الخبرة الوطنية التي لا يمكن بدونها أن يحقق المجتمع أي تنمية حقيقية في الميادين الأخرى[3] ،وبالتالي بإمكاننا أن نعرف **الفضاء الجامعي عمليا** كونه الفضاء العلمي الذي تنشأ وتنضج فيه جل المعارف والثقافات التي يكتسبها الطالب في علاقات مؤسسة على فعل التأثير والتأثر جاعلة منه مجالا عموميا للتفاعل الحر وصرحا تواصليا للتعدد والاختلاف وتفعيل المبادرات المعرفية.

وفي هذا الصدد فان الفضاء الجامعي بهذه المواصفات ،سينتج ما يمكن تسميته بالعملية التثاقفية بين الفاعلين المكونين له ،لاسيما وأن **التثاقف** هو مجموعة الظواهر الناتجة من تماس موصول ومباشر بين مجموعات من الأفراد ذوي ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغيرات في النماذج (patterns) الثقافية الأولى الخاصة بإحدى المجموعتين أو كليهما[4] ،حيث يعتبر علماء الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي هذا المفهوم كونه عملية ديناميكية وعامل أساسي من عوامل صقل وتكوين الشخصية العصرية من خلال التفاعل والتواصل مع

1- محمد صالح مرمول ،دور الجامعة الجزائرية في تغيير البنية الاجتماعية ،مجلة سيرتا الصادرة عن: وزارة التعليم العالي ،العدد01 ،الجزائر ،ماي 1979 ،ص03.

2- السيد سلامة الخميسي ،المعلم العربي: بعض قضايا التكوين ومشكلات الممارسة المهنية ،درا الوفاء ،الإسكندرية ،2003 ،ص15.

3- محمد العربي ولد خليفة ،المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية ،الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1989 ،ص177.

4- دنيس كوش ،مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ،تر: منير السعيداني ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 ،بيروت ،2007 ،ص93.

الآخر[1] ،والتثاقف عملية موضوعية تؤدي عندما تتملكها الجماعة بوعي إلى تنمية كيانها الاجتماعي بشكل خلاق يغني مقومات الهوية الوطنية أو القومية أو الإنسانية .ولذلك فإن ترسيخ الوعي بأهمية المثاقفة في أي مجتمع بصورتها الحوارية الإيجابية يسهل التطوير الثقافي الإيجابي الفعال المؤدي في النتيجة إلى التقدم الاجتماعي .فالتثاقف يشير إلى تلك العملية.[2]

ومنه ،يمكننا تعريف **مفهوم التثاقف إجرائيا** على أنه سمة من سمات التواصل العقلاني بين فردين أو أكثر حيث يتميز كل طرف بخصوصيات ثقافية ومرتكزات معرفية خاصة به ،يظهر من خلالها استعداداته الذاتية في تقبله للآخر عبر آلية الحوار ،التي تفتح له حرية المناقشة وطرح التصورات والتعبير عن الفكرة بغية الارتقاء بالمعرفة والثقافة الفردية والمجتمعية بشكل عام.

وعليه **فالمثقف** من هذه الزاوية التي نريد إيضاحها والتعمق فيها امبريقيا هو ذلك الإنسان الملتزم بمفهوم **سارتر**: "الذي يدرك ويعي التعارض القائم في المجتمع ،بين البحث عن الحقيقة العلمية (مع كل ما يترتب على ذلك من معايير وضوابط) وبين الأيديولوجيا السائدة (مع المنظومة من القيم التقليدية) ،وما هذا الوعي بالرغم من أن المفروض فيه – حتى يكون فعليا وواقعيا- أن يتم لدى المثقف على مستوى نشاطاته المهنية ،ووظيفته أولاً ،وما هذا الوعي سوى كشف النقاب عن تناقضات المجتمع الجوهرية."[3] ،وقد ربط **"جورج قرم"** بين تعريف المثقف وبين مهماته ودوره الثقافي والاجتماعي ،ودوره في التفاعل والتثاقف بين الأمم ،ووضع مهمات المثقف في صلب حاجات مجتمعه وظروف هذا المجتمع ،لكنه قصرها على مهمات المجتمع الثقافية ،وما يحيط بها ،وعلى الموروث والتراكم المعرفي والعلمي[4] ،وهو الأمر الذي حدده المفكر **علي حرب** عندما قدم تعريفا معاصرا للمثقف بقوله :"فالمثقف في عصر الوسائط هو وسيط بين الناس ،يسهم في خلق

1- لحسن العقون ،التثاقف الاستراتيجيات والآثار ،مجلة علوم الإنسان والمجتمع الصادرة عن: كلية العلوم الاجتماعية بجامعة محمد خيضر ،العدد09 ،بسكرة ،الجزائر ،مارس 2014 ،ص205.

2- سمير إبراهيم حسن ،الثقافة والمجتمع ،دار الفكر ،ط1 ،دمشق ،2007 ،ص93.

3- جان بول سارتر ،دفاعا عن المثقفين ،تر: جورج طرابيشي ،درا العلم للملايين ،بيروت ،ص34.

4- انظر: جورج قرم :محاضرة بعنوان :المثقف والسلطة بين المعانقة والمفارقة ،هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ،25-02-2009.

وسط فكري أو عالم مفهومي أو مناخ تواصلي ،أي ما من شأنه أن يزيد في المجتمع من إمكانات التواصل والتبادل والتعارف."[1]

وفي هذا السياق يعد **المثقف بالمفهوم السوسيولوجي** "ذلك الفاعل العلمي والاجتماعي الذي يعمل على إنتاج الأفكار المبنية على إستراتيجية نقد الذات ،التي يتأسس من خلالها وعيا نقديا للمجتمع."

وعلى هذا الأساس يبقى الطرح المهم في هذه المسألة التي تندرج ضمن مجال اهتمامنا في هذه الدراسة هو البحث (ميكرو-سوسيولوجيا) في مدى علاقة هذه المفاهيم الإبستيمولوجية والمصطلحات العلمية داخل الواقع الجزائري؟ وفيما يتمثل تأثيرها على الفرد والمجتمع؟

1- علي حرب ،حديث النهايات-فتوحات العولمة ومآزق الهوية- ،المركز الثقافي العربي ،ط2 ،المغرب ،2004 ،ص131.

II. الإجراءات المنهجية للدراسة:

1- مجالات الدراسة:

تعد مهمة تحديد مجال الدراسة أو تأطير المجتمع الإحصائي للبحث ،من أهم الخطوات المنهجية العملية في الدراسات العلمية والبحوث السوسيولوجية ،حيث تتطلب من الباحث التحلي بالدقة والموضوعية المتناهية والبالغة في سبيل ضبط جل الجوانب والأطر التي يراد الوصول إليها ،أين ينبني عليها إجراء البحث وتصميمه وجدارة نتائجه ،لاسيما بعد أن تحتم عليه هذه العملية الإجابة على ثلاث أسئلة رئيسية وهي:

أين ستجرى الدراسة ؟ومن هم الذين سيجرى عليهم البحث ؟ومتى سيكون ذلك؟

وهو الأمر الذي سنحاول الإجابة عنه من خلال عرض العناصر الآتية:

أ- المجال المكاني:

على اعتبار أن إشكالنا الجوهري في هذه الدراسة (الجامعة ومعضلة إنتاج الطالب المثقف) ،هو مقترن بالفضاء العلمي والأكاديمي والبيداغوجي ،الذي يسهل علينا مسألة التعمق في الظاهرة وفهمها فهما علميا ،وتحليلها تحليلا نقديا لما هو سائد نظريا وميدانيا ،فإن اختيارنا دون شك قد انحصر في إحدى الجامعات الكائنة بالتراب الوطني ،والتي حددناها بواحدة من ولايات الغرب هي سيدي بلعباس ،التي تبعد عن العاصمة الجزائرية بـ460 كلم ،حيث غطت دراستنا الميدانية لهذه الظاهرة كلية العلوم الاجتماعية التابعة للقطب الجامعي لجامعة جيلالي اليابس.

ب- المجال البشري:

تضم كلية العلوم الاجتماعية بالقطب الجامعي لجامعة جيلالي اليابس بسيدي بلعباس حسب إحصائيات السنة الجامعية 2014-2015 ،حوالي 1058 طالب مصنف إلى أربع تخصصات (جذع مشترك علوم اجتماعية ،فلسفة ،علم الاجتماع ،علم النفس) .

1/ جدول يبين تصنيف طلبة التدرج.

الطور الجامعي	السنة الأولى ج مشترك	السنة الثانية	السنة الثالثة
عدد الطلبة	232	230	219

2/ جدول يبين تصنيف طلبة ماستيرعلوم اجتماعية بمختلف التخصصات.

الطور الجامعي	السنة الأولى	السنة الثانية
عدد الطلبة	228	149

وباعتبار أن تناولنا للموضوع قد تمحور أساسا في مستوى الماستير ،بحكم أن البحث في خصوصيات إنتاج الطالب المثقف ،لا يمكن أن تتجلى أكثر إلا على ضوء هذه المستويات أو أعلاها ،وعليه ارتأينا إلى التركيز على طلبة ماستير علم الاجتماع السياسي ،من أجل تحليل هذه الظاهرة ،لاسيما وأن هذا القسم يحتوي على 28 طالبا ،مصنف حسب الجنس بـ(16 طالبة) و(12 طالب). ومن باب التعمق في مسألة إنتاج الطالب المثقف ،الذي يحمل مواصفات (الوعي النقدي للمجتمع ،الالتزام الثقافي والاهتمام بالشأن العام) ،أولينا تحليلنا هذا إلى شريحة الطلبة المختصين في علم الاجتماع -علاوة عن ذلك- ،لما تربطهم من علاقة مباشرة بمشكلات وخصوصيات المجتمع على أكثر من مستوى ،ليس بالمفهوم القصدي للكلمة ،وإنما من منطلق الاعتبارات الشخصية ،التي يختص بها الباحث

السوسيولوجي ،من حيث الحس النقدي والنزعات التفكيرية الاستفهامية من جهة ،ومن حيث المهام الموكلة إليه في فحص وتطبيب المجتمع العام من جهة أخرى ،وعليه وبما أن حجم المجتمع الاحصائي المدروس هو 28 طالب وطالبة ،فقد أخذنا النسبة العلمية والمنهجية للإجراء العملي لهذا البحث في حدود 50% ،ومن هنا انحصر العدد المؤكد للمبحوثين في السلم الحسابي التالي:

$$\frac{28 \times 50}{100} = 14 \text{ طالب.}$$

ج- المجال الزمني:

أنجز هذا البحث في السنتين الجامعيتين2013-2014 و2014-2015 ،حيث انقسم استغراقنا لهذا العمل إلى مرحلتين ،تمثلت المرحلة الأولى في الجانب الاستكشافي والاستطلاعي لمستويات الموضوع ،بعد أن أخذت منا فترة القراءات النظرية وانتقاء المراجع الهامة لمشكلة البحث وقتا كبيرا ،وذلك ابتداء من شهر نوفمبر2013 إلى غاية سبتمبر2014 ،ويرجع ذلك لكوننا لم نتكيف بالشكل اللازم مع تخصص علم الاجتماع الثقافي ،نظرا للتخصص السياسي الذي تكونا عليه سنوات التدرج ،وكذا اعتمادنا على مختلف المقاربات والمفاهيم ،والكتب السوسيوسياسية في تحضير مذكرة التخرج لنيل شهادة الإجازة (الليسانس) ،كما حددنا رزنامة خاصة في استطلاعنا الاستكشافي للميدان ،امتدت ما بين ديسمبر2014 وجانفي2015 ،وكان عبارة على معاينة سطحية للكشف على بعض من أبعاد الإشكالية المحورية للظاهرة المدروسة.

أما الجانب الميداني المباشر لهذه الدراسة فقد استغرق انجازه أكثر من 5 أشهر ابتداء من شهر فبراير2015.

2- منهج البحث:

تكتسي الطريق التي ينتهجها الباحث في معالجة موضوع معين أو ظاهرة ما ،أهمية كبرى لا تقل أهمية عن الجهد ،الذي يبذله في جمع المعلومات حولها وتفسيرها ،واستنباط النتائج والقوانين العلمية ،على افتراض أن سلامة الطريق توصل إلى نتائج علمية سليمة وتختزل الوقت والجهد ،ولذلك مطلوب من كل من يباشر إعداد مذكرة تخرج أو بحث أكاديمي ،أن يعطي لهذه المرحلة من البحث اهتماما كبيرا ،فهي الأساس الذي يقوم عليه البحث والمعيار الذي تقيم على منواله نتائج الدراسة[1] ،حيث يعتبر المنهج الدراسة الفكرية الواعية للمناهج المختلفة ،التي تطبق في مختلف العلوم تبعا لاختلاف موضوعات هذه العلوم ،وقسم من أقسام المنطق ،وليس المنهج سوى خطوات منظمة يتبعها الباحث في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها إلى أن يصل إلى النتيجة.[2]

فمن هذا المنطلق ،وبما أن المنهج العلمي قد اتخذ أبعادا وأشكالا متعددة في دراسة الظواهر المختلفة وإدراك الحقائق والأشياء ،نظرا لاختلاف المدارس النظرية المفسرة لها ،فسيصبح محتوما على أي باحث أن يختار منهجا معينا من اجل الإجابة على سؤال إمبريقي مفاده:

كيف يمكن للباحث أن يعرف مؤشرات الموضوع الذي يريد دراسته؟

وعليه ارتأينا في موضوعنا المتعلق بإشكالية الجامعة الجزائرية ومعضلة إنتاج الطالب المثقف أن نختار المنهج الملائم لهذه الظاهرة والتي سبق وأن نوهنا إلى صور وأشكال تبلورها من حيث البعد النقدي والتمحيص التحليلي في جانبه الميكرو-سوسيولوجي المنبثق عن السؤال المحوري لهذا البحث ،لاسيما وأن طبيعة طرحنا للإشكالية ،قد استند على وضع نوع من الجدل ،الذي طرحته مختلف الدراسات السابقة من جهة ،ضف إلى ذلك الخصوصية الابستيمولوجية التي تكيفت بها الفرضية ،ومنه صيغت من مستوى نقدي كذلك ،مما يستوفي بشكل أدق زاوية محددة في الإجابة عن التساؤلات ،التي قدمها الإطار النظري للموضوع ،وبالتالي فقد وقع اختيارنا على المنهج الكيفي التحليلي ،الذي يعتبر سمة

1- محمد أحمد الزغبي ،المنهج العلمي في البحث السوسيولوجي في ضوء النظرية العامة للمعرفة العلمية ،مجلة دراسات عربية الصادرة عن دار الطليعة ،عدد 03 ، السنة 19 ،بيروت ،1993 ،ص86.

2- عمار بوحوش ومحمود الذنيبات ،مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1995 ،ص11.

من سمات البحوث النوعية ،التي تؤمن بأن السلوك الإنساني مرتبط دائما بالسياق الذي حدث فيه ،وأن الواقع الاجتماعي (مثل الثقافات والموضوعات الثقافية والمؤسسات ،وغيرها) لا يمكن خفضه إلى مجموعة من المتغيرات بنفس الأسلوب الذي يحدث في الواقع الطبيعي[1] ،حيث أننا ارتأينا من خلال إدراجنا لهذا المنهج أن نحدد المعاني والدلالات ،التي تنتجها العلاقات التفاعلية بين الأفراد داخل فضاء الجامعة في سياقاتها النقدية ،والتي نجانب من منطلقها كل ماله علاقة بالنتائج الكمية والبيانات الإحصائية ،ذلك أن المنهج الكيفي التحليلي في صورته النقدية يمثل الأسلوب ،الذي يعتمده الباحث السوسيولوجي في دراسة الظاهرة الاجتماعية ،والتي تعتمد أساسا على التحليل النقدي للواقع القائم وللنظرية التقليدية في التحليل الاجتماعي.[2] وهو ما نود تبيانه في هذا العمل من خلال الغوص في البحث عن ترسبات هذه المشكلة بأدوات علمية كيفية.

1- رجاء محمود أبو علام ،مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية ،ط4 ،دار النشر للجامعات ،القاهرة ،2004 ،ص265.
2- عامر مصباح ،علم الاجتماع الرواد والنظريات ،دار الأمة ،ط1 ،الجزائر ،2010 ،ص283.

3- تقنيات جمع البيانات:

مع تعدد النظريات والمقاربات المفسرة للظواهر المجتمعية داخل الحقول العلمية الاجتماعية والإنسانية ،لاسيما علم الاجتماع على وجه التحديد ،طرح جل الباحثين والدارسين لهذه المشكلات البحثية مسألة إشكالية ضرورية تحددت في :كيف يمكن للباحث الاجتماعي أن يجمع المعطيات الخاصة بموضوع دراسة معينة أو ظاهرة ما ؟ ،وبالتالي اعتبرت تقنيات جمع البيانات من الأدوات الأساسية ،التي يجب على أي دارس أن يستعملها بغية تناول أي بحث ،تتماشى طبيعتها وطبيعة المنهج العلمي المتبع لذات الموضوع ،وعليه وبما أن دراستنا لإشكالية الجامعة ومعضلة إنتاج المثقف ،تدخل ضمن الدراسات الكيفية والمقاربات النقدية الاستنتاجية ،فإن هذه الطريقة تستخدم تقنيات البحث النوعي لدراسة وقائع محددة(دراسات الحالة والملاحظة ،والمقابلات شبه منظمة وغير منظم، وما إلى ذلك...) ،حيث يوفر هذا النهج معطيات تمثل جوهر المحتوى ولا يقدم معطيات رقمية.[1]

وفي هذا الصدد ارتأينا إلى استعمال أداة **المقابلة** ،التي تعتبر الوسيلة الأساسية في الوصول إلى الحقائق ،التي لا يمكن للباحث معرفتها من دون النزول إلى واقع المبحوث والإطلاع على ظروفه المختلفة والعوامل والقوى التي تؤثر فيه[2] ،وهو ما أردنا تبيانه من خلال احتكاكنا بالطلبة ،لتمحيص المعاش لديهم داخل الفضاء الجامعي ،ومن ثم تكون المقابلة في ذاتها هي :" تبادل لفظي بين السائل والمجيب أو أنها على حد تعبير –وليام جود- عملية من عمليات التفاعل الاجتماعي"[3] ،من هذا المنطلق تطلبت منا طبيعة الافتراض العلمي ،الذي تقدمنا به آنفا إلى التركيز على صنف المقابلات الحرة أو المفتوحة ،والتي يقصد بها فتح المجال أمام المقابل لكي يطرح جل انشغالاته بكل حرية وطلاقة

1- ASSIE GUY ROGER- KOUASSI ROLAND RAOUL, Cours d'initiation a la méthodologie de recherche école pratique de la chambre et d'industrie – ABIDJAN, p05.

2- عبد الغني عماد ،منهجية البحث في علم الاجتماع (الإشكاليات ،التقنيات ،المقاربات) ،دار الطليعة ،ط1 ،بيروت ،2007 ،ص72.

3- قباري محمد إسماعيل ،مناهج البحث في علم الاجتماع :موقف واتجاهات ،منشأة المعارف ،الإسكندرية ،1982 ،ص156.

،حيث يعتمد الباحث إلى توجيه المقابلة حسب ظروف إجرائها وحسب وضعية المبحوث ،فتكون المقابلة حرة تبعا لتقدير الباحث لكيفية إجرائها.[1]

علاوة على اتخاذنا لتقنية المقابلة كوسيلة أساسية في البحث أردنا توظيف أداتين ثانويتين ومساعدتين للتوصل إلى نتائج أكثر موضوعية تمثلت أولى هذه التقنيات في الملاحظة المباشرة بعد أن تتبعنا بعض الحصص التطبيقية للطلبة المعنيين وفق فترات متقطعة خاصة وأن الملاحظة هي عملية مراقبة أو مشاهدة لسلوك الظواهر والمشكلات والأحداث ومكوناتها المادية والبيئية ومتابعة سيرها واتجاهاتها وعلاقاتها بأسلوب علمي منظم ومخطط وهادف بقصد التفسير وتحديد العلاقة بين المتغيرات والتنبؤ بسلوك الظاهرة وتوجيهها لخدمة أغراض الإنسان وتلبية احتياجاته[2] ،أما الإجراء الثاني فقد حصرناه في تنظيم مقابلات بسيطة مع مجموعة من الأساتذة الجامعيين والذي يكمن موقعهم في اعتبارهم طرفا آخر في تفاعلات الطالب داخل الحقل الجامعي وذلك من خلال أخذ انطباعاتهم ورؤاهم وتمثلاتهم الضمنية لفهم أبعاد هذه الدراسة.

1- عمار حمداش ،تقنيات البحث السوسيولوجي ،جامعة ابن طفيل ،ط1 ،المغرب ،2006 ،ص38.
2- محمد عبيدات وآخرون ،منهجية البحث العلمي-القواعد والمراحل والتطبيقات- ،دار وائل للنشر ،ط2 ،عمان ،1999 ،ص73.

- **خاتمة:**

بعد استعراضنا لجل القراءات النظرية والاستطلاعات الميدانية ،التي تخص المدخل السوسيولوجي لإشكالية الجامعة ومعضلة إنتاج الطالب المثقف في الجزائر ،يكفي القول أن مهمة البحث في إحداثية الميكرو-اجتماعي ،قد تحتاج جملة من الآليات التمحيصية الدقيقة من أجل تفكيك وتشريح الواقع الفعلي للظاهرة ،لاسيما وأن اللحظات التساؤلية لمقتضيات هذا الاهتمام العلمي ،لها حساسية ابستيمولوجية في موضعتنا لأطروحاته ،بحكم أننا نمثل ثنائية جدلية بين وظيفة الباحث وموضوع الدراسة في آن واحد ،ناهيك عن اعتمادنا على المحتوى الموسوعي ،المتجاوز للإطار الخصوصي في فهم واستنتاج مخرجاتها ،وذلك من خلال انتهاجنا لمرجعيتين نظريتين في قوالب هذا التحليل ،الممزوجة بين ما هو نقدي تواصلي وما هو بنيوي توليدي ،ومن هنا تبقى إلزامية الكشف عن خصوصيات المشكلة البحثية من أهم المعطيات العلمية الجوهرية ،التي تستوجب منا تسليط الضوء عليها ،بغية الوصول إلى النتائج المرجوة في افتراضات البحث ،وعليه فإذا كانت العملية التثاقفية بين المتمدرس وعضو هيئة التدريس ،هي المحدد الرئيسي في إعاقة إنتاج الطالب الفعال داخل ما نسميه –بالمخبر الأولي لإنتاج المثقف- في المجتمع الجامعي بالجزائر ،فإن أحواز التساؤل التي تؤول بنا إلى تأكيد متون هذه المسألة ،يتمثل بشكل جلي في:ما هي التمظهرات السوسيوثقافية التي تتسم بها إحداثيات البراديغم التواصلي داخل الفضاء الأكاديمي للجامعة الجزائرية؟ وأي سمات للجزئيات العلائقية التثاقفية تحمله الجامعة وفاعليها على مستوى الواقع المعاش؟.

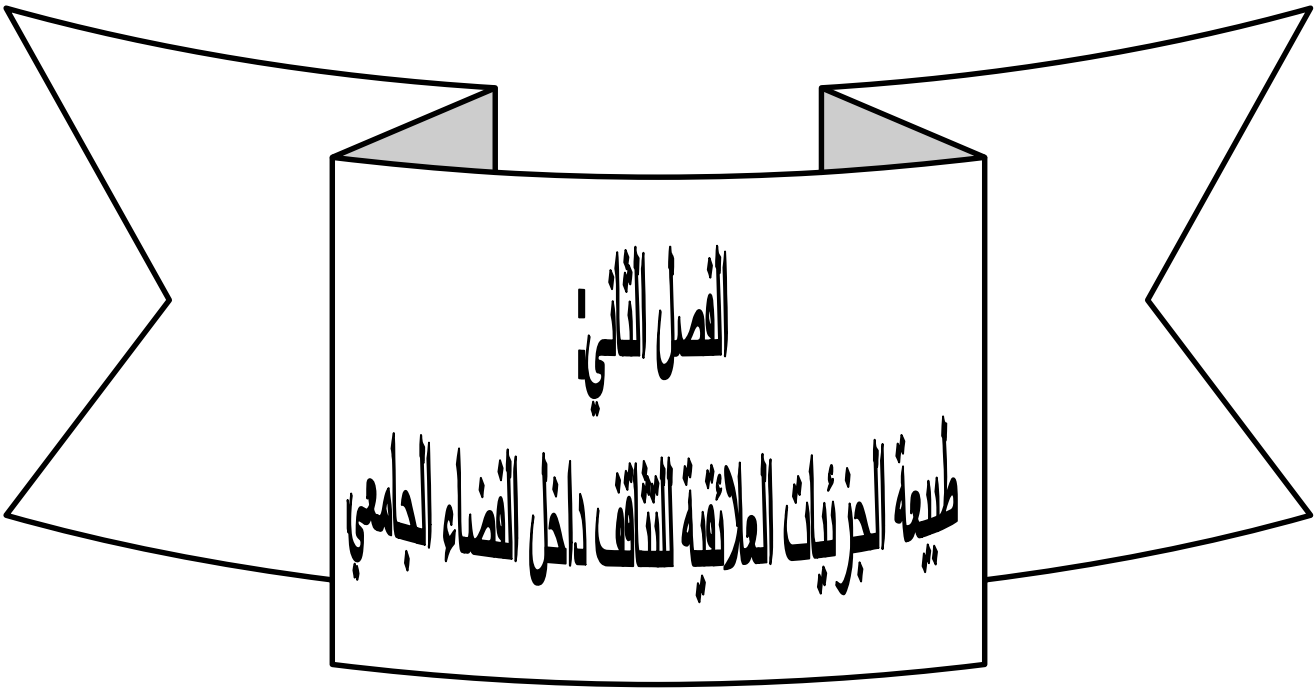

"..لا يمكننا أن نؤسس لحوار الثقافات من دون تبني ثقافة الحوار."

- **تمهيد:**

إن الضرورة الحتمية التي أضحت تتطلبها عمليات المثاقفة والمثاقفة النقدية في المجتمعات الحضارية والمدينية المركبة ،لما تحتويه من مسارح دينامية تحاكى فيها الثقافات ،وتتلاحم في سريانها الأفكار ،وتتجابه عبرها المعارف والعلوم ،قد أضفت على مشروعيتها التعاقدية طابعا مؤسساتيا ،تلج داخله هذه الحركية التنويرية بمختلف تناقضاتها ،واختلافاتها القيمية والمعيارية ،والتي لا تستثنى مفارقاتها الظاهراتية ،ولا تحتكم اعتباراتها البراهينية ،إلا على الميدان العلمي المستقل ،الذي تعقلن فيه السلوكيات وتفعلن فيه التمثلات بشكل عام. ولعل التتويج الريادي الذي نالته نشأة الجامعة في شتى الأصعدة ،قد قدَم وجها جديدا من أنماط التفاعل وإنتاج العلاقات التواصلية ،في الوقت الذي وصلت فيه حلقاتها الوظيفية ،وبنياتها النسقية إلى درجة كبيرة من التعقيد ،وهو ما جعل مهمة البحث عن واقع هذه الأوساط في البلدان العربية ،ومنها الجزائر تحديدا ،يستبقها غموض إبستيمولوجي في صناعة النموذج ،الذي يراعي إحداثية التكامل بين الخصوصيات الأنثربولوجية والمتطلبات الكونية ،نظرا لما تشهده الجامعة الجزائرية منذ عقود من تشنجات وتشوهات ثقافية ،ومعرفية على مستوى منظومة القيم ومنهاج التفكير ،وبالتالي فإن إشكالية فهم الخلفيات والدوافع الكامنة وراء إعاقة إنتاج الطالب المثقف في المؤسسة الجامعية ،هو في واقع الحال ،محاولة للتعرف عن مدى وجود معالم ومؤشرات هذه المثاقفة داخل المجال الأكاديمي بالأساس ،وهو ما ارتأينا إلى الكشف عنه في هذا الفصل من الدراسة ،الذي تناولنا فيه "طبيعة الجزئيات العلائقية للتثاقف داخل الفضاء الجامعي" ،حيث تطرقنا في هذا الجانب ،إلى تبيان ما نسميه "بالرباعية الشرطية لعقلانيات التواصل" بين الأستاذ والطالب في المجتمع الجامعي ،الذي يجمع بين توصيفات البيئة المعرفية ،وكينونة المراكز المتفاعلة ،ومحددات الأسلوب التشاركي ،ضف إلى ذلك حيثيات اللغة الخطابية كأداة للتذاوت ،مما سيسمح لنا باستظهار مواطن المشكلة البحثية من حيث السياق والدلالة ،بالنقديات التحليلية السوسيولوجية.

1- خصوصية البيئة الجامعية كفضاء للعملية التثاقفية:

تعد الجامعة في سياقها العام ،إحدى أهم الفضاءات العلمية ومؤسسات الإنتاج الفكري التي تؤسس لما يسمى بـ*"مجتمع المعرفة"* ،لاسيما وأن هذا المجتمع ككينونة مصطنعة ،يعتبر نظاما تشكل فيه المعرفة والمعلومات مصدرا أساسيا ،الأمر الذي دفع البعض إلى تقسيم العالم –على أساس المعرفة- إلى مجتمع للمعرفة ومبتكريها ،ومجتمع مستهلك لهذا المنتج المعرفي[1] ،بحكم أن هذا النشء الجديد بخصائصه وشروطه وتركيباته قد أعطى لبنيته عدة أطر ومراصد تنبني على إثرها شبكة العلاقات الاجتماعية بجميع مستوياتها ،ولعل أبرز هذه المحددات تركز في جوهرها على أن مجتمع المعرفة والمعلومات لا مجال فيه للأمية والجهل والعشوائية والفساد بشتى أنواعه ،إنه مجتمع تحكمه وتسيره المعرفة بنفس القدر الذي يكون فيه هذا الأخير منتجا لهذا المجتمع ،ليدل على أنها علاقة ديناميكية شديدة الارتباط[2] ،خاصة إذا ما اقترنت بالمعالم التي تتجسد من خلالها العملية التثاقفية بين الفواعل المكونة لها ،فإذا كان المجال العام يمثل البيئة المعرفية للجامعة المعاصرة اليوم ،باعتباره فضاء يتجمع فيه الأفراد لتشكيل ما يقترب من الرأي العام حول احتياجات المجتمع من الدولة وللنقاش حول المسائل العامة بشكل عقلاني[3] ،من منطلق أن الواقع في تكوين هذا الرأي العام هو مرتهن إلى المناقشة حول قضايا المصلحة العامة المشتركة بين الأفراد الخواص المعتمدين على عقولهم ،والمعترف لهم بحق الاتحاد والاجتماع والتعبير الحر عن آرائهم وتقديراتهم للأمور[4] ،فإن ما كشفته لنا الدراسة السوسيولوجية عن هذه الخصوصية على مستوى الجامعة الجزائرية بقيمها الثقافية ومعاييرها الاجتماعية ودلالاتها الرمزية ،هو غياب شبه كلي لمظاهر هذا المجال شكلا ومضمونا ،حيث أصبح المحيط الجامعي لا يمثل الاستثناء الديناميكي داخل المجتمع الجزائري الذي يفتح سبل الحريات

1- عبد العالي دبلة ،مدخل إلى التحليل السوسيولوجي ،دار الخلدونية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011 ،ص197.
2- المرجع نفسه ،ص198.
3- محمد فوزي كنزاي ،براديغم مدرسة فرانكفورت على المحك :منظور اتصالي ،الصادر عن مجلة :البحوث والدراسات الانسانية بجامعة سكيكدة ،العدد 09 ،الجزائر ،2014 ،ص111.
4- الطيب الحيدي ،الاعتراف وهوية الذات المواطنة في الفضاء العمومي المشترك ،الصادر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ،قسم العلوم الإنسانية والفلسفة ،الرباط ،المغرب ،ص01.

الفردية ويضمن حق التعبير عن الرأي والانفتاح على الآخر ،لاسيما بين الأساتذة والطلبة على وجه التحديد ،إذ تبين للطالب أن الجامعة في واقعها المعاش لا تضاهي عالم المثل والتصورات الأولية التي يطمح إليها في مساره الدراسي من جهة ،وليست تلك التمظهرات التي يحملها الخطاب الرسمي في نشر إيديولوجيته التعبوية داخل المجتمع من جهة أخرى ،مما شكل نوع من الهوة بين الطموحات والواقع استلهاما من هذه الدعائم التي يفترض أن تحقق ما يسمى بـ *"الجودة"* على مستوى التعليم العالي الذي يجمع بين المادة المعرفية والحقل الأكاديمي والطاقة البشرية ،حيث أننا ومن منطلق استجواباتنا الميدانية حول تصورات الطالب عن هذا الفضاء أجابنا أحد المبحوثين قائلا :"هناك اختلاف كبير بين الصورة العامة والصورة الحقيقية للجامعة فما تلقيته عن هذا الوسط قبل التحاقي به لم أشهده وأنا طالب به منذ سنوات"[1] ،فيما ذهب مقابل آخر للقول :"كيف سأعرف الفضاء الجامعي اليوم ،مادام أن المجتمع بعاميته أصبح يرى في أن الجامعة باتت فارغة من أي محتوى؟"[2] ،فعلى مبنى هذا الطرح يرى الباحث الاجتماعي –ناصر جابي-* عندما تساءل عن ماذا يحدث في الجامعة؟ :"أن الجامعة قبل أن تكون ميزانيات تصرف وعددا من الطلبة يتزايد وأجورا تمنح ،هي مؤسسة للإنتاج الفكري والعلمي وفضاء للإبداع والاختراع في كل المجالات ،هي حوارات فكرية وعلمية رفيعة المستوى ،منفتحة على الفكر الإنساني في أنقى صوره ،هي شروط عمل محفزة على الاختراع والبحث في كل الميادين و المجالات ،الآني منها والمستقبلي ،هي قيم علمية وأكاديمية محترمة ،بل مقدسة في العلاقات بين مختلف الأطراف المكونة للأسرة الجامعية [...] ،فلا توجد لدينا في الجزائر جامعة حتى الآن"[3] ،ولو أن في البداية –يضيف الكاتب في موضع آخر- لابد من القول أن منظومة التعليم ككل بما فيها الجامعة ،كانت وسيلة التغيير الأساسية في المجتمع الجزائري وقواه الشعبية تحديدا التي تيقنت أن هذه الجامعة والمدرسة لم تعد وسيلتها المثلى في الترقية ،كما كان الحال السابق[4].ففي ظل هذه الظروف السائدة عن الجامعة الجزائرية كفضاء للتفاعل

1- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 02، بتاريخ:22-01-2015 ،التوقيت :[12:00-13:00].
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 04 ،بتاريخ :13-02-2015 ،التوقيت :[16:00-17:00].
***- أستاذ في علم الاجتماع السياسي بجامعة الجزائر-العاصمة-**
3- ناصر جابي ،مواطنة..من دون استئذان ،منشورات الشهاب ،الجزائر ،2006 ،ص148.
4- ناصر جابي ،الجزائر: سنوات بوتفليقة –مقالات في السياسة والاجتماع- ،دار الأمة ،الجزائر ،2013 ،ص102.

المعرفي والحراك الثقافي ،أضحى تأثيرها يشكل عدة حواجز ومعيقات تمنع من تفعيل التواصل العلمي والتثاقفي بين الأستاذ والطالب داخل مجال التدريس ،مما أضفى طابع العشوائية كإطار قيمي ،وغيب عليه صورة الخصوصية المكانية كبنية تحتية ،لتنتج عن هذه الجدلية القائمة بين استعدادية الطالب التصورية وانعكاساتها الإرتدادية الواقعية ما يمكن تسميته بـ:***"الصدمة الكونية"*** * ،التي تمثل الحالة الاستعابية التي يصطدم فيها المعقول باللامتوقع داخل وسط اجتماعي معين ،ومن ضمن ما أظهرته لنا الدراسة في هذا المضمار ،أن هذه الصدمة باللامفكر فيه ،قد أخذت عدة مستويات وأشكال تدفعنا للتساؤل عن ماهية تجلياتها؟ وفيما تتمثل ركائزها المعرفية والاجتماعية؟

أ- صدمة الجديد داخل النمط التقليدي:

إن أهم ما يميز نجاح واستمرار الطالب في الدراسة الجامعية ،هو ذلك التوافق الذي يجمعه بالمجتمع الجامعي على جميع الأصعدة ،خاصة وأن عدم توفر هذا النوع من التوافق يعتبر مؤشرا على أن هناك حاجات غير مشبعة للطالب داخل البيئة الجامعية التي يدرس فيها ،وعدم إشباع جزء من هذه الحاجات يؤدي إلى نقص في مستوى التوافق مع المجتمع الجامعي لدى الطالب مما يترتب عليه نقص أو تعثر آرائه أثناء فترة التعليم وما بعدها[1] ،ومن أوجه ما أعاق الطالب الجامعي في الجزائر عن تحقيق هذا النموذج ،هو غياب ملامح الفضاء الجديد بمختلف مكوناته التي تصنع الفارق خارج المعطيات المعاشة ،لاسيما وأن الجامعة في أساسها تعتبر مصدرا لقيم جديدة تخصها كمؤسسة اجتماعية لها وظائف معينة وطرق تسيير محددة وآليات عمل نمطية تتوضح أكثر بالنظر إليها كمنتجة أفكار ومعارف ونماذج سلوك[2] ،وعليه فإن الاندفاع الذاتي للطالب الجامعي لكل ما هو تحديثي -خاصة وأن هذه الفئة غالبا ما تنحصر عند حلقة الشباب- قد أدى به إلى وضع المجال العام للجامعة على أنه عالما مغايرا عن باقي العوالم والفضاءات التي يتفاعل معها في إطار علائقية

---

*- "الكونية": استعملنا هذا المفهوم كدلالة على المجال المكاني في مستواه الضيق ونطاقه المحلي.

1- محمد جعفر جمل اليل ،دراسة لبعض المتغيرات المرتبطة بالتوافق مع المجتمع الجامعي طلاب وطالبات جامعة الملك فيصل ، المجلة العربية للتربية ،الصادرة عن :المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،العدد01 ،تونس ،ديسمبر 1993 ،ص20.

2- نسيمة مخداني ،الجامعة الجزائرية بين الأصالة والمعاصرة ،دار قرطبة للنشر ،الجزائر ،2013 ،ص205.

الحياة اليومية التي يعيشها ،وهو ما كشفه لنا أحد المستجوبين بقوله :"إن تصوري الأولي للجامعة كفضاء يعتبره بمثابة عالم اكتشاف"[1] ،إلا أن تحديات الواقع وما تفرزه من مظاهر على مستوى فعل الممارسة الفعلية للأفراد ،أظهرت لنا مدى تأثير وهيمنة المجتمع العام بمختلف جذوره التقليدية وقيمه الشعبوية على المجتمع الجامعي كحيز أكاديمي بمعاييره العقلانية وأطره الحداثية ،حيث أضحت شتى التفاعلات الاجتماعية بين الطالب والأستاذ داخل القاعة-ما نسميه بالمخبر الأولي لإنتاج المثقف- تحكمها انطباعات الفرد العامي ثقافيا وسلوكيا كونها حتمية اسقاطية لما يعبر عنه -ابن خلدون- في مقدمته بـ:*"ولع المغلوب بالغالب"* * ،في إشارة لوجود تبعية الجامعة للمجتمع قيميا ،مما شكل *"صدمة كونية"* لدى الطالب بالموازاة مع ما حمله كتمثل صوري حول المشهد الجامعي انطلاقا من إستراتيجيته واستعداداته الذاتية ،وهو ما أوضحه لنا أحد المبحوثين قائلا :"لقد أصبحت قيم الجامعة تحمل كل القيم التقليدية الخامة التي يتسم بها المجتمع الجزائري والتي تهدف جلها إلى الحفاظ على المألوف وتنبذ كل ما هو جديد"[2] ،فعلى مبنى هذا الأساس يرى الباحث -سمير إبراهيم حسن-[**] في قراءته لنمطية الثقافة الجديدة بين الرفض والقبول بأن :"غالبا ما تكون النظرة إلى كل شيء جديد على أنه يمثل تحديا لوضع راهن مستقر شكلته التقاليد والقيم والثقافة الراسخة ،ويكون من الصعب على المرء أن يعاود التفكير بذلك."[3] ،وبالتالي فإن المجتمع الذي يخاف الإبداع ويرى في قوى الخلق خطرا عليه (على تقاليده وتراثه) عمد إلى القضاء عليه بوسائله المختلفة وانجح هذه الوسائل هي قهر الفرد في صغره ومن ثم تكبيله فكريا ونفسيا في الكبر.[4]

ففي ظل غياب النموذج الجديد في سياقه المعرفي والتواصلي بين الأستاذ والطالب داخل القاعة ،اتسم المناخ الجامعي بالثبات والتقوقع على نفس الأطر والمكونات التي فرضت عليه أو اندرج تحت غطائها ،ومنه إذا كانت هذه النمذجة من المجال هي من طرحت

1- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 08 ،بتاريخ :06-04-2015 ،التوقيت :[12:00-13:00].

***- أنظر محاضرة: محمود السيد ،لغة الغالب والمغلوب: تفاعل أم تغييب ،بتاريخ:25-04-2009 :**
http://www.dalilalkitab.net/?id=264

2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 07 ،بتاريخ :06-04-2015 ،التوقيت :[10:00-10:45].

****- باحث وكاتب سوري.**

3- سمير إبراهيم حسن ،الثقافة والمجتمع ،مرجع سابق ،ص 424.

4-إسماعيل زروخي ،دراسات في الفكر العربي المعاصر ،دار الهدى ،الجزائر ،2002 ،ص 96.

جزئيات هذه الصدمة عند الطالب ومن ثم تعد إحدى معيقات تفعيل العملية التثاقفية في علاقته بالأستاذ والطلبة على حد سواء ،فإن التساؤل الهام الذي يطرح على ضوء هذه الخصوصية مفاده هو :ما هي طبيعة المواد والمحتويات التي يحملها هذا الوسط إذا ما كرست ما يسميه -أوغست كونت **Auguste Comte** -* بـ :*"الأستاتيكا الاجتماعية"* داخل الجامعة؟ وأي امتدادات دلالية وارتدادات رمزية تميز الفضاء في ظل انعدام مبدأ المجتمع الجامعي الجديد؟

ب-صدمة المعرفة في ميزان الأدلوجة:

تكتسي العملية التثاقفية في بعديها التواصلي والتفاعلي ،ضمن أي علاقة اجتماعية وجود ميزة دلالية داخل الفضاء الذي يربط الأجزاء الفاعلة به ،حيث تعتبر هذه الخاصية النواة الرئيسية المشتركة في بناء النسيج الاجتماعي، الذي يعكس السمات الشخصية للمجتمع رمزيا وسلوكيا، ولكون أن الجامعة كإطار مؤسساتي تمثل في سراياها الحجم المصغر لهذا المجتمع ،وتحمل في ثناياها شبكة من الروابط الثقافية والاجتماعية بين أفرادها ،فإن البيئة العمومية التي ترتكز عليها هذه الصلة، تنحصر بشكل جلي في بنية المعرفة والبحث العلمي التي تطبع العلاقة بين الطالب-الذي يعد الباحث عنها والمتشبع بها- والأستاذ-الذي يقتصر أدائه على نشرها أو تأطير الطالب في عملية استيعابها- وتقصيها وفق إستراتيجية تبادلية وتكاملية في مستواها الفكري الذي يؤسس للتقدم المجتمعي والارتقاء التنموي بشتى أنواعه ومزاياه ،حيث يبين –بارسونز**Parsons** -** في هذا المجال :"أن الجامعة هي المكان الذي يمارس فيه العقل نشاطه ،إنها الموقع المؤسساتي بامتياز بالنسبة للمثقف".[1]

إلا أن ما تم إبرازه في الحالة الجزائرية داخل الجامعة من خلال تعمقنا الإجرائي في فهم وتحليل خصوصية هذا الفضاء، الذي يميز طبيعة العلاقة التواصلية بين الطالب والمحاضر ،قد اظهر لنا توفر محتويات هامشية طرأت على جزئيات هذا الوسط ،حيث صرح لنا أحد

*-فيلسوف فرنسي [1798-1857].
**-عالم اجتماع أمريكي [1902-1979].
1- جيرار ليكلرك ،سوسيولوجيا المثقفين ،تر: جورج كتوره ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط1 ،بيروت ،2008 ،ص 44.

المقابلين في هذا الشأن :"أنا لست راضيا عن الجامعة مادام أنها أصبحت جامعة الإيديولوجية وليست جامعة المعرفة"[1] ،مما ترتب عنه أن المعنى الذي أضحت تقيمه ميكانيزمات هذه البيئة، قد تجاوز مجاله المعلوماتي والمعرفي كنظام تحدد نمطية أطره الاجتماعية في إنتاجياته الإبداعية وحراكه الثقافي ،هنا يكشف علم الاجتماع المعرفة وضعا معقدا.في الحقيقة –يشير جورج غورفيتش***GEORGE GURVITCH***-* إن الجماعات المدعوة إلى استقدام وإحياء هذه الأنواع المهمة جدا من المعرفة ،هي التي تقدم دون قصد صريح ،ولكن بطبيعة عملها بالذات ،على وقف شروقها وحتى على تأخيرها أو الحد من انتشارها ،بيد أن هذا العيب في التعليم الجامعي يصححه بعض الأحيان روح التنافس الذي يسود بين الجامعات ،الكليات ،تيارات الأفكار المختلفة. فمن المسلم به أن كل ابتكار ينشأ ببطء ولا يفرض نفسه إلا من خلال تحفظات كبرى[2] ،وفي أتون هذا الطرح فإن الإطار التاريخاني للجامعة في الجزائر وإن اتسمت مراحله بهيمنة الإداري (السياسي) على الأكاديمي (المثقف) ،فقد شكل الفضاء العام بها حراكا فكريا بين الطلبة والأساتذة ،وإن كانت ارهاصات هذا المجتمع الجامعي تسلط الضوء على الايديولوجيات المنتهجة من قبل السلطة المركزية ذات المرجعية الفكرية والفلسفية آنذاك ،وهو ما انتج ملامح الثنائية الثقافية معرفيا ولغويا ومهنيا ،منذ ما يسميه الباحث الاجتماعي-جمال غريد- بـ *:"الصدمة الاستعمارية"* ،حيث بات الفضاء الجامعي في الجزائر وامتدادا لإصلاح **1971** ،يستلهم مضامينه الإيديولوجية كمعرفة تواصلية داخل الأسرة الجامعية من منطلق أنها تعبر عن الموضوع (بين التيار المحافظ المعرب والاتجاه العصري المفرنس)[3] ،إلا أن ما أوجدته دراستنا ميدانيا في هذا المضمار ،وهو زوال شبه كلي للأطر الاجتماعية السابقة التي كانت تميز ديناميكية التفاعل داخل الجامعة ،وما ظل سائدا اليوم ،وهو هيمنة *"الأدلوجة الوهمية"* التي تغيب عنها السَمات التنظيرية والمعرفية، التي يتولد من خلالها الهم العلمي والاندفاع البحثي لمختلف المخرجات الاجتماعية، والظواهر المجتمعية التي يفرزها الواقع الجزائري ،مما

1- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 07 ،بتاريخ :06-04-2015 ،التوقيت :[10:00-10:45].

***-عالم اجتماع فرنسي من أصل روسي [1894-1965].**

2- جورج غورفيتش ،الأطر الإجتماعية للمعرفة ،تر:خليل أحمد خليل ،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ط3 ،بيروت ،2008 ،ص ص 94-95.

3- نجاة بوساحة ،إشكالية إنتاج المعرفة في الجامعة الجزائرية –مقاربة سوسيولوجية- ،مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ،الصادرة عن :جامعة قاصدي مرباح ورقلة ،العدد08 ،الجزائر ،جوان 2012 ،ص 204.

وضع الطالب حسب دراستنا تحت *"الصدمة الكونية"* ، التي لطالما جهل ذاته في وسطها ،ناهيك على أن عملية التواصل كثيرا ما انحصر مهامها في تزييف الوعي الاجتماعي من طرف الأستاذ الجامعي أو عبره، ليتميز هذا المشهد عموما بالخواء المعرفي ،أين ذكر لنا أحد الطلبة المبحوثين هذه التمفصلات قائلا ،"الجامعة أصبحت لا تقدم أي وعي (مثل العلوم ،الأفكار والأدوات البحثية...الخ) لأنها أصبحت مستودع يهدي الشهادات من دون أي جهد أو عطاء معرفي"[1] ،وهو ما ينفي عن الجامعة مظاهر الجماعيات كإطار اجتماعي للمعرفة التي تحيي معرفة الحس السليم في مجتمعنا المعادي لهذا النوع المعرفي ،وذلك بقدر ما تستمر هذه الجماعيات في الأسر والتجمعات المحلية الضيقة النطاق ،الخ...وهذا ما يظهر مرة أخرى مدى ضعف مقاومة النحن كجماعيات أمام البنى الشاملة أو الجزئية التي تتجسد فيها ،مما يدل أن الجماعيات حينما تكون مزدهرة في جماعة ،في طبقة ،أو في مجتمع شامل ،تعقلن المعرفة السياسية إلى حد ما ،فتحررها من رمزية مفرطة وأساطير وطوباويات ،وتحت تأثيرها ،تنزع إلى أن تصبح معرفة وضعية أكثر منها نظرية[2] ،لاسيما وأن صدمة الطالب في هذا المجال الجامعي قد جعلته طرفا تائها في هذه الدائرة الأيديولوجية الوهمية التي دفعته إلى التسليم بالمتغيرات الجديدة المتحكمة في علاقته التواصلية مع الأستاذ لتثبت في العنونة ذاتها أن الإيديولوجية كثيرا ما تتعلق بعلاقة المعاناة التي تربط الناس بعالمهم ،وإن هاته العلاقة لا تظهر (واعية) إلا بشرط أن تكون (غير واعية) [...] ،فالناس لا يعبرون في الإيديولوجية عن علاقتهم مع ظروف عيشهم ،بل عن (الكيفية) التي يعيشون بها علاقاتهم مع تلك الظروف ،الشيء الذي يظهر في ذات الوقت ،علاقة حقيقية ،وعلاقة "معاناة" و"خيال ووهم" ،فحينئذ تكون الايديولوجيا هي التعبير عن علاقة الناس و(عالمهم).[3]

انطلاقا من هذه المسلمة ،يبقى الجدير بالذكر في دراستنا لمحددات الفضاء العام كمفعل للعلمية التثاقفية بين الطالب والأستاذ في الجامعة الجزائرية مرهون بالواقع المصدوم الذي تختلف أطروحاته عن عالم المثل والتنظيرات التجريدية التي طمح إليها هذا الشاب الجامعي

1- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 13 ،بتاريخ :2015-05-07 ،التوقيت :[13:00-14:00].
2- جورج غروفيتش ،الأطر الاجتماعية للمعرفة ،مرجع سابق ،ص ص 82-83.
3- محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي ،الإيديولوجيا ،دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء ،المغرب ،2006 ،ص 09.

من جهة وغائبا داخل المعاش لدينا بالمقارنة مع ما حققته باقي المجتمعات الصانعة للمعرفة والإبداع من جهة أخرى ،وعليه فإذا كان التطرق للمجال العمومي داخل المجتمع الجامعي لابد أن يشتمل على مؤشرات الجديد والمعرفة وكذا الانفتاح المكاني ،إلى أي مدى يمكننا الحديث عن إثبات معالم هذا الانفتاح داخل الجامعة الجزائرية لاسيما في ظل ارتباطية الطالب بالمدرس على وجه التحديد؟

ج- صدمة الانفتاح أو انعدام الطابع العمومي:

علاوة على ما تم ترصده ميدانيا حول خصوصيات الفضاء الجامعي في الجزائر ،كمجال لتحريك العملية التثاقفية بين الطالب والأستاذ ،شكلت جزئية الانفتاح باعتبارها حلقة رئيسية داخل هذا الوسط ،قصورا بالغا في تفعيل براديغمات العلاقة التواصلية من خلال جدلية الذات والآخر،حيث أصبح المجتمع الجامعي فاقدا لشتى التمظهرات التي يكتنفها الحيز العمومي الذي يقر بمختلف التعارضات والاختلافات الصادرة عن الفواعل المتضاربة داخله ،من منطلق تبني قيم الحوار والنقد والاعتراف بالرأي المخالف، وتحرير الأفكار من وثنية اليوتوبيا التي تعيق سبل التعبير وتغلق منافذ المناقشة ،وهو ما شكل على مستوى التطلعات التصورية للطالب الجزائري مصدر حيرة وانشغال في سبيل الوصول إلى تحقيق الحس المشترك الذي يصبوا إليه الصرح الأكاديمي للجامعة ،إذ تجلت أولى هذه الطموحات والاستعدادات الضمنية في تصوير بوادر هذا الفضاء على أساس الانفتاح التواصلي وسهولة التكيف مع المحيط ،وهو ما عبر عنه أحد أفراد عينتنا قائلا :"تصوري الأولي للجامعة كان يمثلها على أنها مجالا للتعبير والحريات والاستقلالية"[1] ،فيما صرح لنا مبحوث آخر في ذات السياق :"ما روج قبل التحاقي بالجامعة وهو أن هذه الأخيرة تعد فضاء للنقاش الحر والاستقلالية والتفتح".[2]

فإذا كان الفضاء العمومي -في صورته المجتمعية الشاملة- هو شرط رئيسي لتكوين رأي جمهور المواطنين وإرادتهم وعندما نتحدث عن رأي المواطنين ،أو ما يسمى بالرأي

1- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 05 ،بتاريخ :25-02-2015 ،التوقيت :[10:00-11:00].
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 11 ،بتاريخ :30-04-2015 ،التوقيت :[16:30-17:30].

العام فليس المقصود به مجموعة من الآراء الفردية المنعزلة ،ولكن المقصود هو رأي عمومي مشبع بالنقاش الجاد والعقلاني الذي يفترض استبدال علاقات العنف والقوة بعلاقات الحوار والجدل في صراع المصالح وبذلك يتمكن مبدأ الحوار ضمن الفضاء العمومي الحر ،من حصر القوة بين الأطراف بطريقة تضمن المساواة بينهم بشأن إمكانيات المشاركة والمساهمة في المفاوضات والدفاع عن مصالحهم[1] ،فإن الفضاء الجامعي وقياسا على ذلك ،لا يتأتى إلا من خلال هذا الطابع العقلاني الذي تستلزمه شبكة العلاقات الطردية ،المتمثلة أساسا في المساعي الذاتية التي يحملها كل طرف –الأستاذ والطالب- بغية التأسيس لما يسميه –هابرماس**J. HABERMAS -** بـ *:" الاندماج الاجتماعي داخل العالم المعيش"* ،إلا أن طبيعة النظام التعليمي في كافة مؤسساتنا التعليمية والأكاديمية والجامعية وعلى مدى قرن من الزمن ،استطاع أن يقدم رسالة عكسية ،قوامها التبديد في عقول الطلاب ونفوسهم لكل الإمكانيات العقلية والروحية والإنسانية ،وهو يتسم بأنه تعليم متصلب ومتسلط ،وتعليم بنكي يقهر العقل ،ويفرض عليه المعرفة عن طريق الذاكرة ،والتعليم الذي يغيب فيه الحوار ،وكل إمكانيات التفكير الإنساني الحر .كما أصيب التعليم بمرض الطاعة التي تؤدي إلى مقتل العقل وتكريس العبودية ،والذي بمقتل العقل ،تغيب كل إمكانيات الإبداع والمشاركة في بناء الحضارة. لأن الرفض هو الأصل وهو مبدأ السلوك الحي ،لأنه يدل على نزعة عقلية ،لا تقبل إلا ما يقع في دائرة العقل[2] ،حيث أظهرت لنا معظم المقابلات التي أجريناها مع الطلبة عن هشاشة البيئة المعرفية التي تحتوي جل المدخلات التي تطرحها الأسرة الجامعية ضمن هذا المجال ،أين استطرد لنا أحد المبحوثين قوله في هذا الجانب :"لقد وجدت خطابا طوباوي مفاده أن الجامعة هي فضاء للتحرر وغزارة الأفكار إلا أنني لم أشعر يوما أنني مستقل عدا تلك الحرية السلبية والشكلية التي لا تمثل جوهر الجامعة"[3] ،فيما أردف مستجوب غيره متسائلا :"كيف سيفتح المجال بين الأستاذ والطالب داخل القاعة

1- جلول مقورة ،هابرماس: النشاط الديمقراطي في خدمة الفاعلية التواصلية ،مجلة الحكمة ،الصادرة عن :مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ،العدد16 ،الجزائر ،السداسي الأول 2013 ،ص91.

2- علي أسعد وطفة ،بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط2 ،بيروت ،2000 ،ص ص 218-219.

3- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 10 ،بتاريخ :15-04-2015 ،التوقيت :[13:30-09:50].

في الوقت الذي يتسم المناخ الجامعي بالانغلاق؟"[1] ،وهو الأمر الذي ينفي وجود المعنى الحقيقي للجامعة حسب نظر الكاتب-جابر عصفور-* ،الذي يرى في الجامعة على أنها :"زمن العقل الذي استبدله التطور الثقافي الاجتماعي بالنقل ،وساحة السؤال الذي أحله تقدم العلم محل التسليم ،والشك الذي أنزلته معرفة العصر المتصاعدة منزلة التصديق ،والعلم الذي نجح في إزاحة الخرافة ،وحق الاختلاف الذي أبطل معنى الإجماع ،وروح المبادرة الفردية التي قضت على ضرورة لزوم الجماعة وعدم الخروج عليها."[2]

وأمام هذه التحديات الواقعية للطالب بين إستراتيجية المأمول ومتغيرات المعاش ،انبثقت دلائل الصدمة الكونية لديه ،من خلال جملة الصراعات التي تمخضت عنها خاصية الانفتاح داخل ظلامية الحيز الفكري للجامعة أو انعدام الطابع العمومي للفضاء ،حيث كشفت لنا معطيات الدراسة السوسيولوجية إحدى المضامين التي باتت تعيق الذات المساهمة في تفعيل الحراك الثقافي داخل الوسط الجامعي لاسيما في ظل الإطار الدياليكتيكي للعلاقة التواصلية ذات السمة التثاقفية بين الأستاذ والطالب ،وضمن ما نسميه بـ:*"المخبر الأولي لإنتاج المثقف"* ،وعلى هذا الأساس ،فإن ثالوث الجديد والمعرفة والانفتاح كسجلات أساسية في لب الفضاء العمومي للجامعة في الجزائر ،قد أبان عن غيابه الممارساتي على مستوى الواقع ،وعليه فاستنادا إلى ما سبق ،إن الخصوصية التي تجسدها البيئة الجامعية كفضاء للعملية التثاقفية ،باعتبارها إحدى الجزئيات العلائقية لهذا البراديغم التواصلي داخل الصرح الأكاديمي للجامعة ،يقتضي منا تبيان المرتكزات الاجتماعية والميكانيزمات الثقافية التي تميز المواقع التي تحتلها فواعل هذه التجاذبات الارتباطية رمزيا وعمليا ،ومن ثم يبقى الاستفهام المحوري الذي يتطلب التحري عنه والتعمق البحثي في طياته مفاده هو :

ما هي المواطن الفعلية التي تشغلها هذه الأجزاء المنتجة للمجابهات الثقافية والمعرفية داخل الفضاء الجامعي؟ أين يتحدد الموقع الاستراتيجي للأستاذ داخل الفضاء الأكاديمي للجامعة في الجزائر؟ وفيما تتمثل مكانة الطالب وفق هذه البنية؟

1- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 06 ،بتاريخ :05-03-2015 ،التوقيت :[14:00-15:30].

***- كاتب ومفكر مصري [1944].**

2- جابر عصفور ،معنى الجامعة ،مجلة العربي ،العدد 451 ،الكويت ،يونيو 1990 ،ص68.

2- كينونة الموقع الجامعي لفواعل التثاقف:

انطلاقا من مسلمة أن كل سيرورة تاريخية لحياة اجتماعية ما ،وفق نمط مجتمعي معين ،تكمن بالأساس في طبيعة العلاقة التواصلية بين الأفراد والأجزاء المكونة لها كتركيبة شبكية ،فإن خصوصية كل بعد تفاعلي داخل هذه الفضاءات ،لا يمكنها تحقيق أي اندماج كحس مشترك ،إلا من خلال حتمية موازين القوى وما تحدده سمات المواقع ومميزات المراكز "LES STATUS" ،التي يحتلها كل طرف ،ولعل الفضاء العمومي وما ينتجه من نماذج لعلاقات معرفية واجتماعية على حد سواء ،قد يدفع هو الآخر بالباحث السوسيولوجي إلى تفكيك وتصنيف المقامات التي تخص الفواعل الرئيسية به -وبشكل أدق تموضعات الأستاذ والطالب على وجه التحديد- ،وذلك عن طريق مستواها التصوري الظاهر من خلال وجود رمزيات شخصية مكتسبة ،أو بواسطة إطارها السلوكي كتعبير عن مجابهات ثقافية وتأثيرات سلطوية مفروضة ،أو كلاهما معا.

وإزاء هذا الاهتمام من التعمق الميكروسوسيولوجي - **MICRO-SOCIOLOGIE** - لهذه المسألة ،طرحت أولى الملاحظات الميدانية التي استخلصناها من طبيعة الجزئيات العلائقية للتثاقف، داخل الفضاء البيداغوجي للجامعة الجزائرية ،وجود نوع من فقدان حلقة التموقع الأكاديمي ،التي يفترض أن يشغله كل من الأستاذ والطالب ،وهو ما أدى بهذه الفواعل إلى ما يمكن تسميته بـ: *"رحلة البحث"* عن هذه الخصوصية ،نظرا لمظاهر العشوائية التي باتت تحكم الفضاء العام ،في ظل المتغيرات التقليدية الخاصة بالأطر الاجتماعية للمعرفة من جهة ،ومن منطلق جملة الخروقات الدخيلة المهددة للذات الفاعلة قيميا من جهة أخرى ،حيث كشف لنا أحد المستجوبين عن اندفاعه إلى هذه المهمة قائلا :"إرادتي الكبيرة في الالتحاق بمستويات عليا في الجامعة كانت من منطلق البحث عن أسمى المكانات الاجتماعية"[1] ،مما يؤكد أن الكينونة الفعلية لسمة الطالب الجزائري اليوم ،كذات فاعلة داخل الصرح الجامعي ،وبغض النظر عن كونه ارتقى إلى مستويات ما بعد التدرج من حيث

1- تصريح مستمد من مقابلة رقم: 13 ،بتاريخ :2015-05-07 ،التوقيت :[13:00-14:00].

السلم الإداري والبيداغوجي لمراتب الجامعة المعاصرة ،إلا أن قواعد التصادمات البينية التي توجهه نحو اللارسمي ،كثيرا ما أصبحت تعود به إلى نقطة البداية التعليمية التي تجبره على الخوض في هذه الرحلة البحثية الراغبة في إيجاد مكانة فعلية للذات ،إذ يرى الباحث- ألان كولون ALAIN COULON-* في هذا الشأن أن :"النجاح الجامعي يمر عبر تعلم مهنة الطالب ولا يفيد الدخول الجامعي بشيء إذا لم يكن مصحوبا بعملية انتساب أو توافق مؤسساتية وثقافية ..."[1] ،وعلى هذا الأساس –يضيف الباحث- "فهو ليس بطالب ولكنه يتطلع لأن يكون كذلك. ففي بداية الأمر هو طالب معرفة علمية لا أكثر"[2] ،وعليه فإذا كان الطالب في النظام التعليمي الحديث هو مصدر العملية التعليمية كلها ،حيث يحرص هذا النظام على كيفية إطلاق الطاقات الخلاقة والإبداعية لدى كل طالب حسب قدراته وميولاته واهتماماته وفي كيفية قيام الطالب بدور أكثر إيجابية في عملية التعلم الذاتي ،وحل المشكلات والوصول إلى الحلول والحقائق بنفسه[3] ،فإن خاصية هذا البراديغم التواصلي تعبر عن مدى التميز الاجتماعي ،الذي يرتكز عليه الموقع الفعلي للطالب على ضوء هذه العلاقة التفاعلية ،إلا أن حتميات هذه الجوانب الممارساتية كثيرا ما تجد مجموعة من الحواجز والمعيقات إذا ما شكلت تأثيرا على وضعية الطرف الآخر -الأستاذ- خاصة إذا ما انحصرت زوايا الفضاء على مناخ ضيق في نطاق الحريات والاستقلالية التي تمتاز بها الجامعة في الأساس ،وهو الأمر الذي يتنافى مع ما جاء به -وليام توماس William Thomas-** بقوله :"إذا قام المرء بتموضعه باعتباره حقيقة ،فإنه يكون حقيقيا في تبعاته"[4] ،حيث أن ما استنتجناه إمبريقيا في بحثنا قد أثبت لنا أن المكانة الأكاديمية باعتبارها معطى طبيعي يحدد حجم الاتصال المعياري القائم بين الأستاذ والطلبة في مجال المعرفة أصبحت متأثرة ضمنيا بالتخمينات الثقافية والممارسات المجتمعية السائدة في صورها التقليدية من منطلق انها تجسد قيم الموروث الخاص بالمكانة الاجتماعية عموما بحكم أن هذه الوضعية

---

*- عالم اجتماع فرنسي [1947].

1-Alain COULON ;Le Métier d'étudiant :L'entrée dans la vie universitaire ;paris :PUF ;1er Ed ;1997.P11.

2 -Ibid. p29.

3- نسيمة مخداني ،الجامعة الجزائرية بين الاصالة والمعاصرة ،مرجع سابق ،ص205.

**- عالم اجتماع أمريكي [1863-1947].

4- جون سكوت ،علم الاجتماع :المفاهيم الأساسية ،تر: محمد عثمان ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،ط1 ،بيروت ،2009 ،ص127.

لطالما مثلت المنزلة العالية التي تنسب للمركز الاجتماعي ،والتي يلزم بالضرورة أن تتطابق مع إدراك كل عضو من أعضاء الجماعة الذي يشير إلى مدى الهيبة أو الاحترام أو الشرف الذي يناله الفرد من الآخرين[1] ،حيث اظهر لنا أحد المقابلين هذه التجليات بقوله :"لقد أصبح الأستاذ في جامعتنا يرى في أن خروج الطالب عن المألوف أثناء تواصله هو تجاوز لمنصبه المهني وطعن في مكانته ومستواه العلمي".[2]

وعليه فمما لا شك فيه ،أن رمزية قوى الأستاذ الجامعي من حيث أنها تمثل إحدى المحركات الدينامية في الإنتاج الثقافي والفكري التي تصنع سلطة المعرفة وهوية الجامعة ،أضحت في الحالة الجزائرية تعكس مزايا التناظر في إحداث عملية الاحتكاك الأكاديمي داخل القاعة ،أين شكلت هذه الجزئية *"لحظة انزلاق"* في موازين القوى ،وذلك من حالة "البعد الأفقي" للمقام-الذي يعنى بشبكة الاتصالات المتبادلة الفعلية أو الممكنة التي يقيمها فرد ما مع أفراد آخرين يقعون في مستواه الشخصي نفسه- إلى صفة "البعد العمودي" – التي ينجم فيها تواصل هذا الفرد بشكل تراتبي مع من هم فوقه أو دونه-[3] ،حيث بينت لنا الدراسة أن فكرة تناظر المراكز في صورتها التراتبية قد طرأت نتاجا لما يسميه–إميل دوركايم**ÉmileDurkheim**-*،بـ:"الخلخلة"-ANOMIE–داخل الوسط الجامعي ،ومنه تمظهرت هذه التلوينات على مبنى الرؤية الذاتية التي يحملها كل من الطالب والأستاذ للموقع الذي يميز كلاهما نحو الآخر ،إذ بين لنا أحد الطلبة بوادر هذه الحالة بقوله :"إن المكانة الاجتماعية التي يحتلها ويتصورها كل من الأستاذ والطالب داخل فضاء التدريس هي التي تصنع الفارق في التواصل اليومي بينهما."[4] ،واستلهاما من هذا الكشف الجزئي لجوانب هذه الظاهرة لجأت بنا الدراسة إلى الطرح التساؤلي الآتي :

- ماهي طبيعة هذه المواقع الجديدة التي بات ينتجها التواصل المعرفي بين الأستاذ والطالب داخل الوسط الجامعي؟ فيما تتجلى رؤية الطالب لمكانة الأستاذ الجامعي؟ وماهي خصائص المركز الأكاديمي التي يتصورها الأستاذ الجامعي حول الطالب الجزائري؟

1- www.moqabel.com ،المكانة الاجتماعية.

2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 03 ،بتاريخ :09-02-2015 ،التوقيت :[10:30-11:45].

3- خليل أحمد خليل ،المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع ،دار الحداثة ،ط1 ،بيروت ،1983 ،ص208.

*- عالم اجتماع فرنسي [1858-1917].

4- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 14 ،بتاريخ :18-05-2015 ،التوقيت :[14:00-15:15].

أ- تناظر المحور والهامش:

استنادا إلى تلك المتون والسجلات المتفرقة التي طبعت باطنية ما نسميه نظريا بـ:*"الرحلة البحثية"* التي فرضتها متغيرات المعاش على مستوى المجتمع الجامعي ،خصوصا فيما يتصل بطبيعة التواصل العمودي الذي ارتسمت معالمه على المراكز الجديدة التي بات يشغلها كل من الأستاذ والطالب على حد سواء ،شكلت هذه الضمنيات والمقتضيات التناظرية لموازين القوى عدة التباسات في نطاق الواقع المعرفي والاجتماعي الذي أصبحت تشهده الجامعة الجزائرية اليوم ،أين ظل *"نظام الأدوار"* بمفهوم–ريمون بودون Raymond Boudon-* ،ينسحب إلى نمطية الطابع الاحتكاري لهذا التموضع كانعكاسات دلائلية لغياب الإطار التوافقي الذي يتضمن عملية فهم ،نقد أو إنتاج المعرفة بشكل عقلاني ومن منطلقات موضوعية.

وبهذه الكيفية أثار هذا الغياب جملة من الاكراهات داخل المجال العام للجامعة ،مما أحال إلى إنشاء نقلة تفاعلية من كينونة التكافؤ التمركزي كمعطى طبيعي يعبر عن النسق الفعلي للصرح الأكاديمي إلى حتمية صراع المواقع أو تضارب الوقائع من أجلها ،حيث أن ما استوقفنا في هذه المسألة من منطلق ملاحظاتنا السوسيولوجية المباشرة ،أن إتيقا التواصل وفق هذه الصورة ،قد أثبتت حالة من التمزق داخل النسيج الثقافي والرمزي للطبيعة البنيوية التي تتسم بها أوساط النقاش والتفاعل العلمي والفكري والاهتمام البحثي للمواضيع العامة التي يستلهمها المجتمع عموما ،وهو ما ينسحب إلى تشكل ثنائية *المركز//الهامش* كمكانات معرفية جديدة على مستوى فضاء التدريس ،لاسيما وأن ما استنبطناه عمليا على مدى الاعتبارات الشكلية والمكونات المحيطية لمؤشرات هذا التأثير -من مبدأ أن الباحث السوسيولوجي كثيرا ما يزيغ إلى استنطاق اللامنطوق وتمحيص البديهيات المنسية والمخفية في طيات الظاهرة المجتمعية- ،مرتبط بقرائن ومتغيرات من بينها **"متغير الغياب"** الذي نمهد له بالقول :أن غياب الأستاذ عن المحاضرة أو تقديم الدرس لا ولم يعد يطرح أي اهتمام أو نقطة انشغال على مستوى كوامنه الشخصية والوظيفية ولكن إذا ما غيب الطالب

*- عالم اجتماع فرنسي [1934-2013].

بنفس الشروط وتحت دافع نفس الظروف ،فهذا سيؤدي به دون ريب إلى فقدان أكثر من معطى ،ولو أن المراسيم القانونية والبنود الإدارية للتنظيم الرسمي للجامعة تستلزم ذلك الإجبار الحضوري داخل مقاعد الدراسة ،كدلالة رئيسية على ضبط موازين التكافؤ أو ما يسميه –هابرماس J.H- بـ:"وسيط القانون داخل المجتمع العادل"[1] ،وعليه فإن المكانة المحورية للأستاذ الجامعي مكنته من فرض ميكانيزمات السيطرة داخل القاعة انطلاقا من جانبها الظاهراتي ،حيث بيَن لنا أحد الأساتذة من خلال قيامنا ببعض اللقاءات الحوارية معهم إلى كشف هذه الخاصية التأثيرية ،بعد أن تسائلنا عن كيفية تعامله مع متغير الغياب عن الفصل؟ فأجابنا قائلا :"غيابي عن المحاضرة لدوافع اضطرارية قلَما أعلم به الطلبة ،ولكن أريد من الطالب أن يثبت لي سبب غيابه أو تأخره مدام أنه تحت مسؤوليتي."[2]

ولعدة اعتبارات ،يرى –ريمون بودون- أن هناك انعكاس آخر لبنية نظام الأدوار يدعم هذا التناقض ،فالأفراد الذين "اختاروا" تفضيل دورهم الفرعي كـ"أساتذة" يميلون إلى الارتباط أكثر بحياة المؤسسة التي ينتمون إليها. ويتطابق نظام الأجور الذي يعمل به مع حدود المؤسسة ،لذلك فإنهم يظهرون على أنهم معنيون بحياة المؤسسة"[3] ،مما يدل على أن الموقع الثانوي الذي انحصرت فيه فاعلية الأستاذ في السياق العام للمجتمع والجامعة على وجه الخصوص ،قد لجأ به إلى البحث عن المركز داخل فضاء التدريس في إطار البعد العلائقي الذي يحكمه في تناظره مع الطالب ،وهو ما يمكن تسميته بـ :*"لحظة الإرتقاء"* إلى صفة *"مركزية الهامش"* فيما ظل وزن الطرف الآخر(الطالب) يمثل *"هامشية الهامش"* ،حيث تعتبر الثقافة الهامشية بالثقافة المجاورة أو المتاخمة لثقافة أخرى أقوى وأكثر انتشارا وحضورا في السلوك اليومي للناس في مجتمع ما ،أو يمكن القول :إنها تلك الثقافة الأفقر في مكوناتها التكيفية أمام التغيرات الجديدة"[4] ،ولذلك يرى -آلان تورينALAIN TOURAINE-* بأن الطلبة :"فئة متأزمة ،لا تمثل حركة اجتماعية ،فهي لا تعبر عن صراع شامل وأساسي ،لا تضع محل رهان التوجهات الثقافية الكبرى للمجتمع فهي مكبلة بخوفها[...] وخطر

1- أنظر كتاب :
أبو النور حمدي أبو النور حسن ،يورجين هابرماس الأخلاق والتواصل ،دار التنوير ،بيروت ،2012 ،ص215 وص230.
2- تصريح مستمد من لقاء حواري مع الأستاذ رقم: 02 ،بتاريخ :2015-02-23 ،التوقيت :[12:00-10:30].
3- عبد الحميد قرفي ،بناء المعرفة السوسيولوجية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2010 ،ص97.
4- سمير ابراهيم حسن ،الثقافة والمجتمع ،مرجع سابق ،ص71.
*- عالم اجتماع فرنسي [1925].

السقوط الاجتماعي ،بالإضافة إلى الشلل الذي أصابها بسبب الأزمة الشاملة للمنظومة الجامعية ،واختفاء الدور التقليدي للأنتلجنسيا الناطقة باسم الشعب وباسم القيم"[1] ،وهو ما استحضرناه من خلال تمثلات الطالب الجامعي لمكانة الأستاذ معرفيا واجتماعيا داخل الوسط البيداغوجي للجامعة ،حيث أجابنا أحد المقابلين في هذا الصدد قائلا :"لقد أصبح دور الأستاذ الجامعي اليوم يمثل وظيفة مهنية وليس مهمة علمية".[2]

وبالإضافة إلى ما التمسناه ميدانيا من خلال "متغير الغياب" كجزئية تواصلية لتحديد طبيعة المكانة المعرفية والاجتماعية داخل الفضاء الجامعي ،كان لمتغير **"تأطير القاعة"** جانب مهم في استنتاج هذه التركيبة ،من منطلق أن نمطية السياق هي الكفيلة بإنتاج المعنى ،حيث سجلت ملاحظاتنا الاجرائية لشكلية القاعة المقتصرة على طريقة الجلوس ،بعد من أبعاد الامتداد السلطوي لمميزات التنشئة الاجتماعية التي تكون عليها الطالب الجامعي مرورا بمختلف المراحل التعليمية التي تمهد عليها ،فإذا كان الشكل الظاهراتي لكينونة الفضاء المكاني للقاعة في مستوى ما بعد التدرج لدى الجامعات المعاصرة يأخذ طابع الطاولة المستديرة التي تترك سمة التكافؤ في المراكز واستقلالية الدور في التواصل ،فإن ما كشفت عنه دراستنا الإمبريقية ،وهو انفراد الأستاذ بمركزية القاعة وتأطير الطلبة وفق خاصية تراتبية مما شكل عملية انتقالية من دائرة ما يسميه–فريدريك نيتشه FRIEDRICH NIETZSCHE-* بـ :*"نرجسية القائد"* إلى ما نطلق عليه تسمية *"نرجسية المثقف أو الأستاذ الجامعي"* ،وهو ما أثبته العديد من الدارسين من قبيل –ماكس فيبر MAX WEBER-** ،حيث يشير أنه إن توفرت هذه الميزة الأخيرة لدى شخص ما ،فهذا من مجرد الصدفة فقط. لو كان لكل أستاذ له كرسي في الجامعة الشعور بأنه يتوجب عليه أن يبدي أنه قائد ،سيصبح هذا الأمر مدعاة للقلق. وسيتفاقم الوضع أكثر لو تركنا لكل أستاذ جامعي الفرصة للعب هذا الدور داخل المدرج ،بالفعل فإن الأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم عن طيبة خاطر قادة ،هم في غالب

1 -Alain TOURAINE ; Lutte étudiante ; paris : Seuil ; 1978 ; p.361.

2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 05 ،بتاريخ :25-02-2015 ،التوقيت :[10:00-11:00].

*- فيلسوف ألماني [1844-1900].

**- اقتصادي وعالم اجتماع ألماني [1864-1920].

الأحيان الأقل جدارة بهذه الوظيفة ،إن القاعة التي يوجد بها الأستاذ أمام مقرأه ليست على كل حال أبدا المكان الذي يبدي فيه مثل هذا الاستعداد".[1]

وعلى هذا الأساس ،فإن هامشية الطالب الجامعي داخل المدرج ،قد بيَنت لنا مدى سعي الأستاذ إلى تجسيد *"رحلة البحث"* في *"قوة الحضور"* التي تعيد الاعتبار إلى الشخصية الفاعلة على مستوى الفضاء الأكاديمي للجامعة ،مما يعني أن إلغاء أو إقصاء الآخر أو النظير عن الوصول إلى الموقع المركزي بصفة تكافئية ،قد أثبتت لنا أن مهمة البحث عن الأضواء في الظل الهامشي المعاش ،طرح عدة امتدادات ضمنية تتصل بهذه المعالم الشكلية المكونة لأجزاء الموقع الجامعي الخاصة بفواعل التثاقف ،لاسيما من خلال اتخاذ الطالب لإستراتيجية الانتماء البديل للحقل المعرفي الذي يضمن الموارد الجوهرية التي تحقق المكانة الاجتماعية المفترض احتلالها فعليا ،حيث استطرد لنا أحد المبحوثين قوله في هذا الشأن :"ارتباطي بالمجال الميداني في البحث هو الذي ربطني أكثر بالمعرفة العلمية والاندفاع إلى الرغبة في الإنتاج والإبداع"[2] ،فيما فند مبحوث آخر قوله عن هذه *"الرحلة البحثية"* قائلا :"احتكاكي بالأستاذ الذي كنت أراه بعيدا ومنغلقا على نفسه كان عبر النوادي والمنظمات"[3] ،وعليه فالسؤال الذي يطرح ارتباطا بهذه التصورات والاستراتيجيات يقودنا إلى البحث في طبيعة المحتوى الذي يستند إليه هذا الموقع داخل المجال العام الخاص بالجامعة؟ لماذا هذه الإستراتيجية البديلة؟ وما هي مضامين هذه الاتصالات الظاهراتية التي تتوفر لدى هذه المراكز الجديدة التي تعبر عن تناظر المحور والهامش؟

1- ماكس فبير ،العالم والسياسي ،تر: سعيد سبعون ،دار القصبة للنشر ،الجزائر ،2009 ،ص ص 44-45.
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 05 ،بتاريخ :25-02-2015 ،التوقيت :[11:00-10:00].
3- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 02 ،بتاريخ :22-01-2015 ،التوقيت :[13:00-12:00].

ب- ثنائية مالك الحقيقة ومستهلك الخطاب:

من خلال تتبعنا لمواصفات هذه المواقع التثاقفية ،المتحكمة في تحديد اتجاهات التواصل القائمة بين الأستاذ والطالب ،تبيَن لنا أن حتمية احتكار المركز لدى الأستاذ وإسناد الهامش للطالب كامتداد لوجود متغيرات اللاتكافؤ داخل الوسط الجامعي قد أظهرت في ثناياها سمة لها خصوصيات الهيمنة السلطوية التي تتجاوز الطابع المادي إلى ما يمكن أن نطلق عليه في هذه الحالة اسم *"سلطة المعرفة"* ،حيث أوضحت لنا معطيات الدراسة أن جزئية *"قوة الحضور"* التي فرضت منطق *"الأنا الأعلى"* –حسب تعبير- "سيغموند فرويد SIGMUND FREUD"* ،كثيرا ما تطلعت إلى بسط نفوذها الاحتكاري إلى مختلف الجوانب والتركيبات المندرجة في سياقاتها ،والتي نذكر من ضمنها *"الحقيقة المعرفية"* على سبيل الحصر ،حيث ظلت هذه النزعة الفوقية لدى الأستاذ تطبع داخل القاعة ثنائية ثابتة أو قاعدة مسلم بها ،بين *"مالك الحقيقة"* –الأستاذ- و*"مستهلك الخطاب"* -الطالب- ،وهو ما تجلى في مضمون ما جاء في المقابلات الحوارية التي أجريناها مع بعض الأساتذة ،حيث ذكر لنا أحدهم في هذا الإطار :"الطلبة في بعض الأحيان يتخوفون من طرح السؤال ،لأن هناك من الأساتذة من يظنون أن ما يقولونه وحيا"[1] ،وكتمحيص أكثر إيضاحا لمدى وجود هذا النوع من الفرض السلطوي داخل فضاء التدريس ،أضاف لنا أستاذ آخر قوله :"إذا خالف الطالب يهمش أكثر مما هو عليه من إقصاء هذا هو حال تواصله مع الأستاذ اليوم"[2] ،وهو ما يؤكد على أن قدرات الطالب على التفكير والمجابهة والنقد تنخفض بدرجة واضحة في الأوضاع التي تسيطر فيها أجواء القهر والإكراه ،حيث يأخذ التسلط والعنف صورة رمزية في المراحل العليا من التعليم (المرحلة الجامعية) ،مثل منع الطلاب من الإعلان عن وجهات نظرهم أو من توجيه النقد أو إبداء الرأي المخالف. وهذا ما يمكن أن يطلق عليه التسلط المعرفي والذي يمكن تحديده بأنه فرض الآراء والأفكار على الآخرين"[3] ،مما يدل على أن هذه العملية التي تنسحب إلى الاستحواذ على الموقع والانغلاق على الذات ،باتت تنقل مزايا

---

*-طبيب أعصاب وعالم نفساني نمساوي [1856-1939].

1- تصريح مستمد من لقاء حواري مع الاستاذ رقم: 04 ،بتاريخ :2015-03-17 ،التوقيت :[14:20-13:00].

2- تصريح مستمد من لقاء حواري مع الأستاذ رقم: 03 ،بتاريخ :2015-03-16 ،التوقيت :[10:45-09:30].

3-نسيمة مخداني ،مرجع سابق ،ص176.

المعرفة من صورتها *"العلمية النسبية"* إلى شكلها *"الخطابي الاعتقادي"* ،حيث أصبح الطالب الجامعي مستهلك لحيثيات هذا الخطاب وفق قاعدة ما ينعته –جاك ديريدا JACQUES DERRIDA-* بـ:"الصوت الذي يحرس الصمت"[1] ،وهو الأمر الذي ينتقده ماكس فيبر إذ يقول :"أجيب أن النبي والديماغوجي ليس لهما مكان على كرسي الجامعة ،حيث يقال للنبي مثلما يقال للديماغوجي :*"أخرج إلى حافة الطريق وتحدث أمام الملأ"* ،أي في المكان الذي يمكن فيه انتقادك. وعلى العكس من ذلك ،يواجه الأستاذ في المدرج مستمعيه بكيفية مغايرة تماما :حيث يأخذ الكلمة ،لكن الطلبة ملزمون على الصمت والإصغاء. إن الظروف تقتضي أن يتابع الطلبة دروس الأستاذ من أجل ضمان مستقبلهم ولا يمكن لأي شخص حاضر بقاعة التدريس أن ينتقد الأستاذ"[2] ،حيث تمثلت مؤشرات هذا المركز الاحتكاري للمعرفة داخل الفضاء الجامعي حسب خصوصية دراستنا السوسيولوجية من خلال محددات التقويم ،أين كشف لنا أحد المبحوثين جزئية عدم الخروج عن السيطرة بقوله :"أصبح الأستاذ يرى في نفسه أو يقر بأنه يعرف وملم بكل شيء ومستحيل أن ينتقد من طالبه ،وبالتالي فقد أصبح عبارة عن (قانون إلزامي)"[3] ويضيف ذات المستجوب في ذات السياق قائلا :"لا يوجد نقد موجه للأستاذ داخل الفضاء الجامعي مادام أن مصلحة الطالب مرتبطة بالعلامة وهذا دليل على وجود (عصا التخويف)".[4]

ولعل موارد هذه المكانة ،كثيرا ما باتت تستمد شرعيتها الوجودية من خصائص "اللحظة الجيلية"[5] حسب تعبير –كارل مانهايمKARL MANNHEIM-** ،وهو ما أدى بنا في هذه المتابعة الكشفية لجوانب الظاهرة إلى تبيان حجم الإقرار التقليدي الذي أضحى يستخدمه الأستاذ الجامعي في علاقته بالطالب ،باعتباره أنه الأولى بنشر المعرفة لأسبقيته بها ،مقارنة

---

*- فيلسوف فرنسي [1930-2004].

1- أنظر كتاب :
جاك دريدا ،الصوت والظاهرة –مدخل إلى مسألة العلامة في فينومينولوجيا هوسَرل- ،تر: فتحي إنقزّو ،المركز الثقافي العربي ،ط1 ،المغرب ،2005 ،ص117.

2- ماكس فيبر ،مرجع سابق ،ص37.

3- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 08 ،بتاريخ :2015-04-06 ،التوقيت :[13:00-12:00].

4- تصريح مستمد من المبحوث نفسه.

5- أنظر كتاب:
Karl Mannheim ;le problème des générations ;(1928) ;trad ;Gérard Mauger ;ed.Natham ;pari ;1990.

**- عالم اجتماع ألماني من أصل مجري [1893-1947].

بالطالب الذي لطالما ارتكز مجاله على جيل الشباب الذي لا يعدوا أن يكون مبتدئ في ذلك ،ومنه فاستثمارا في هذا المعطى القيمي الذي يحكم جدلية الأجيال داخل المجتمع الجزائري ،أصبح الأستاذ في محيط التدريس يحتكم إلى هذه الشروط ،مما تطلب منا البحث في متغير *"قيمية الجيل"* ،كمعيار لتحديد مقتضيات الموقع الذي يستوفي هذه الثنائية التي تجمع بين مالك الحقيقة ومستهلك الخطاب ،وعليه كيف تتم هذه الوضعية؟ وماهي تلويناتها؟.

يتساءل كارل مانهايم :عما يؤسس لوحدة الجيل؟ ومن أين تأتي الكثافة الكبيرة في العلاقات التي تظهر بين أبناء نفس الجيل؟...فيجيب أن "أول شيء يبرز عندما نتصور وحدة جيل محدد وهو ذلك التقارب العميق للمكونات التي تملأ وعي كل فرد. ومن وجهة سوسيولوجية فللمكونات أهميتها ليس بسبب معانيها ودلالاتها ولكن لأنها تشكل من أفراد معزولين مجموعة ،لأنها تملك قوة تنشئة اجتماعية"[1] ،ومن ثم فإن هذا الموضع إذا ما أسقطنا قواسمه على الوسط الجامعي ،قد أثبت لنا إجرائيا أن حاصل التصادم قد لقي *"منطق أنوي"* من قبل الأستاذ خاصة إذا ما أمعنا النظر في كون الفضاء الجامعي هو صرح شباني بامتياز ،وعليه فإن ملامح الإقصاء التي يقصد بها :"إخراج حياة ما من دائرة الفضاءات المخصصة للعيش ،فلا يمكن إذا التفكير في الإقصاء إلا بتقسيم الفضاءات الاجتماعية إلى فضاءات مألوفة وفضاءات هامشية ،وهو ما يفترض إقامة حد يبقي المهمش الذي يعيش حياة تحاكي الحياة حبيس فضاء حدودي مجاور للمجتمع ،هو عبارة عن الخلفية التحتية للشكل الاجتماعي"[2] ،قد آل بالأستاذ ضمن هذه السلطة التواصلية إلى تحويل الموقع الأكاديمي من حالته *"التوازنية"* –التي تبعث جو التنافس العقلاني والإبداع المعرفي وتسيير الاختلافات الفكرية- إلى مناخ *"صراع الرغبات الشخصية"* ،حيث كشف لنا أحد الطلبة المبحوثين هذه الوتيرة بقوله :" يمكنني أن أصنف ثلاث(03) مستويات من الأساتذة في إثارة النقاش والتواصل المعرفي :

1- **صنف المواجهات الحادة :**وهو صاحب المعرفة المطلقة الذي له عقدة في التفاعل مع الشاب الجامعي.
2- **صنف لا يبالي وفاقد للمعيار:**وهو الذي لا يفرق بين الصواب والخطأ ولا يتفاعل مع ما ينتجه الطالب لأنه لا يملك أي مرجعية فكرية أو علمية.

1- ناصر جابي ،لماذا تأخر الربيع الجزائري ،منشورات الشهاب ،الجزائر ،2012 ،ص13.
2- حبيب العايب ،قضايا التهميش في تونس-دراسة ميدانية- ،المعهد العربي لحقوق الإنسان ،تونس ،2012 ،ص11.

3- **الصنف المتفتح على الثقافات:**حيث أعتبره صاحب وعي ويعد من النخبة المثقفة.

ولكن من كل هذا فإن الصنف الأول هو الذي يطغى على الجامعة الجزائرية اليوم".[1]

فمن هذا المنطلق ،إذا كانت الثقافة الفرعية للشباب حسب رأي-كلارك J.CLARC- هي محاولة لإحياء ثقافة متغيرة تدخل في مفاوضات جديدة مع الثقافة السائدة أو المسيطرة كاستجابة لموقفها البنائي للتغيير[2] ،فإنها تعبر عن أسلوب حياة مستقل عن عالم الكبار ،لا تخضع في الغالب إلى معاييرهم وقيمهم ومعتقداتهم وأساليب سلوكهم ،بل يتأسس على نسق من القيم والمعايير والأفكار وأنماط السلوك غير مقيدة لما يريده الكبار. بمعنى آخر ثقافة الشباب هي شكل أو نوع من اللغة والقيم الخاصة والتصرفات المتميزة التي أكثر ما تنطبع به التمرد والعناد والتلقائية والغطرسة اتجاه الكبار ولذلك نجدها توسم بالثقافة المضادة أو المعادية (contre culture)[3] ،وعليه فأقل ما تخضع إليه هذه الكينونة الموضعية في علاقة الأستاذ بالطالب وهي الاندفاع إلى *"التقوقع داخل الفضاء المعولب"* ،حيث أن رحلة البحث عن المكانة بالنسبة للطالب الجامعي قد افتقدت إلى مبدأ الاعتراف في جدلية الذات والآخر ،مما يدل حسب تعبير أحد الطلبة المبحوثين :"أن غياب التكافؤ بين الطالب والأستاذ يمنع من انتقاده أو تقديم أفكار جديدة وهذا دليل على غياب الروح العلمية التي تتسم بالموضوعية".[4]

وعلى مبنى هذا الأساس ،فإن طبيعة الجزئيات العلائقية للتثاقف داخل الصرح الأكاديمي للجامعة في الجزائر تحديدا ،وفي ظل الخصوصيات التي شملت مجالها العمومي ونمطية مواقعها المعرفية والاجتماعية ،تحيلنا في هذا الصدد إلى تسليط الضوء على نمذجة الأسلوب التواصلي الذي يحكم هذه العلاقة الطردية القائمة بين الأستاذ والطالب. وبالتالي فإن نقطة الانشغال التي تستوقفنا في هذه المسألة مفادها هو :ما هي معالم وأشكال الأسلوب التفاعلي الذي تتسم به تمظهرات العملية الدينامكية داخل قاعة التدريس؟ وكيف تتم أطر هذه المشاركة الاتصالية؟

1- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 13 ،بتاريخ :07-05-2015 ،التوقيت :[13:00-14:00].
2- السيد عبد العاطي السيد ،صراع الأجيال (دراسة في ثقافة الشباب) ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1987 ،ص55.
3- عبد العالي دبلة ويزيد عباسي ،ثقافة الشباب بين التأطير المعرفي والواقع الاجتماعي ،مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ،الصادرة عن جامعة الشهيد حمة لخضر –الوادي- ،العدد11 ،الجزائر ،جوان 2015 ،ص127.
4- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 07 ،بتاريخ :06-04-2015 ،التوقيت :[10:00-10:45].

3- محددات الفعل الممارساتي في المشاركة التثاقفية:

تتجه الجامعة المعاصرة اليوم ،في مختلف المجتمعات الصانعة للمعرفة إلى بذل جهود حثيثة لامتلاك ناصية العلم وحلقات التقانة المتقدمة بكل الوسائل الممكنة ،إدراكا منها أن القوة في هذا العصر ،تكمن أساسا في القدرة على امتلاك العلوم الحديثة والتقانة المتطورة وتوظيفها عمليا ،انطلاقا من فهم الذات الباحثة ومتطلباتها الشخصية والمجتمعية ،وصولا إلى تنمية حاجات المجتمع بمرئيات استيعابية تتماشى جزئياتها الطبيعية وسمات ما يسمى *"بالعالم المتغير"* ،حيث شكلت هذه الحلقة الديناميكية داخل الفضاء العمومي للجامعة عملية ارتقائية تتغذى منها الذهنيات الأكاديمية للفواعل الرئيسية بها. لذا كانت وما تزال وستظل الجامعات بالنسبة لرجل العالم المتقدم والإنسان الواعي ،هي القلعة الأمامية التي منها يتم التخطيط والتحضير لتجاوز الخطوط الأمامية ،وطرق بوابات جديدة في عالم الكشوفات والاختراعات وتنظيم أساليب حياتية على منهج ذوقي متميز ،يشكل في مجموعه ما يسمى "بالعرف الحضاري" الذي يفرز ذلك الإنسان الذي ننعته بالمتقدم أو الرجل المتحكم في وسائل التنمية[1] ،مما جعل هذه المجتمعات العلمية تدفع بالجامعة إلى تبني أدوار جديدة من كونها تؤدي وظيفة ثقافية تنظيرية ،إلى أن أصبح لها وظيفة اقتصادية تطبيقية تتصل جوهريا مع ما يكنى "باقتصاد المعرفة" حيث يعلق –جمال غريد-* (عن هذه النقلة النوعية) بـ:" العبقرية الأوروبية ذات النموذج البولوني" التي صنعت من الجامعة مؤسسة تحمل مواصفات الاستقلالية ،التنافسية ،الفعالية والمهنية التي تنتج وتنشر الثقافة بصفة نقدية عبر ميكانيزمات البحث والتعليم التي تنمي الملكات التدريسية[2] ،وعليه فلا غرو أن التأشير الذي يحيل إلى فهم هذا الاستشكال داخل المجتمع الجامعي الجزائري قد استعصى على الكثير من الدارسين في حقول سوسيولوجيا الثقافة والمعرفة وعلوم التربية ،مما آل بنا في هذا المضمار إلى التعمق في أحواز التساؤل :عن أي وظيفة تؤديها الجامعة الجزائرية

1-عبد الله حمادي، مساءلات في الفكر والأدب (محاضرات)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص ص 312-313.

***- عالم اجتماع جزائري [1943-2013].**

2-Djamel GUERID ; Savoir et Société en Algérie ; centre de recherche en économie appliquée pour le développement ; Algérie ; 2012.p.28.

راهنا؟ هل يعيش الصرح الأكاديمي في الجزائر مرحلة ما قبل الوظيفة الثقافية؟ أم أنه يشهد تمفصلات وتشنجات *"مرحلة البين بين"* -ما بين الوظيفة الثقافية والأداء الاقتصادي-؟.

وإذ أن الفجوة العلائقية الخاصة بالمواقع الجامعية أخذت بالاتساع بين الأستاذ والطالب داخل فضاء التدريس بشكل أدق ،فإن المدبر في هذه الحراكات قد يستلزم تبيان طبيعة الأسلوب التواصلي الذي يكشف نمطية الذهنيات (العقليات) التي تعد إحدى تراكيب الثقافة العالمة من جهة ويستظهر رساميل مراكز التفاعل داخل المجال المعرفي من جهة أخرى ،حيث أصبحت متون هذه العملية في الحالة الجزائرية ارتباطا بخصوصية دراستنا الاجرائية تلقى عدة تشعيبات ومسالك لفهم المضمون العلمي والمرجع الفكري الذي تستحضره الجامعة قياسا على متطلبات المجتمع وما تشوبه من قضايا وظواهر في شتى المجالات والميادين ،وهو الأمر الذي ينسحب إلى إبراز خصائص الأسلوبية الاتصالية ليس كإطار تقني لمسارات التدريس وامتداداته التي كثيرا ما تمثل على أنها نظام أو منظومة له مدخلات وعمليات ومخرجات[1] ،وإنما تقتضي منا تسليط الضوء على *"بداية البدايات"* حسب تعبير -أحمد شراك-* التي تستلهم منها هذه الطريقة التواصلية ،من حيث أنها تعبر عن إستراتيجية تبادلية للمادة العلمية بين الأستاذ والطالب بشكل خاص ،والتي تبين حيثيات المكتسبات المعرفية والثقافية *"كفن إقناعي"* ،لاسيما وأن هذه الإستراتيجية كفعل ممارساتي لمقتضيات التثاقف هي المنحى أو الخطة والإجراءات والمناورات (التكتيكات) والطريقة والأساليب التي يتبعها المعلم (الأستاذ) للوصول إلى مخرجات أو نواتج محددة منها ما هو عقلي/معرفي (cognitive) أو ذاتي/نفسي أو اجتماعي (societal) أو نفسي/حركي (psycho-motor) أو مجرد الحصول على معلومات (information)[2].

1-عبد الحميد حسن شهين ،إستراتيجية التدريس المتقدمة ،كلية التربية بدمنهور بجامعة الإسكندرية ،الإسكندرية ،2010،ص10.
***-باحث مغربي مختص في علم الاجتماع.**
2-المرجع نفسه ،ص22.

وتأسيسا على هذا التصور ،فإن ما أوجدته لنا الدراسة الميدانية بعد تتبعنا لخلفيات هذه المرحلة الإستشكالية ،قد أثبت لنا مدى الغياب التام الذي اكتنف هذه المؤشرات الأسلوبية كمنطلقات أولية لتفعيل ميكانيزمات التواصل داخل القاعة ،أين أضحت مبدئيات التفاهم باعتبارها إحدى البوادر التمهيدية لما يسميه –هابرماس- *"بأخلاقيات المناقشة"* تشكل عائقا ابيستيمولوجيا بأوجهه المعرفية والاجتماعية ،نظرا لعدم إدراك هذه الثنائية (الأستاذ /الطالب) لما يطلق عليه مفهوم *"إدارة المعرفة"* داخل فضاء مؤسسات التعليم العالي التي تستمد فاعليتها الممارساتية من هذا البعد الاستراتيجي الذي يعد مصدر العمليات النظامية لإيجاد المعلومات واستيعابها وتنظيمها وتنقيتها وعرضها بطريقة تحسن قدرات الفرد في العطاء كما تساعد على استيعاب وحفظ واستخدام المعرفة لحل المشاكل والتعلم الديناميكي والتخطيط الاستراتيجي[1] ،حيث أشار لنا أحد المبحوثين في هذا السياق قائلا :"لا يوجد اهتمام متبادل بين الأستاذ والطالب فكلاهما ليس موجودا من أجل المعرفة ،فكيف لهما أن يتناقشان ويتفاعلان في سبيل ذلك؟".[2]

وبهذه الكيفية ،أدى هذا المشهد التواصلي بين ازدواجية الطالب والأستاذ داخل المجتمع الجامعي إلى وضع إشكالية "حسم الانتقال" النوعي الذي يحقق مستويات الجودة بشكل عام ،مما جعل من مظاهر الرحلة البحثية –سابقة الذكر- "تنزلق" إلى إضفاء حالة من التمزق الداخلي بصورة "تراجعية" ،وذلك من لحظة البحث عن الموقع المعرفي أو المكانة الاجتماعية داخل الجامعة إلى رحلة البحث عن الذات الجامعية أو الشخصية الأكاديمية ،وهو ما جاء في واحدة من إجابات أحد المقابلين القائلة :"على مدى سنوات من الدراسة في حقل العلوم الاجتماعية لم أجد نفسي طالبا جامعيا مختصا في علم الاجتماع إلا في شهادة التسجيل"[3] ،وعليه فإن طرائق الأسلوب التواصلي وفق هذه المرئيات قد أبانت عن وجود هشاشة بينية ضمن الملكات التدريسية في كيفية ما يمكن تسميته "بصناعة الحدث" الذي يعمل على تجسيد معلم من معالم قوة الحضور وتسليط الضوء على الذات ميدانيا أو داخل ما يسميه المفكر الفرنسي –جي دوبور GUY DEBORD- بـ:"مجتمع الفرجة" (LA SOCIÉTÉ DU

1-حبيب البيلاوي وآخرون ،إدارة المعرفة في التعليم ،دار الوفاء ،ط1 ،الإسكندرية ،2007 ،ص45.
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 01 ،بتاريخ :22-01-2015 ،التوقيت :[12:50-11:15].
3- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 10 ،بتاريخ :15-04-2015 ،التوقيت :[10:30-09:50].

SPECTACLE) ،حيث يرى–مصطفى حجازي-* في هذا الشأن ،أن مؤسساتنا التربوية والتعليمية أو الأكاديمية لا زالت تخطو خطا بطيئا في تلمس الطريقة العلمية ،والتوظيف المنهجي العقلاني لطاقاتنا ومعركتنا الحالية ذات نطاقين :الأول :نطاق الطريقة العلمية ،والثاني :تنمية الإمكانيات الابتكارية ،وكلا النطاقين ما زالا بعيدين عن نطاق حياتنا العملية ،لا في الأهداف ولا في المناهج ولا في النظم والعلاقات السلطوية التي تحكمه[1] ،فالذي لا شك فيه حسب تعبير –ديكورت DECORTE-** أن الفصل كمكان يتم فيه فعل التعليم والتعلم ،ليس مجرد تجميع لمجموعة من الأفراد (أستاذ-طلبة) يساهم كل منهم بحصته الفردية ،بل أنه أولا وقبل كل شيء عبارة عن كلية تمارس ضمنها تأثيرات متبادلة بين أعضائه ،فالأستاذ والطلبة على حد سواء يكونون حقل تفاعلات اجتماعية ،ويقيمون شبكة من العلاقات الوجدانية وعلاقات انجذاب وتنافر وتعاطف وكراهية ،وتحدد بنية ذلك الحقل في ذات الوقت الطريقة التي يشارك بها كل من الأستاذ والطلبة في عملية التعليم والتعلم.[2]

ونتاجا لهذه التراكمات المعرفية المتقطعة حسب ما جاء في معطيات دراستنا الامبريقية ،قد آلت هذه الخصوصية الظاهراتية للأسلوب التواصلي على مستوى الفضاء الأكاديمي للجامعة إلى ما يمكن تسميته "بالنهاية الحصرية" أو "نتيجة الحصر" ،التي تحمل في طياتها سمات الخواء المعرفي والجمود الفكري الذي يطبع الفواعل المحورية المشكلة لطبيعة حيز ما (أو الحيز الجامعي على سبيل الحصر) ،فإذا كان الأسلوب التواصلي ضمن العملية التدريسية أو المشاركة التثاقفية يرتكز في طابعه العقلاني على تكافؤ الموازين الفاعلة داخل المجال العام للجامعة أساسا. فماهي نمطية أطره الجانبية إذا ما تم تغييب هذه التمظهرات في ظل انتقاله إلى حتميات الصراع؟ ماهي الإستراتيجية الممارساتية التي أصبحت تقوم عليها خاصية الأسلوب التواصلي داخل الجامعة الجزائرية راهنا؟ فيما تتمثل سماتها؟ وماهي الكيفيات التي تتجسد بها لدى الأستاذ والطالب على حد سواء؟.

***- أكاديمي ومفكر لبناني.**

1-مصطفى حجازي ،التفكير الإبتكاري (بحث) ،مجلة الفكر العربي ،الصادرة عن :معهد الإنماء العربي ،العدد21 ،بيروت ،1981 ،ص383.

****- فيلسوف بلجيكي [1905-1994].**

2-سمير شعبان ،علاقة الأستاذ الجامعي بالطالب واثرها في تعزيز الوسطية ،أبحاث مؤتمر (دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي) ،الجزائر: http://repository.taibahu.edu.sa /

أ- أسلوب التلقين: من النقد المؤسس إلى الجهل المقدس

على ضوء ما تم الكشف عنه سوسيولوجيا ،من خلال ترصدنا لمحددات الفعل الممارساتي في المشاركة التثاقفية التي تنبني عليها إستراتيجية الأسلوب التواصلي بين الأستاذ والطالب ضمن العملية التدريسية داخل الفضاء الأكاديمي بالجامعة الجزائرية تبين لنا إجرائيا أن نتيجة ما أسميناه "بالحصر" كتعبير عن تعطيل الماكينات التفكيرية للذات الباحثة بشكل خاص ،وتثبيت الحراك المعرفي للمجتمع البحثي بشكل عام ،قد أعاد دافعية التعليم والتعلم لدى الطالب إلى حالة الغموض التي حالة دون فهمه للنقاش العلمي الذي يمكنه من ربط معطيات التنظير بمتطلبات المحيط ،حيث اقتصرت المهام التدريسية للأستاذ داخل القاعة على طابعها التقليدي ،الذي يؤدي إلى قتل روح المشاركة في الطلبة ،وإلى تنمية روح السلبية وفقدان الإحساس بالمسؤولية ويضعف بشكل كبير مشاركة الطالب في الموقف التعليمي كما يعتمد على حشو أذهان الطلاب بالمعارف والمعلومات المتنوعة دون تنمية مهارات التحليل والاستنباط والاستنتاج الفكري ،التي هي الطريقة إلى الإبداع والابتكار[1] ،حيث أننا ومن منطلق تتبعنا لمضامين تحضير الدرس العلمي وكيفيات عرضه على الطلبة أثبتت لنا مجمل المقابلات الميدانية مدى انطواء الأستاذ على أفكاره وانزواءه بطريقة المحاضرة التلقينية ،التي تعد إحدى المتغيرات الجزئية للوظيفة التثقيفية الخاصة لجامعة ،والتي ينجم عنها "فعل الزرع" بمفهوم-جمال غريد- أين أردف لنا أحد المستجوبين في هذا الشأن بقوله :"لقد تطبعنا في حياتنا الجامعية على أخذ وكتابة كل ما يقوله الأستاذ داخل المدرج دون إبداء أي رأي إزاء ذلك"[2] ،فيما ذهب مبحوث آخر إلى القول :"كيف يمكنني فهم الدرس في إطاره العلمي من دون طرح مجموعة من التساؤلات؟ وكيف يمكنني طرح هذه الاستفهامات في ظل وجود أستاذ لا يؤمن بمبدأ المناقشة؟..فالإجابة واحدة وهي:دوَن ما تسمع".[3]

1-لحسن بو عبد الله وآخرون ،تقويم العملية التكوينية في الجامعة ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1998 ،ص36.
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 04 ،بتاريخ :2015-02-13 ،التوقيت :[17:00-16:00].
3- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 11 ،بتاريخ :2015-04-30 ،التوقيت :[17:30-16:30].

ومن ثم ،فإن الدراسات التي أنجزت من هذا الباب ،تقر أن انعدام طريقة النقاش التي من خلالها يتم تبادل الرأي بين الطلبة والأساتذة وبين الطلبة أنفسهم لتعزيز ما يقدم إليهم من معارف لكونها حافزا لتنمية تفكير الطالب وتطويره ،وهذه الطريقة التي تمكن الأستاذ من معرفة نجاحه في التدريس ومدى فهم طلابه للمادة الدراسية ،وأين تقع مكامن الضعف وتبرز نواحي القوة[1] ،قد شكلت على مستوى ذهنية الطالب الجزائري نوع من "التيه العلمي" داخل الجامعة ،فلو قارنا طريقة المناقشة على مستوى التعليم والتعليم العالي بصورة محددة بأسلوب الملاحظة لأمكن ملاحظة مدى نشاط الطالب وحماسه واشداده للدرس ،رغم كون هذه الطريقة أكثر استهلاكا للوقت ،وإنها قد لا تريح بعض الطلبة الإتكاليين أو الذين يشعرون بالخجل أمام الآخرين ،إلا أن لها دور فعال في إغناء التدريس الجامعي وتحسينه.[2]

وهو ما يدل في ذات السجال ،أن الأسلوب التشاركي كفعل تضادي لأسلوب التلقين قد غيبت لديه مسألة النقد المؤسس أو مايسميه –هابرماس- "بالعقل النقدي" ولحظاته التساؤلية باعتباره معطى طبيعي لعمليات التفكير والتعلم النشط الذي يرتكز مفعوله على تقنيات يقوم فيها الطلاب بأكثر من مجرد الاستماع إلى محاضرة ،الطلاب ينهمكون في عمل شيء ما كالاكتشاف أو المعالجة أو تطبيق المعلومات ،فالتعلم النشط مستمد من اثنين من الافتراضات الأساسية:(1)أن التعلم بطبيعته هو مسعى نشط (2)أن البشر مختلفون ويتعلمون بطرق مختلفة[3] ،وهذا ما ينسحب إلى "فعل الانسلاخ" من القيم العلمية للجامعة ،حيث أوجدت الكثير من البحوث والدراسات العلمية أن هناك أربع مجموعات من الأهداف تسعى الجامعة المعاصرة إلى تحقيقها هي التعرف والفهم والاستيعاب ،والتحليل والبحث عن الأصل والمقارنة والقدرة على التعلم ،ثم النقد والمفاضلة والاختيار ،وأخيرا الاجتهاد والإبداع ،والملاحظ أن الجامعات العربية ينحصر دورها في المجموعتين الأولى والثانية ،أما أهداف النقد والمفاضلة والاختيار والاجتهاد والإبداع فيكاد يكون دور الجامعات

1-عمر العرباوي ،قراءة للعلاقة البيداغوجية بين الأستاذ والطالب (قسم علم الاجتماع نموذجا) ،مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،الصادرة عن :جامعة غرداية ،العدد08 ،الجزائر ،2010 ،ص63.
2-المرجع نفسه ،ص63.
3-عبد الحميد حسن شهين ،مرجع سابق ،ص103.

العربية المعاصرة معدوما مع استثناءات تؤكد القاعدة[1] ،والحال ،حسب رأي-محمد عمارة- *يتصل بهشاشة الفكر العربي واتصافه بالسطحية ،وغلبة الخرافة والجمود والتقليد في طرقه وأساليبه وأنماطه وموضوعاته ومناهجه في رؤية الحقائق أو معالجة قضايا الواقع.[2]

من هنا تجدر الإشارة حسب ما ورد في ملاحظاتنا المباشرة إلى أن امتلاك الأستاذ الجامعي لنزعة "مالك الحقيقة" ،كتجسيد لدور القائد ضمن موازين القوى داخل الفضاء العلمي قد أظهر لنا انشداده إلى "متغير الإلقاء" كأسلوب تلقيني ،مما انجر عن هذا التطبع بروز بوادر "فعل الترويض" الذي يجرد الطالب من سمات الاستقلالية والتحرر في إثارة النقاش وإبداء الرأي ومأسسة الارادة ،حيث دفعنا هذا التداخل والتناص للأساليب إلى لحظة التساؤل: ما هي شارة المتمدرس داخل الفضاء الجامعي في الجزائر؟ هل هو تلميذ جامعي أم طالب ابتدائي ؟وهو الأمر الذي جاء في تساؤلات أحد المبحوثين الذي كان مفاده:" هل مهمة الطالب هي الاستهلاك؟"[3] ،فإذا كان النقد بتعبير –هابرماس- هو جوهر علم الاجتماع وذلك ما ينبغي أن يكون ،وأن هدف علم الاجتماع في رأيه يتمثل في إمكانية التأمل وإعادة البناء على نحو يمكن الأفراد من معرفة أنفسهم والإلمام بالمواقف والظروف المحيطة بهم[4] ،فإن ما كشفت عنه دراستنا الإجرائية أن نظام التلقين وما يقابله من ترديد بدون تساؤل أو مناقشة بات يميل المدرسة (الجامعة) إلى جعل نموذج التلميذ (الطالب) المجد أو النجيب ذلك الذي يمتثل للنظام تمام الامتثال ويحفظ دروسه ويثبت جدارته من خلال ترديدها في الامتحان كاملة دون أي مجال للتحليل والتساؤل وإبداء الرأي[5] ،وكأنها حسب منظور– طالب إبراهيمي خولة- معادلة واحدة لا غير :**التعليم هو التلقين** [...] وأن الطلبة سجناء نمط من التعليم لا يقدرون على ردَه والتحرر منه ،إنهم أدمغة تشكَل وتحشى بالمعلومات فإذا أخرجتهم من هذا النمط شعروا بالقلق والفشل ونراهم يضيعون ويستسلمون. الحق أن نمط

1-عبد الرزاق جلبي ،الإبداع والمجتمع-دراسة في النقد الاجتماعي- ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،2007 ،ص79.
***- مفكر اسلامي مصري.**
2-عبد الرحمن صوفي عثمان وآخرون ،مجتمع المعرفة :التحديات الاجتماعية والثقافية واللغوية في العالم العربي حاضرا ومستقبلا (أشغال المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية الأداب والعلوم الاجتماعية) ،منشورات جامعة السلطان قابوس ،المجلد الثاني ،سلطنة عمان ،2007 ،ص16.
3- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 12 ،بتاريخ :2015-05-04 ،التوقيت :[12:00-11:00].
4عبد الرزاق جلبي ،مرجع سابق ،ص135.
5المرجع نفسه ،ص78.

التعليم المعتمد في مدارسنا منذ المراحل الأولى عود التلميذ أولا والطالب ثانيا على التلقي السكوني ،فإنه يقمع روح المبادرة والمخيلة ،تلك المحركات التي تحث الفرد على بذل الجهد للتعلم والاكتساب.[1]

فعلى مبنى هذا الطرح ،ما يستوقفنا في هذه المسألة أن انعدام النقد العقلاني المؤسس ،باعتباره أحد الجزئيات المرحة لإستراتيجية الأسلوب التواصلي داخل الصرح الجامعي من خلال "متغير المحاضرة" ،قد أبان عن استظهار مؤشرات "الجهل المقدس" بتعبير –محمد أركون-* عبر "متغير الامتحان" كآلية تفعيلية لأسلوب التلقين ،حيث أبرزت لنا معطيات الدراسة الميدانية جملة من الاكراهات أصبحت تشل دينامية الطالب الجامعي لا على مستوى التفاعل السلوكي داخل فضاء التدريس ،ولا على نطاق التفاعل المعرفي مع ورقة الامتحان ،إذ استحضر لنا أحد المستجوبين هذه العملية مستطردا :"أبسط قاعدة يمكنني استخلاصها من تجربة الامتحان في الجامعة وهو أن الأستاذ يحثك على أن "تفكر بما يفكر""[2] ،وبالتالي لابد من التأشير أن المعرفة التلقينية التي تشيع في نظم التعليم لدينا ،تحول التحصيل إلى مجرد عملية تذكر لمعلومات يتم استرجاعها في الامتحان ومراكمة المعلومات والمعرفة لا تؤدي إلى إبداع بل تولد آلات ذهنية تعيد إنتاجها في صورة قريبة من الأصل مع بقاءها خارج الذات أما مسألة الامتحان والتقويم فتستند إلى اختبار معلومات متراكمة وتقوم على تقنية الإجابة الواحدة الصحيحة ولا مجال للحديث عن اكتساب ثقافة ومعرفة قابلتين للتحول أي مادة إبدع. وتقع العملية التعليمية في حلقة مفرغة نتعلم وندرس ما سنمتحن به ،ونمتحن بما درسناه. بعيدا عن المعرفة ونوعها وارتباطها بالحياة ،أما المعلم (الأستاذ) فقد سبق أن وضع ضحية مراكمة المعلومات يستعرضها دون أن يقبل تساؤلا بشأنها فيمسك بموقعه الفوقي فارضا تبعية معرفية بقصد الرغبة المعرفية التي لا تنمي الميل إلى المشاركة أو تحض على البحث والإطلاع بشكل مستقل..[3] ،مما يعني أن حالة الوصاية على الجامعة ومثقفيها جعلتهم إلى حد بعيد غير قادرين على فهم النقاش العلمي

1-جمال غريد ،الجامعة اليوم (أعمال ندوة) ،منشورات CRASC ،الجزائر ،1998 ،ص64.
***-مفكر جزائري [1928-2010].**
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 12 ،بتاريخ :2015-05-04 ،التوقيت :[11:00-12:00].
3-عبد الرزاق جلبي ،مرجع سابق ،68.

ولا النقاش الثقافي لتطوير الجامعة والبحث العلمي والاستجابة لتطلعات المجتمع في جامعة نشطة ورائدة وفعالة في التكوين والبحث العلمي حيث سرعان ما تتجاوز الميدان العلمي لتصل إلى ميدان التطاحنات الايديولوجية ،كما أنها لم تستطع إلى يومنا خلق طلبة قادرين على تناول المواضيع والتوسع فيها ونقدها بعيدا عن الذاتية والوصاية الفكرية للأساتذة على الطلبة[1] ،وذلك أن المهمة الرئيسية في التدريس هي تعليم الطلبة كيف يفكرون ،لا كيف يحفظون المعارف والمقررات والكتب الجامعية دون فهمها أو تطبيقها في الحياة ،يعلمهم الاعتماد على الذات ،وزيادة الثقة بالنفس والشعور بالمسؤولية ومحاكاة الأمور عقليا والاستمرار بالتعلم الذاتي.[2]

فمن خلال أطوار هذه الدراسة ،يضيف أحد الأساتذة الذين أجرينا معهم حوارات تدعيمية لإشكاليتنا قوله :"غياب التشجيع على علاقة الطالب بالميدان حصر الطالب في الحديث النظري"[3] ،فيما رد على ذلك أحد المبحوثين مواصفات هذه الطريقة الأسلوبية قائلا :"لقد أصبح الأستاذ يؤمن بمقولة "بضاعتي ترد إلي" كمظهر من مظاهر التعسف في الإنتاج العلمي والإبداع المعرفي والتجديد الفكري".[4] ولتلافي هذه الآفة الثقافية الأكاديمية نسوق المفهوم الجديد وهو (التقيؤ المعرفي) الذي نقصد به استرجاع ما تم معرفته دون تمثيل له من قبل تفكير متعلمه. هذه الحالة تصيب الأفراد الذين لا يستطيعون فهم ما يتعلمون فيأخذونه كما هو ويحفظونه وأحيانا يتكلمون به أو يصرحون فيه دون فهم ودراية بما يعني [...] فنجد هذه الحالة عند الطلبة الذين لا يستخدمون تفكيرهم في فهم ما يتعلمون منه شيئا ولا يستطعون أن يستنتجوا منه أو ينتقدوه أو يبنوا عليه الاحتمالات [...] وهذا يساهم في تجميد وتبليد ذهن وتفكير الطالب بسبب المعلم والمدرس والأستاذ وليس الطالب[5] ،وعليه فهذه العملية التقديسية للتعامل مع المعرفة داخل الفضاء الجامعي قد شكلت "لحظة انزلاق" من علمية العلم إلى جهالة المعرفة ،وهنا لإثارة النزعة التساؤلية النقدية التي ذهب إليها–

1-عمر العرباوي ،مرجع سابق ،ص57.
2-عياش زيتون ،أساليب التدريس الجامعي ،دار الشروق للنشر والتوزيع ،ط1 ،عمان ،الأردن ،1995 ،ص19.
3- تصريح مستمد من لقاء حواري مع الأستاذ رقم: 05 ،بتاريخ :20-04-2015 ،التوقيت :[16:00-17:30].
4- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 09 ،بتاريخ :06-04-2015 ،التوقيت :[13:30-14:45].
5-معن خليل العمر ،علم اجتماع المثقفين ،دار الشروق للنشر والتوزيع ،ط1 ،عمان ،الأردن ،2009 ،ص168.

محمد أركون- من خلال استشكالات–أبو حيان التوحيدي-* عندما يقول :" الإنسان محتاج إلى أن يتعلم العلم ولا يحتاج إلى أن يتعلم الجهل لأنه في الأصل يوجد جاهلا"[1] ،حيث أصبحت هذه "التغذية الاسترجاعية" المحددة للفعل الممارساتي في المشاركة التثاقفية بين الأستاذ والطالب تحتكم إلى أنثربولوجية الحفاظ على الموروث وتثبيت الاستمرارية وفق ما هو مألوف ،ومن ثم فلا نكاد نجانب الحقيقة السوسيولوجية إذا ما سلمنا أن "النهاية الحصرية" التي ارتسمت عليها معالم الأسلوبية داخل فضاء التدريس لم تقتصر على بعد التلقين فحسب ،وإنما قدمت وجها آخرا في تأطير التواصل المعرفي بين الفواعل المتحركة ضمنها ولذلك فلا ضير إذا من التعمق في البحث عن ماهية هذه الأساليب التواصلية التي تحدد هذه العملية؟ أي خصائص ثقافية واجتماعية تحمل؟ وما هي أنماط تفعيلها عمليا؟

ب- أسلوب الترميق بين التحفيز والتدليس:

من الدعائم التي استنبطناها إجرائيا حول هاجس الأسلوبية التواصلية ،التي تنمو من خلال علاقة الأستاذ بالطالب داخل فضاء التدريس–باعتباره المخبر الاولي لإنتاج المثقف- ،تبيَن لنا أن جملة التشظيات التي طرأت على مستوى الرواسب القاعدية ،التي ينبني عليها الموقع الاجتماعي(الذي سبق التفصيل فيه) ،قد حذت مسلكا اجتماعيا مغايرا في عملية تسيير إستراتيجية هذا التفاعل ،لينوه في ذات الصدد عن مدى تأثير المكونات الفاعلة في دائرة هذا السجال –وبشكل أوضح الأستاذ الجامعي خصوصا- ،حيث كشفت لنا معطيات الميدان في هذه الحالة ،أن دافعية الأستاذ لكل ما يمت بصلة مع مجالات التعليم ومرجعيات التدريس ،كأنظمة معرفية ومحتويات نظرية وتطبيقية داخل القاعة ،قد شملها نوع من "الالتباس" والغموض ضمن هذا النسيج ،الذي ينظم شبكة العلاقات المعرفية والاجتماعية التي تحرك كلا الطرفين فيه ،مما وضع الطالب من ناحية أخرى في "حلقة مفرغة" تستلهم في ثناياها جملة من الاستفهامات أقل ما يمكن أن يطرح فيها هو :ماذا يريد الأستاذ من الطالب تحديدا؟

---

*-فيلسوف وأديب وعلامة عراقي [923-1023].

1-عبد المجيد دهوم وآخرون ،قراءات في مشروع محمد أركون (أعمال ندوة) ،دار الخلدونية ،الجزائر ،2011 ،ص19.

فإذا كان من الأرجح القول ،أن المهمة الأساسية للأستاذ الكفء–حسب ما يشير إليه ماكس فبير- تتمثل في أن يعلم طلبته أن يعترفوا بوجود وقائع مزعجة ،وأعني بذلك الوقائع التي تزعج الرأي الشخصي لفرد ما (ويشرح: بالفعل ،هناك وقائع جد مزعجة لكل رأي ،بما فيها رأيي أنا) ،أعتقد أن الأستاذ الذي يلزم طلبته على التعود على هذا النوع من الأشياء يكون قد أدى أكثر من عمل فكري بحت ،ولن أتردد في استعمال عبارة "عمل أخلاقي" ،بالرغم من كون مثل هذه العبارة قد تبدو بالغة التأثير للإشارة إلى مثل هذه البديهية العادية[1] ،فإن المنطق الفعلي الذي تم تناوله من خلال ملاحظاتنا المباشرة ،قد أظهر لنا أن الأستاذ الجامعي في دراستنا ،قد بات يعتمد هذه المرئيات كإيهامات إستراتيجية في تسيير نمطية الأسلوب التواصلي الذي يجمعه مع الطالب ،وذلك بسبب غياب المرتكزات العلمية التي تقوم عليها طرائق التدريس ،لا من حيث إنتاج المعرفة ،ولا من حيث استيعاب كيفية نشرها ،إذ أصبح "متغير تقديم المعلومة" يشكل عائقا إبستيمولوجيا ومهنيا على العموم ،وهو ما أفصح عنه أحد المستجوبين بقوله :" نظري العام هو أن الأستاذ الجامعي أصبح لا يوجه وعطاؤه المعرفي أصبح لا يتجاوز 10%"[2] ،فيما ذكر لنا مبحوث آخر أبلغ من ذلك قائلا :"الأستاذ أصبح لا يملك أي كفاءة وبات يأتي إلى طلابه وهو لا يحمل تحضيرا لمحاضرته حيث أصبح يستعمل الكتاب أو تقديم نسخ عنه لإنهاء برنامجه"[3] ،ومن هذا المنطلق يذهب –عبد القادر جغلول- إلى التأشير ،أنه إذا كانت هناك رداءة ،فهذا يعني حقيقة عدم وجود أنتلجانسيا. إن الرداءة تنتج من أن المثقفين لا ينتجون جماعيا أفكارا جديدة ،فليس هناك ،غالبا إلا انتاجا فكريا ممسوخا ،ومشوها لخطابات فكرية وثقافية أخرى ،فهي إما خطابات سياسية أو خطابات من إنتاج أنتلجانسيات أخرى. إن هذا اللاتوازن والتفاوت الكبير بين عدد المثقفين وضعف نوعية إنتاج الأفكار والمعارف الجديدة هو الذي يطرح المشكلة بحدة. يجب إذن تعيين علاقة الرداءة تلك وتحديدها بالارتباط مع تناقضات التكوين والتعليم[4] ،وبالتالي فإن الهشاشة التي أضحى ينتهجها الأستاذ الجامعي في التدريس كمعيار عن اللامبالاة والتلقائية في التعامل مع المعرفة قد مكنته من التغطي بما يمكن أن يصطلح

1-ماكس فبير ،العالم والسياسي ،مرجع سابق ،ص39.
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم:05 ،بتاريخ :2015-02-25 ،التوقيت :[11:00-10:00].
3- تصريح مستمد من المقابلة رقم:01 ،بتاريخ :2015-01-22 ،التوقيت :[12:50-11:15].
4- عمار بلحسن ،أنتلجانسيا أم مثقفون في الجزائر؟ !! ،دار الحداثة ،ط1 ،بيروت ،1987 ،ص65.

على تسميته بـ:"إيهامات الإنتاج" التي تدل على تبني أطروحات تغيب عنها المرجعيات التنظيرية والمفاهيم الابستيمولوجية وتكثر فيها لغة التهجين والخطابات الشعبوية الناجمة عن مخزونات الفكر الطوباوي ،ليطرح (الأستاذ) في هذه الضمنيات إحدى سمات التداخل في ما يخص ثالوث من الطرائق التدريسية المعتمدة في مؤسسات التعليم العالي ،فلا هو سلك سبيل الطريقة التعليمية التي ترتكز على "المدرس" (على سبيل النموذج الذي ذكر آنفا) ،والذي يتطلب منه الكثير من الجهد خلال الحصة التدريسية ،وذلك من خلال الاستمرار بتقديم الموضوع كما لا ينمي عملية البحث عن المعلومات وحب الاستطلاع لدى المتعلمين لأنهم يدركون جيدا بأن الموضوع سوف يشرح ويعرض من قبل المدرس[1] ،ولا هو انتهج أسلوب الاستكشاف الذي يعني أن لا تقدم المعلومات جاهزة إلى الطالب ،إنما هو يكشفها بنفسه ،وذلك بتعليمه كيف يتعلم بنفسه ،حيث يعتقد البعض أن الحقائق الجاهزة لو قدمت إلى الطالب لن تكون حقائق وإنما أنصاف حقائق والاستكشاف أساسا هو عملية تفكير بنائي أشبه بعملية تكوين المفاهيم وتعديلها عند التعرض لخبرات جديدة ،لذلك يؤكد عليها في التعليم الجامعي لأن هدف هذا التعليم بشكل رئيسي هو تنمية تفكير الطالب وجعله إنسانا منتجا للفكر أكثر مما هو مستهلك له وأن المادة الدراسية هي وسيلة قبل أن تكون هدفا وغاية[2] ،ولا هو أخيرا اقتصر على الطريقة التدريسية التي يتفاعل فيها المدرس والمتعلم حيث تعتمد هذه الطرائق على إشراك المتعلم في عملية التعلم ،ويتم ذلك في صورة حوار بين المدرس والمتعلم ،أو في صورة توجيهات وإرشادات وتعليمات من المدرس إلى المتعلم لكي يساعده على البحث واكتشاف المعلومات والمفاهيم والمهارات المراد اكتسابها ،ثم يقوم المدرس (الأستاذ) بمناقشة ما توصل إليه الطالب أو مجموعة من المتعلمين لتعديل وتصحيح ما تم اكتسابه[3] ،ولكن ما أصبح يمارس فعليا في إطار هذه التغيرات والتبدلات التفاعلية داخل القاعة ،وهو التعاطي مع مختلف الطرائق والأساليب على أنها تمثل واجهات ولا تعبر عن حقائق ،حيث عبر لنا أحد الأساتذة كتدليل عن هذا الإخفاق التواصلي قائلا

1-محمد مزيان وآخرون ،قراءات في طرائق التدريس ،جمعية الإصلاح التربوي والاجتماعي ،ط1 ،باتنة ،الجزائر ،1994 ،ص147.

2-عمر العرباوي ،مرجع سابق ،ص64.

3-عبد السلام مصطفى عبد السلام ،أساسيات التدريس والتطوير المهني للمعلم ،دار الجامعة الجديدة ،ط2 ،الإسكندرية ،2006 ،ص93.

:"أكاد أقر أن العطاء المعرفي في الجامعة بات معدوما والنقاشات داخل القاعة أضحت غائبة ولا تحمل إي نزعة نقدية وفي حالة ما وجد هذا النقاش فهو لا يعبر عن وجود مواضيع هامة وإنما تبادل محادثات وخطابات فارغة من جوهرها العلمي"[1] ،فعلى ذكر أن المناقشة النقدية هي روح العقلانية في نضج الأفكار والوحيدة التي تقدم لنا النضج اللازم الذي يمكننا من رؤية الفكرة من وجوه شتى ومن الحكم عليها حكما صائبا ،فمسألة السجال والأخذ والعطاء تضع في أساس المناقشة النقدية دلالة كبرى من الناحية الإنسانية ،ومنه يرى "بوبر" أن العقلاني يعرف أن وجهة النظر العقلانية النقدية يمكن أن تكون سوى نتيجة انتقاد الآخرين له ،وأن الإنسان لا يمكنه الوصول إلى النقد الذاتي إلا عن طريق نقد الآخرين[2] ،ولكن تجلياتها على مستوى الواقع المعاش ،أين تطغى الايهامات على الوقائع لدى الأستاذ الجامعي قد طرحت ما يمكن تسميته "بعقدة الصريح" وذلك نتاجا لفتح مجال ثنائية التصارع بين مصلحة الأستاذ وأفكاره ،حيث أصبحت تراكمات المجابهة الثقافية والمعرفية استنادا إلى إستراتيجيته الواجهاتية تأبى المواجهات العلنية والتنافسية والإقناعية للمعرفة ،سيما وأن قيم تبني الأفكار الجديدة وخلق معايير التنوع والإبداع لدى الأستاذ بمثابته المحرك الفعال وأداة التحكيم داخل المجال العام للقاعة ،بات يشكل لديه مركب نقص ،مما أدى "بمتغير التحفيز" ضمن هذه البنية التواصلية يطرح في طياته صورتين من "التفاعل التدليسي" :حيث تمثلت أولى هذه الاستراتيجيات التي التزم بها الأستاذ في مسايرة هذه التركيبة ،في "استثناء ذاته" من مواطن الاحتكاك التنافسي والنقدي مع الطالب ،كشكل من "التعاقد الهوبزي" –نسبة إلى توماس هوبز**Thomas Hobbes**-*،لينجم عن ذلك ما يسمى "باشتداد النزاع" بين الطلبة أنفسهم ،ليس بهدف العطاء العلمي أو خلق البديل التفاعلي في فتح السوق الأكاديمية ،ولكن في الحفاظ على "ايهامات الإنتاج" بأسلوب تمويهي هو الآخر ،حيث أظهر لنا أحد المقابلين بوادر هذه الصورة قائلا :"أعلم أن حقل العلوم الاجتماعية هو مجال يطرح أفكار جديدة باستمرار ،إلا أن تغييب الطالب عن هذه الخاصية حال دون تحقيق ذلك ،لأن الأستاذ أصبح لا يأتي ليقدم علما وإنما مجيئه يتمثل في

1- تصريح مستمد من لقاء حواري مع الأستاذ رقم: 01 ،بتاريخ :17-02-2015 ،التوقيت :[10:00-11:15].
2-علي عبود المحمداوي وآخرون ،الفلسفة السياسية المعاصرة-من الشموليات إلى السرديات الصغرى- ،دار ابن النديم(الجزائر) ودار الروافد الثقافية(بيروت) ،ط1 ،2012 ،ص147.
***-فيلسوف إنجليزي (1588-1679).**

كونه موظف وبالتالي بات لا ينتج جديد ولا يريد من الطالب أن يأتي بالجديد"[1] ويضيف طالب آخر إلى قوله :"إن الأستاذ لا يساهم في إحداث الحراك المعرفي داخل فضاء النقاشات وهو ما شكل صراع ارتدادي بين الطلبة إذا ما حدث هذا التفاعل"[2] ،وهو الأمر الذي يعبر عنه –جمال غريد- بمؤشرات "حرق المراحل".

أما فيما يخص الصورة الثانية لهذه الإستراتيجية ،وإن كان الأستاذ الجامعي يتغاضى الطرف عن ماهو مصرح به على مستوى حلبة النقاش ،إلا أنه في المقابل من ذلك ،فهو يلعب دوره التمويهي في حث الطلبة على تقديم الأفكار الجديدة والمخالفة للرأي على مستوى ورقة الامتحان كتعبير عن الحفاظ على المكانة المعرفية داخل الجامعة ،وهو ما أرجع أحواز السؤال في هذه العملية إلى نقطة الاشتغال الذهني والمنطق الفكري للطالب الذي مفاده :"ماذا يريد الأستاذ من الطالب تحديدا؟ ،حيث عبر لنا أحد المستجوبين عن حيثيات هذه الظاهرة مفندا :"لقد أصبح الأستاذ يخشى الطالب إذا ما ناقشه في إحدى الموضوعات لأن هذه الأفكار لا يريدها علنا عندما تكون في إطار التفاعل ،ولكن يستحسنها عندما تقدم على الورق عبر الامتحان ،فهو ينفي القوى الأخرى أم البديلة داخل القاعة ولكنه يفضلها عندما تحدث داخل المجهول أو ما يمكن أن أسميه (بالفضاء المظلم)"[3] ،وفي أتون هذا الطرح ،فإن هذه التعقيدات التشفيرية التي يحتكم إليها الأستاذ كأسلوب تواصلي في ظل المشاركة التثاقفية باعتبارها إيهامات تفاعلية وإنتاجية للفعل والمعرفة على حد سواء ،قد كشفت لنا سوسيولوجيا عن ما يسميه–محمد عابد الجابري- في مؤلفه (بنية العقل العربي) "بالتداخل التلفيقي" والمقصود به :"التداخل بين البنيات ،لا بوصفها بنيات مستقلة بنفسها محصنة بقدرتها على استعادة توازنها الذاتي كلما دعت الحاجة إلى ذلك ،بل بوصفها بنيات فقدت هذه القدرة وصارت مفككة أو قابلة للتفكك عند أول محاولة. إذن فالتداخل هنا يعني ليس مرور أو تمرير عنصر من بنية إلى أخرى ليوظف فيها محكوما بمنطقها الداخلي ،بل بالعكس من ذلك هو اجتماع أجزاء ،بل قطع كاملة ،من بنيات مختلفة لا تشكل كلا واحدا **totalité** يخضع لمنطق داخلي واحد ،بل هو مجرد مجموع **assemblage** يفتقد إلى اللحام

1- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 03 ،بتاريخ :2015-02-09 ،التوقيت :[11:45-10:30].
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 08 ،بتاريخ :2015-04-06 ،التوقيت :[13:00-12:00].
3- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 13 ،بتاريخ :2015-05-07 ،التوقيت :[14:00-13:00].

الذي يجعل من عناصره أجزاء من الكل ،مما يجعل منها تبقى أجزاء منفصلة بعضها عن البعض تقوم العلاقة بينها على التجاور ،إن لم يكن التنافر ،ويحفظ كل منها في داخله بشيء ما من الكل الذي ينتمي إليه أصلا"[1] ،إنه منطق التوليف *Montage* والترميق *Bricolage* الذي يعتمد فيه الفاعل الاجتماعي إلى استدماج كثير من القيم والممارسات والخطابات المتعددة والانتماءات في متن واحد[2] ،حسب منظور–عبد الرحيم العطري-.*

ومن هذا المستوى فإن محددات هذا الأسلوب كفعل ممارساتي يؤطر عملية التواصل داخل الصرح الأكاديمي من مبدأ أنها تمثل إحدى الجزئيات العلائقية للتثاقف بين الأستاذ والطالب ،إنها على النحو من ذلك تحول بنا إلى استبيان كوامنها الآلية واعتباراتها الأداتية التي تجري عبرها ،ومنه فإن الإشكال الذي يقتضي الإجابة عنه في هذا المضمار يمهد إلى استكمال هذه التجليات والخصوصيات على نطاق النهج الكشفي أو الاستظهاري للظاهرة المدروسة بشكل أعمق ،يكمن في :فيما تتمثل الأدوات المستعملة داخل هذا السجال المعرفي والثقافي والاجتماعي الذي يميز البعد العلائقي المنتهج داخل الجامعة الجزائرية سيما بين جزئية الأستاذ والطالب على وجه الخصوص؟ أي آليات أصبحت تسير هذه الفواعل ضمن هذا النوع من التواصل؟ وهل تقوم هذه الوسائل على مرتكزات علمية ذات ثقافة عالمة أم أنها تنسحب إلى المسار الامتدادي للقيم الاجتماعية التقليدية التي ينشأ فيها المجتمع العام؟

1-عمر الزاوي ،النقل ونقد العقل –تأملات في الخطاب الفكري عند أركون والجابري- ،دار رياض العلوم ،ط1 ،الجزائر ،2006 ،ص58.

2-عبد الرحيم العطري ،احتمالات التحول القيمي:صيغ التفويض والترميق ،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ،الرباط ،المغرب ،2015 ،ص13.

***-باحث سوسيولوجي مغربي.**

4- ماهية الآليات التداولية للتثاقف الجامعي:

إن الرهان الأساسي الذي تنبني عليه الجامعة ،على اعتبار أنها مصدر تكوين شبكة علاقات اجتماعية ،وثقافية ،وقيمية ،ومعرفية علمية ،وأكاديمية بالدرجة الأولى ،يتمثل بشكل ضمني فيما تطرحه طبيعة الآليات والتقنيات التي تفعل حركية هذا التواصل من عدمها ،لاسيما وأنه قد جرى العرف ،كما تؤكده العديد من الدراسات والبحوث الامبريقية ،أن تنمية وتقدمية المجتمعات الإنسانية البسيطة منها والمعقدة ،واندفاعها إلى البناء الحضاري ،بأبعاده الحداثية ،وأطره العقلانية ،ومحدداته القانونية-المؤسساتية ،لم يتأتى إلا بتطوير أدوات التفاعل ،وترقية وسائل الاتصال بين القوى الفاعلة بها ،ولعل عملية إنتاج نموذج الجامعة العصرية بهذه التلوينات والتوصيفات بمثابتها المنزلة العليا في تفعيل أنماط التواصل وتحريك فواعل الارتباط سلوكيا ورمزيا ،قد أفرزت في ثناياها مجموعة من الآليات العلائقية ،لا تتعدى ظروف وجودها ونشأتها داخل المجتمع من جهة ،كما أنها لا تخرج عن سياق الدور المنوط بها إجرائيا من جهة أخرى ،وبالتالي فإن مفعول اللغة ونمطية الخطاب في ظل هذه الإحداثية ،لدلالته على أنه يمثل النواة الجوهرية لكفاءة الاتصال ،فهو (التواصل اللغوي) فضلا عن ذلك ،يقول –ويدسونWIDDOWSON- لابد وأن يتم في سياقات عدَة دون قيود أو محدوديات ،:يتم التواصل حين يحدد مستعمل اللغة موقفا يتطلب منه نقل معلومات معينة لتحقيق التقارب المعرفي بين الأفراد. ،ومن تم يمكن أن يتغير هذا الموقف بشكل أو بآخر ،وتلك عملية تتطلب التفاوض وتبادل وجهات النظر حول المعاني خلال التفاعل بين الأفراد. هذا التفاعل الذي يجب أن يأخذ مكانه لتأكيد قيمة المعنى لما ينطق به المتحدث ،وللتحقق من فعاليته كمؤشر لنية المتحدث أو قصده[1] ،مما يجعلها تؤدي –حسب منظور يورغين هابرماس- إلى ظهور ما يسمى "بالمصلحة العملية" والتي تؤدي بدورها إلى ظهور العلوم التأويلية ،وينصب اهتمام "المصلحة العملية" على طريقة

1- حمدي إبراهيم حسن ،رؤية حول مفهوم التواصل اللغوي ،2011 ،ص10: related :Faculty.KSU.edu.sa

تأويل أفعالنا تجاه بعضنا البعض ،وطريقة فهمنا لبعضنا البعض ،والسبل التي نتفاعل بها في إطار التنظيمات الاجتماعية.[1]

من هنا ،فالذي لا شك فيه ،أن هذا النسق اللغوي التواصلي ضمن هذا النظام المعرفي ،إذا ما وضع في إطار أو فضاء مكاني معيَن -ونخص بالذَكر المجال الجامعي تحديدا- ،فهو يحمل عدَة مداخل وتجاذبات متفرقة ،تتجسد حسب العوامل المتحكمة في وجودها ،أو من خلال الخصائص والشروط القائمة عليها ،ناهيك على أنه يصور مستوى الأداء الأكاديمي للجامعة على أكثر من صعيد ،وعلى هذا الأساس تكتسي المؤسسة العليا للتعليم عبر ثنائية الطالب والأستاذ بشكل خاص ،طابعا محوريا في تحقيق نواتج التنمية بمختلف تجلياتها وميادينها ،مما دفع بالكثير من علماء اللسانيات ،وعلم النفس الاجتماعي إلى طرح السؤال الجوهري في أتون هذه المسألة ،الذي مفاده :ما هي طبيعة التواصل اللغوي الذي تحتكم إليه الجامعة حتى تؤسس إلى ما يسمى "بالبراكسيس" المجتمعي بين الذوات و"الدياليكتيك" العلائقي بين الذهنيات؟ ولإيضاح جوانب الاستفهام يمكن القول :ما هو نموذج المنطق التفاعلي الذي تستند إليه الكفاية الاتصالية للغة بين الأستاذ والطالب داخل الفضاء الأكاديمي للجامعة؟.

إن الدراسات التي أنجزت من هذا الباب ،تؤكد على أن الأداة الارتباطية ضمن فضاءات الإبداع المعرفي ،والإنتاج العلمي ،والازدهار الثقافي ،لا يمتد إشعاعها التواصلي في صورته اللغوية ،إلا في سياقات المعارف والمعلومات ،ومنطق البحث والإنتاجية ذاتها ،وهو ما يدل على أن صيغ التفاعل بين الأطراف المشكلة لمجال التدريس داخل الجامعة ،ينطوي تأثيره على درجة التنافسية العلمية التي تتكيَف داخلها براديغات التفاهم بين الطلبة وفي ظل ثنائية الأستاذ والطالب التثاقفية تحديدا ،إلا أن واقع الحال في النموذج الجامعي الجزائري ،ولعدة اعتبارات وإرهاصات مقترنة بجزئيات الصرح المعرفي وكينونة المواقع ومحددات الأسلوب التشاركي (حسب ما أفادتنا به معطيات الدراسة آنفا) ،قد أحالنا إلى الكشف عن غياب النواة العلمية داخل الفصل البيداغوجي للجامعة من طبيعته المجالاتية

1- عامر مصباح ،علم الاجتماع-الرواد والنظريات- ،مرجع سابق ،ص297.

المساهمة في تبيئة المناخ التثاقفي إلى سجاله اللغوي التواصلي الناجم عن منطق المؤسسة ،وهو ما يمكن أن يرجعنا إلى السؤال الهاجسي الذي صاحب جل الإصلاحات التربوية التي شهدتها قطاعات التعليم ،ومؤسسات البحث العلمي في الجزائر منذ الاستقلال على وجه الخصوص ،والذي وضع أطروحة التحليل في هذه العملية بين جدلية الإنتاج الكمي والإنتاج الكيفي في الجامعة الجزائرية ،حيث تمثل مضمون هذا الانشغال في :لماذا لم تعد الجامعة في الجزائر تنتج كل ما يمت بصلة بالنوع والإبداع وباتت تعتمد على البيانات الرقمية في تفسير تطورها وتنميتها؟.

وعليه فإن ما يتخيَل إلينا ،من منطلق أحواز هذا التساؤل أن متغيَر "التقويم أو العملية التقويمية" ،يعد الفيصل الرئيسي في توجيه طبيعة التواصل اللغوي ،والأدوات التفاعلية بين الأستاذ والطالب داخل القاعة ،وهو ما يتجلى أساسا في تنامي عدد الطلبة في الجامعة ،تماشيا مع التحولات الكبرى التي طبعت هذه الإصلاحات ،وإلا فكيف نفسر أنه في عام **1954** سنة الانتفاضة ،الجزائر تحصي من الجزائريين المسلمين **9** ملايين نسمة ،وتسجل في جامعتها حوالي **500** طالب جامعي ،وفي **1962** ،سنة الاستقلال يصل العدد الديموغرافي للسكان **10** ملايين نسمة ،ويصل عدد الطلبة إلى **2500** ،إلا أن الأرقام لا تصل إلى رقم **10000** طالب وطالبة إلا بحلول نهاية العقد **60** ،وفي عام **2006** الجزائريين وصلت نسمتهم **32** مليون نسمة و**740** ألف طالب وطالبة[1] ،ومع الدخول الجامعي لسنة **2009-2010** انحصرت أعداد الطلاب حول **1200000**[2] ،وهي اليوم تقارب **1500000** طالب وطالبة؟ ! ،فإذا كان التقويم الجامعي عنصرا أساسيا لقياس مستوى الكفاءة لدى الطالب والتأكد من قياس درجة مردودية تعلمه ،كما هو الحديث اليومي الذي يشغل الطالب الجامعي في أقسام التدرج. إذ يعد ضروريا لكل تقدم أو نمو في علوم التربية والتعليميات التطبيقية ،ولا تستغني عنه أي طريقة مهما كانت توجهاتها النظرية والمنهجية ،فهو يساعد على توليد الملكات ،وخلق المهارات ،وتحسين الأداء ،ورفع المردود في جميع شؤون الحياة ،فما بالك

1 -Djamel GUERID ;L'exception Algérienne -La modernisation à l'épreuve de la société- ;édition CASBA ;Alger. 2007. p279.

2 -Djamel GUERID ;L'université Algérienne a 100 ans ;publié dans le Quotidien d'Oran le 06-01-2010.

بميدان التربية والتعليم[1] ،حيث لا يقتصر في تقويم الطالب على قياس قدرات الحفظ لديه ،بل يمتد إلى الفهم والتحليل والنقد وقياس القدرة على أداء المهارات المطلوبة ،كما يشمل كل ما يتم في المنظومة التعليمية –من بينها الجامعة- من أعمال وجهود وأنشطة ومواقف وسلوكيات وغيرها من جوانب مدخلات ومخرجات العملية التعليمية[2] ،إلا أن الملاحظ من خلال تحليلنا السوسيولوجي لماهية الآليات التواصلية للتثاقف الجامعي في الجزائر ،قد أبان عن وجود *"لحظة انزلاق"* وانحراف عن السياق الكلي لمفهوم التقويم ،من كونه يعبر عن نواتج وحواصل لجهد أو عمل معين يقوم به الطالب في تفاعله مع الأستاذ والمعرفة العلمية بشكل عام ،إلى اتخاذ التقويم في شكل خطاب تواصلي وأداة لغوية في ترشيد البعد العلائقي الذي يميز نمط التفاعل بين الأستاذ الجامعي والطالب ضمن فضاء التدريس ،مما أدى إلى ظهور نوع من السجال الجدلي في عمق الحياة الأكاديمية اليومية للطالب الجامعي ،وذلك عبر ازدواجية الصراع بين *"سلطة العلامة"* و*"سلطة المعلومة"* ،وهو ما يدفعنا إلى التساؤل في هذا المضمار بطرح استفساري مفاده :كيف انتقل التقويم من صفته الغائية إلى حالته الأداتية لتثبيت مغزى التواصل داخل الجامعة الجزائرية؟.

من البديهي أن تخرج اللغة من كونها أداة للإيصال ،كما يخرج الإيصال –بمعناه النفعي والمباشر- من كونه وظيفة للغة ،عندما لا يكون ثمة اتفاق بين الباث والمتلقي على الشكل اللغوي للرسالة ومعناه بصورة قبلية. إذ في هذه الحالة ،قد تتمرد اللغة لتحدث قطيعة من نوع ما على مستويين :أولا ،على وضعها كأداة. وثانيا ،على النظم التي يقع في إطارها اتفاق المرسل والمتلقي :صوتا ونحوا ودلالة[3] ،ولهذا فإن تقييم التحصيل لما يفرزه من قرارات ،هو وسيلة موجهة للتعلم ثم للتدريس والمنهج وكافة العوامل والعمليات التربوية الأخرى التي تشترك في العادة بإنتاجه. وعليه بقدر ما يكون التقويم موضوعيا هادفا ،بقدر ما تكون نتائجه صالحة موثوقة في توجيه العملية التعليمية وتحسينها نحو الأفضل[4] ،وعلى

1- رضا عامر ونسيمة كربيع ،إشكالية التقويم الجامعي وأثره في تحسين مردود الأستاذ الجامعي ،مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،الصادرة عن جامعة غرداية ،العدد08 ،الجزائر ،2010 ،ص241.

2- فني غنية ،التغيرات التنظيمية وأثرها على التحصيل الدراسي في الجامعة الجزائرية ،رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع –تخصص:تنظيم وعمل- ،إشراف :حروش رابح ،بجامعة باتنة ،الجزائر ،2004-2005 ،ص92.

3- منذر عيَاشي ،الأسلوبية وتحليل الخطاب ،مركز الإنماء الحضاري ،ط1 ،سوريا ،2002 ،ص58.

4- محمد زياد حمدان ،تقييم التحصيل-اختباراته وإجراءاته وتوجيهه للتربية المدرسية- ،دار التربية الحديثة ،الأردن ،2001 ،ص31.

النقيض من ذلك ،فإن اعتبار هذا المتغير كآلية توجيهية لنموذج معين من التفاعل يجعلنا نقر بسقوطه من مرتبته البيداغوجية العلمية والإنتاجية إلى مستواه الاجتماعي التقليدي ،أين صرَح لنا أحد المستجوبين بوادر هذه العملية قائلا :"لقد أصبحت صورة الجامعة اليوم تجسد طموحات الطالب من الخارج !"[1] ،فيما ذكر لنا مبحوث آخر طبيعة اللغة التقويمية كتعبير عن الارتقاء الجامعي مسترسلا :"إن طلبة الطرق الملتوية هم رواد الدفعات وهذا ما بات ينقص من رغبتي في المعرفة وطلب العلم"[2] ،ومن ثم فإذا كان وسيط اللغة يؤدي إلى ما يدعوه –هابرماس- "بالمصلحة العلمية" [...] فهذه المصلحة تنمو وسط تفاعل يهدف إلى الكشف عن عمليات التشويه والاضطراب والبلبلة التي تؤدي إلى سوء الفهم[3] ،وعليه لا غرو أن تتأسس العقلانية على التذاوت (intersubjectivité) مركزة على أن معنى الخطاب لا تحتكره ذات واحدة بل هو اشتراك وتعاون تصوغه الذوات ،وبهذا تعوض البينذاتية النموذج الابيستيمولوجي الذاتي أو فلسفة الوعي ،حيث لا يجد الوعي فهما سليما له إلا من خلال قياسه وإمتحانه بالشكل الذي يقابله من علاقة "أنا-أنت"[4] ،فهذه التراكمات المعرفية المتشظية ،باتت تفصح عن وجود دافعية جديدة في إنتاج لغة التواصل بين الفواعل المحركة لمضامين الفضاء الجامعي في مدلولها *"التقليداني"* ،الذي سيهدف إلى إنشاء ما سنسميه *"بالأمية المستحدثة"* ،وعلى مبنى هذا الطرح :فماهي مقتضيات هذه الدافعية الجديدة؟ وما هي سمات التداولية التقويمية كأداة للكفاية التواصلية بين الأستاذ والطالب داخل الجامعة؟

1- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 07 ،بتاريخ :06-04-2015 ،التوقيت :[10:00-10:45].
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 09 ،بتاريخ :06-04-2015 ،التوقيت :[13:30-14:45].
3- علي عبود المحمداوي ،الإشكالية السياسية للحداثة: من فلسفة الذّات إلى فلسفة التواصل –هابرماس أنموذجا- ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،ودار الأمان ،الرباط ،ط1 ،2011 ،ص209.
4- حسن مصدق ،يورغان هابرماس ومدرسة فرانكفورت: النظرية النقدية التواصلية ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب ،وبيروت ،لبنان ،ط1 ،2005 ،ص121.

أ- دافعية الأستاذ للتقويم :من عقلانية التكافؤ إلى منطق المحاباة

إن المثير للجدل ،في مقتضيات التحليل العلمي لمؤسسات المعرفة في الوطن العربي ،لاسيما الجزائر على وجه التحديد ،قد استصاغ استشكالا واسعا لدى الكثير من الباحثين والدارسين في حل العلوم الاجتماعية والإنسانية ،وأدبيات السوسيولوجيا بشكل خاص ،والذي تمحورت ضمنياته التساؤلية في :أين تكمن مواطن الهشاشة القيمية للثقافة العالمة على ضوء ثنائية التأثير والتأثر بين الجامعة والمجتمع؟ هل تعود إرهاصات هذا الجمود إلى كون أن المجتمع الجزائري لم يرقى ثقافيا ولم ينضج ذهنيا لإنتاج نموذجا للجامعة يواكب معاييرها العلمية وقيمها التنظيمية الحديثة؟ أم أن مسببات الركود ترجع إلى أن الجامعة الجزائرية لم تتمكن من ميلاد ما يعرف "بالمجتمع الجديد" ذو المتغيرات المعاصرة والتطلعات التفكيرية الخصبة؟.

فاستنادا إلى هذه الأطروحات التأويلية ،شكلت لدينا مسألة التداولية التواصلية بين الأستاذ والطالب داخل الفضاء الأكاديمي للجامعة ،لاتخاذها متغير "التقويم" كأداة لغوية من حيث التفاعل ،مدخلا رئيسيا في فهم واستيعاب دافعية الأستاذ الجامعي لهذا الشكل من الحراك على مستوى سلم القيم ،لاسيما وأن الواقع المأزوم الذي أبانت عنه خصوصيات الجزئيات العلائقية للتثاقف ،حسب ما هو ملاحظ من معطيات البحث الجاري دراسته ،قد أثبتت مدى هيمنة السلوك التقليدي أو ما يسمى في النقديات الأنثربولوجية "بالبدولوجيا"* ،على الوقائع النظرية المجسدة لعوالم المثل وافتراضات المأمول. فمن منطلق ما تم استظهاره إجرائيا حول ماهية الآليات التواصلية للتثاقف الجامعي ،تبين لنا ان دافعية عضو هيئة التدريس للتقويم ،باتت تضبطها قواعد شعبوية ،تفتقد في جوهرها إلى النزعة البيداغوجية والحس الأكاديمي ،الذي يلامس الموضوعية في محاكاة مخرجات وإنتاجيات الطالب ،لا من حيث

---

*- تحيل البدولوجيا أو الإيديولوجيا البدوية(البدائية) على نوع من الثقافة الشاملة السائدة في العالم العربي ،حيث تعمل على الحكم بوهم يطغى فيه التكرار على التعليم والابتكار ،ويطغى فيه التتريث على التحديث والترهيب على الترغيب ،مما ينتج لدى الإنسان العربي نوعا من (القلق ،التراخي ،الاستسلام ،الاكتئاب ،الانهزامية ،الاتكالية ،العدوانية ،الغيظ ،التطرف ،التصلب..).

- للتعمق أكثر أنظر : المهدي مستقيم ،كيف تلتهم البدولوجيا حرية الإنسان العربي ،مجلة ذوات :الصادرة عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ،العدد 15 ،الرباط ،المغرب ،2015 ،ص32-39.

التفاعل المباشر داخل فصل النقاشات ،ولا من حيث الامتحانات الدورية في تعامله مع ورقة الإجابة ،ومن هنا قد لاحظ "وليم فوت وليت" أن القيم التقليدية التي يكتسبها الفرد من جماعته الأولية تؤثر في تعامله مع الجماعات الثانوية التي يشترك فيها في المجتمع ،فيحدد فيها علاقات لا شخصية مما يدفعه إلى الاستجابة بطريقة عدائية إلى المنظمة ويهاجمها باعتبار أن إجراءاتها عقيمة[1] ،وهو الأمر الذي استحضره لنا أحد المبحوثين بقوله :"لم نعد نرى أي موضوعية وشفافية لدى الأستاذ اليوم وخاصة فيما يتعلق بتقييمه للطلبة وتعامله مع قدراتهم العلمية ،إلا ما ندر"[2] فيما قدم لنا أحد الأساتذة جانبا أكثر تفصيلا في هذه الظاهرة قائلا :"مع الأسف،أن جهل الأستاذ للمعرفة وللنزعة النقدية من حيث الرؤية ،بات يدفعه إلى اتخاذ العلامة التقويمية بمثابتها هبات وهدايا تقدم إلى حاشيته"[3] ،وبالتالي يكفي دليلا ،أنه إذا كانت الساحات العلمية للجامعات عموما أشبه ما تكون بالبنوك ،فهي تودع المعلومات في عقول الطلبة وتسترجعها بأوراق الامتحانات ،كما يودع الزبائن النقود في قاصات البنوك ويسحبونها بأوراق الشيكات عند الحاجة. وفي خطورة متقدمة على النظام التعليمي البنكي قد يتم استثمار النقود بينما لا تستثمر معلومات المدرسة والجامعة أو لا تصلح للاستثمار في سوق العمل إلا في الحدود الدنيا[4] ،وهو ما أضفى على دافعية هيئة التدريس طابع انتهاجية ما يمكن تسميته "بالخطاب الترميقي التقليداني" الذي عادة ما يخلط بين الدور الذي يزعمونه لأنفسهم والرسالة التي يدعون القيام بها ،وبين وضعيتهم الحقيقية في الواقع الفعلي ،وحصيلة الخلط هو وعي شقي لديهم نتيجة للتناقض الحاصل بين ما يدعونه ،ومكانتهم الحقيقية التي هي دون طموحاتهم ،والصورة التي يرون فيها أنفسهم[5] ،حيث أصبحت المساواة في الحظوظ مرتبطة بالمساواة في الحراك الاجتماعي لأن توافر المساواة الأولى يساعد على تجسيد الثانية على أرض الواقع بشكل يسمح للفرد الذي يبحث عن الصعود أن

1- ناصر قاسيمي ،سوسيولوجيا المنظمات –دراسات نظرية وتطبيقية- ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2014 ،ص108.
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 14 ،بتاريخ :18-05-2015 ،التوقيت :[14:00-15:15].
3- تصريح مستمد من لقاء حواري مع الأستاذ رقم: 02 ،بتاريخ :23-02-2015 ،التوقيت :[10:30-12:00].
4- فتحي عبد الرحمن جروان ،الإبداع ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1 ،الأردن ،2002 ،ص196.
5- هشام شرابي ،مقدمات لدراسة المجتمع العربي ،الأهلية للنشر والتوزيع ،بيروت ،1981 ،ص100.

لا يعوَل على كفاءته وقدراته وخبراته ،على قدم المساواة مع غيره في تحقيق انتقاله داخل الفضاء الاجتماعي على حد تعبير عالم الاجتماع –سوروكينP.sorokin-.*[1]

وبناءا على ذلك ،فإن عتامة ولا معقولية اللغة التقويمية لدى الأستاذ ،قد اكتنفها انسياق إلى الرغبات الشخصية والكوامن الذاتية ،التي أرجحت منطق المحاباة والمحسوبية كأداة تداولية مع الطالب داخل القاعة ،حيث أخذت هذه العملية من خلال ما تم ملاحظته إجرائيا ،عدة تلوينات ومشارب اعتباطية تباينت مسمياتها بين القرابة ،الصداقة ،العشائرية ،الجهوية ،والجنسانية ...الخ ،حيث أضحت التباسات هذا التفاضل تشير إلى تفاوت الأطراف المتفاعلة من حيث القوة ،وهذا التفاضل يشهد حالة من الاستقرار تعمل بكل محتواها لخدمة الطرف الأقوى ،وتكرس خضوع الطرف الأضعف. إن معادلة التفاضل هذه، تركز بشكل أساسي على توغل القوة في المعايير الاجتماعية التي تحكم العلاقة، وتمثل عنصر تثبيت نسبي للتوازن القائم على التفاضل. ومن هنا ،فإن التوازن التفاضلي يمثل شكلا محددا من التوازن المجرد الذي صاغه –بارسونز- وهو قائم على معادلة مجحفة يتم بمقتضاها كسب الطرف الأقوى أكثر من الطرف الأضعف وعلى حسابه ،دون أن يفقد الطرف الأضعف نصيبه بشكل كلي ،بحيث تتكرس هذه المعادلة بموجب المعايير الاجتماعية القائمة في العلاقة ،والتي تنحاز للطرف القوي[2] ،مما أدى بهذه الدافعية التقليدانية إلى شيوع ما يمكن أن يصطلح على تسميته "بالتمييع القيمي للجامعة" ،وكتدليلا على هذه الخاصية ،أشار لنا أحد المقابلين قوله :"بعد تشبعي بالتخصص كان أملي أن أحقق عدة أهداف علمية وانجازات فكرية إلا أن "الإرهاب الإداري والبيداغوجي" أعاق مهمتي هذه وذلك عبر المحسوبية والولاء التقليدي.. فبعد أن كان رائجا داخل المجتمع دخل هذا الفساد إلى الجامعة ومنه إلى قاعة التدريس."[3]

***- عالم اجتماع أمريكي [1889-1968].**

1- حافظ عبد الرحيم ،الزبونية السياسية في المجتمع العربي –قراءة إجتماعية-سياسية في تجربية البناء الوطني بتونس- ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 ،بيروت ،2006 ،ص126.

2- محمد عبد الكريم الحوراني ،النظرية المعاصرة في علم الاجتماع –التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفية والصراع- ،دار مجدلاوي ،ط1 ،الأردن ،2008 ،ص256.

3- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 07 ،بتاريخ :06-04-2015 ،التوقيت :[10:00-10:45].

وفي أتون هذا الطرح ،يشير العديد من الدارسين من قبيل –خالدي مسعودة-* ،إلى أن الجامعة الجزائرية ككل مؤسسة مجتمعية باتت تعاني من وجود ثغرة بين مثلها العليا وواقعها ،حيث يتسع حجم هذه الثغرة ويضيق تبعا لتأثير مجموعتين من العوامل وهي "المصالح الشخصية والمنظور الإيديولوجي" ،فانخفاض مستوى أداء عدد غير قليل من أعضاء هيئة التدريس يرتبط بهذه العوامل وبتقليدية نظم ومعايير اختيارهم حيث تعتمد هذه النظم بدرجة كبيرة على انتقاء من بين الذين لديهم القدرة على استظهار الحفظ وتلعب الوساطة والمصالح الشخصية دورا كبيرا في تنصيب أغلب هؤلاء دون الاهتمام بذكر مدى تمكنهم من مهارات التفكير والبحث العلمي والقدرات النقدية الإبداعية. ويزداد حجم هذه المشكلة مع ما يثار حاليا حول تدني مستوى البحوث المقدمة للترقية، فضلا عما يحدث أحيانا من تطبيق بعض المعايير غير العلمية وغير الموضوعية عند تقييم الإنتاج العلمي.[1] فهذا التشخيص لما هو مدبر في هذه الحراكات التداولية بين الأستاذ والطالب من حيث الدافعيات التقويمية ،يحملنا على استبيان مدى الردود الفعلية التي ينتجها الطالب حيال هذا النوع من التواصل اللغوي الذي يصدر بشكل أدق عن الأستاذ ،تحت ذات التحيينات والشروط الموضوعة سالفا ،وعلى هذا النحو يبقى الجدير بالذكر على سبيل الإشارة طرح الاستفهام الآتي : فيما تتجلى دافعية الطالب الجامعي للعملية التقويمية داخل الصرح البيداغوجي؟ ما هي سماتها الجزئية؟ وما مضمون الكيفيات التي تحدث من جرائها كتحديد لآليات التفاعل بينه وبين عضو هيئة التدريس؟

*- باحثة اجتماعية من جامعة زيان عاشور-الجلفة- الجزائر.

1- خالدي مسعودة ،الإشكاليات والعوامل المحددة لإعادة تخطيط سياسة التعليم العالي في الجزائر ،مجلة دراسات اجتماعية ،الصادرة عن مركز البصيرة للبحوث والإشارات والخدمات التعليمية ،العدد05 ،الجزائر ،جويلية 2010 ،ص ص 49-50.

ب-دافعية الطالب للتقويم :بين النزعة الإنتاجية والعقل الريعي

لقد شكلت متناقضات الموقع الجامعي بين الأطراف المكونة للصرح المعرفي ،وفق ثنائيات المراكز والهوامش ومالكية الحقيقة العليمة واستهلاكية الخطاب الطوباوي ،امتدادات تراجعية على مستوى حجم التصورات الراهنة والمستقبلية التي يحملها الطالب حيال التعليم الجامعي في الجزائر ،فبالقدر الذي وصلت فيه ذروة الصراع هذه إلى خلق وضعية تظهر فيها الثقافة القائدة كاستعمار للعقل ،ولا يمكن إلا ان تدفع المجتمع إلى تنظيم رد فعل سلبي يسعى من خلاله إلى طرد هذه الثقافة أو الفئة المترابطة بها في الوقت نفسه ،من الجماعة واعتبارها خارجة عنها[1] ،فتحت المجال من زاوية مغايرة ،لتعميق النظر حول محدودية التنشئة التربوية-الاجتماعية وجذورها الثقافية ذات القابلية الاستهلاكية لدى نوع مختلف من الطلبة ،على اعتبار أن الهدف الذي أصبح منبع اهتمام هذه الشريحة ،في ظل الفراغ التربوي والانفصال بين التربية من جهة والتعليم من جهة أخرى في النظم التعليمية العربية ،وهو الحصول على الشهادة وتلقي الامتيازات الإدارية ،حيث كشفت لنا مخرجات الدراسة السوسيولوجية في هذا السياق ،أن دافعية الطالب للعملية التقويمية كتجسيد للكفاية التواصلية داخل فضاء التدريس ،أضحت تعبر عن انبثاق الروح السلبية واختلال القيم التنافسية ،على ضوء الاهتراء التوازني الذي بات يطغى على البيئة العلمية للجامعة عموما ،لاسيما وأن الشعار الذي أصبحت تتبناه العقلية الطلابية بشكل ضمني ،قد استهل عبارة :"الشهادة للجميع والعلم لمن أراد" ،وهو المنظور الذي استحضره لنا أحد المستجوبين مستفسرا :"ماذا سأجني من الزاد المعرفي والتحصيل الدراسي إذا كنت في كل الأحوال سأتحصل على الشهادة في الأخير؟ !"[2] ،من هنا بدت "لحظة السقوط" من خلال آلية الخطاب التقويمي عند الطالب ،تتجه من الوضعية(أ) ،التي يعتبر فيها هذا التقويم على أنه مطلب بيداغوجي مؤسساتي ،يجسد مدى امتلاك الطالب لنزعة إنتاجية تستدعي تقديم مجهود معرفي وديناميكية علمية في سبيل ذلك ،إلى الموضع(ب) ،التي تمثل فيها هذه الأداة

1- برهان غليون ،اغتيال العقل ،موفم للنشر ،الجزائر ،1990 ،ص108.
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 10 ،بتاريخ :15-04-2015 ،التوقيت :[10:30-09:50].

كونها معطى مشاعي خام يستوجب من خلاله المطالبة بأخذ النصيب ،وتصويرها على أنها تعبر عن حصص ريعية.

وتأسيسا على ذلك ،أصبح الحراك يتحدد باعتباره عملية انتقال في سلم المراتبية الاجتماعية صعودا أو نزولا لتغيير الموقع والمكانة الاجتماعية للفرد أو المجموعة ،تبعا لمعايير منها ما هو فردي ومنها ما هو جماعي ،منها ما هو عقلاني موضوعي ومنها ما هو لا عقلاني لا موضوعي ،بشكل يحدَد النمط العلائقي في شتى مستوياته داخل البناء الاجتماعي العام ،بما يخلع على الدور والمكانة شرعيتهما على أنهما ضمانة للاستمرارية ،أو يخلعها عنهما فيجعلهما عرضة للاهتزازات وذلك اعتبارا ،وأن الحراك مثَل مجموع الآليات التي تتحكَم في عمليات الانتقال في سلم المراتبية الاجتماعية..[1] ،مما اقتضى على هذه الدافعية حذو مسلك تقليداني في نمطيتها المصلحية الضيقة ،نظرا لكون هذه المصلحة تمثل ركيزة أساسية في بناء علاقة القوة ،فصاحب القوة (الذي نعني به الأستاذ) أصلا ،هو في موقع يمكنه من فرض إرادته ،لأنه يحكم المصادر التي تنعكس فيها المصالح والحاجات الخاصة بالطرف الخاضع (الذي نعني به الطالب) ،وبالمقابل فإن الطرف الخاضع ،يمارس الخضوع ،وقد يضطر أحيانا أن ما يحققه من مصالح لا يمثل جميع ما يستحقه. إن المصلحة هنا ،تستخدم بمعناها العام ،ولذلك فهي لا تنحصر فقط في المصالح المادية ،إنما تتعداها إلى ..القبول والتقدير –أو ما نعنيه في بحثنا بالتفوق الجامعي والاستحواذ على ريادة الدفعة- وكل ما من شأنه أن يحقق التفاضل أو يكشف عنه.[2]

ومن الاعتبارات التفصيلية التي يمكن إدراجها في هذا الشأن ،أن سيادة هذه الثقافة التلقائية بما تحمله من اختزال للدور ،وتقزيم للذات ،وعرقلة للحراك داخل الوسط الطلابي ،لتركب ما يصطلح على تسميته "بالعقل الريعي" ،قد أظهرت لنا من خلال تمحيصنا الإمبريقي للظاهرة ،عن وجود اختلاف معياري من حيث المنطلقات التمهيدية التي تنبني عليها هذه الدافعية الذاتية للتقويم ،حيث تجلت متون هذه الخصوصيات في ثالوث من

1- حافظ عبد الرحيم ،مرجع سابق ،ص120.
2- محمد عبد الكريم الحوراني ،مرجع سابق ،ص257.

التصنيفات الفئوية للطلبة ضمن الصرح الأكاديمي للجامعة كتعبير عن ما يسميه -جي دوبور GUY DEBORD-* "بمجتمع الفرجة" ،والتي يمكن حصرها في مايلي:

1) الدافعية النفعية (البراغماتية):

حيث ارتكزت قيم التقويم لدى هذه الحالة من الطلبة ،على حتمية التنازل النسبي في استعمال اللغة التواصلية الاستهلاكية ،أين عبر لنا أحد الأساتذة المستجوبين قوله في هذا الصدد :"لقد أصبح الطالب يميل إلى الاحتكاك بالأستاذ ومجالسته في مختلف المجالات العمومية سواء تلك الخاصة بالفضاء الجامعي أم في العوالم العامة وذلك ليس من أجل أخذ المعرفة والاستثمار في الخبرة العلمية ولكن بدافع المنفعة الشخصية الضيقة التي لا تتعدى منطق النقطة"[1] ،وهو المعيار الذي يندرج في صورة الدافعية البراغماتية ،لاسيما وأن المذهب النفعي الذي يعتمده (رولز) ويناقشه يمدَ إلى المجتمع المعايير والمحاكمات المألوفة في نطاق الأفراد. والحق أن الفرد يميل إلى زيادة رفاهه الخاص ،إلى القيام بحساب الخسائر والأرباح ،على نحو يحقق لنفسه به أكبر خير ممكن ،وعلى هذا المنوال تجدنا نفرض على أنفسنا تضحيات مفيدة غرضها جعلنا نكسب بعدئذ منافع أكبر.[2]

2) الدافعية الاستغلالية:

تعود بداية تشكل هذه الفئة ،إلى الرواسب التنشئوية التي تدرج عليها الطالب عبر مختلف المستويات التعليمية،مما طبع على نزعته العلمية صفة الخواء المعرفي ،وغياب الأخلاقية الأكاديمية ،والجمود الفكري الذي يفتقد في أساسه إلى عقلانية العطاء وروح التنافس ،حيث عرف –فروم ERICH fromm-** الشخصية الاستغلالية بأنها نمط من أنماط الشخصية غير المنتجة ،إذ يرى أن هذه الشخصية تنظر إلى كل شيء يحتاجه الفرد يكون مصدره خارجيا ،أي يمكن الحصول عليه من الآخرين بالقوة أو المكر أو الخداع سواء أكانت هذه الاشياء مادية أم فكرية أم عاطفية ،والمبالغة في تقديم قيمة الاشياء التي يمتلكها الغير أكثر من قيمة

-* مفكر فرنسي [1931-1994].

1- تصريح مستمد من لقاء حواري مع الأستاذ رقم: 03 ،بتاريخ :16-03-2015 ،التوقيت :[10:45-09:30].

2- جاكلين روس ،الفكر الأخلاقي المعاصر ،تر: عادل العوا ،عويدات للنشر والطباعة ،ط1 ،بيروت ،2001 ،ص97.

- محلل نفساني أمريكي [1900-1980].**

الأشياء التي يمتلكها هو[1] ،وهو الأمر الذي تم استنباطه ميدانيا من خلال ملاحظاتنا العلمية المباشرة ،حيث شملت هذه الميزة من الدافعية بشكل أكبر الطلبة المنخرطين في التنظيمات والنوادي المؤدلجة إلى حد ما ،ومن ثم بات الطالب الجامعي يلعب تمثيلية الشخص الاستغلالي الذي يميل إلى استغلال الآخرين (الأستاذ تحديدا) والاستفادة منهم ،ويكون الآخرون مهيمن عنده فقط في الحد الذي يمكنه من استخدامهم لمصلحته.[2]

3) الدافعية الانتهازية:

تمثلت ملامح هذه الشريحة في اتخاذها لآلية التقويم ،على أنها تمثل لعبة مساومة وتحقيق فرص ،بغض النظر عما تفرضه من شروط أو ما تؤول إليه من نتائج ،حيث أن الانتهازية كظاهرة في المجتمع ،فهي اتخاذ الإنسان لمواقف فكرية لا يؤمن بها في سبيل تحقيق مصالح فردية أو حماية مصالح شخصية ،أو أن يتخذ الشخص مواقفه وآرائه الفكرية حسب تغير الظروف أملا في الحصول على مصلحته الخاصة والمحافظة عليها ،دون أن يكون مؤمنا بالمواقف والأفكار التي يتخذها. أي أن الانتهازية تعني التضحية بالأهداف الإستراتيجية من أجل تحقيق أهداف مرحلية مؤقتة[3] ،وهو ما أكده لنا أحد أفراد عينتنا بقوله :"إن واقع الجامعة اليوم ،فرض علي تقديم تنازلات من أجل تحقيق مآربي الخاصة من الأستاذ".[4]

فإلى جانب التجليات السوسيو-ثقافية التي تم التأكيد عليها ميدانيا ،يصبح من الضروري أن ننوه على أن هذا الثالوث من الأنماط السلوكية لدافعية الطالب للتقويم ،قد اتسمت بالتقلبات التزامنية من مرحلة إلى مرحلة أخرى ،مما يعني أن هذه التبدلات الظرفية في التداول التفاعلي مع شخصية وخصوصية كل أستاذ ،هي كذلك لها ما يغيَرها بين الطبيعة البراغماتية ،والصفة الاستغلالية ،والسمة الانتهازية ،لتعبر في مغزاها اللامنطوق عن ما يمكن تسميته "باستعارة الواجهة" داخل الجامعة التي استنسخت تمظهرات "مجتمع الفرجة".

1- محمد أحمد الرفوع وتيسير خليل القيسي ،قياس الشخصية الاستغلالية لدى عينة من طلبة كلية الطفيلة الجامعية التطبيقية واستقصاء العوامل المؤثرة فيها ،مجلة جامعة دمشق ،المجلد12 ،العدد الأوَل ،دمشق ،سوريا ،2005 ،ص147.

2- مرجع نفسه ،ص148.

3- سمير اسماعيل ،الانتهازية والانتهازيون ،الحوار المتمدَن ،العدد1108 ،بتاريخ:2005-02-13 :www.ahewar.org

4- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 11 ،بتاريخ :2015-04-30 ،التوقيت :[16:30-17:30].

- **خاتمة :**

استنتاجا لما تم الكشف عنه إجرائيا ،من خلال تفكيكنا لمضمون البراديغمات التواصلية ،التي تحكم معاملات الارتباط الموثوقة بين الأستاذ والطالب داخل الوسط البيداغوجي للجامعة الجزائرية ،تبين لنا سوسيولوجيا مدى الاختلال القيمي الذي بات يحرك ميكانيزمات التفاعل داخل هذه الخلية ،على ضوء التمزق النسيجي الذي مسَ مختلف الجزئيات العلائقية ،التي تحتويها العملية التثاقفية سلوكيا واجتماعيا ،ناهيك عن الهشاشة القاعدية التي ظلت تستنبطها الذهنيات الفردية المستقطبة لهذا النوع من السلوك رمزيا وثقافيا ،فمن منطلق تتبعنا لتمظهرات الصرح الأكاديمي ،من حيث الثالوث المعياري الذي تتسم به وجاهة وعلمية المجال العام للجامعة ،والتي فصلناها في متغيرات التجديد ومتون المعرفة وبوادر الانفتاح ،تجلى لنا ميدانيا وجود حالة باطولوجية متجذرة في هذه الضمنيات التي شكلت حالات من الانزلاق المتباينة بين الطغيان التقليدي ،والإكراه اليوتوبي ،والانغلاق التفكيري على جل جوانب هذه المنظومة ،مما انجر عنه دخول الطالب الجامعي في دوامة التيه العلمي الذي تشوبه الجدليات السيكولوجية ،والمتمثلة بشكل أدق في جملة الصدمات المجتمعية التي تولدت بين حتميات المثل وراهنيات الواقع المعاش ،مما جعل كوامن هذه التواصلية الجارية بين الأستاذ والطالب داخل فضاء التدريس ،تتخللها التباسات اعتباطية على مستوى المواقع الجامعية التي يحتلها كل طرف في هذه العملية ،ليتبلور من خلال ذلك هاجس الرحلة البحثية عن المكانة المعرفية والاجتماعية ،بين ثنائية المركز والهامش على حد سواء ،لاسيما وأن ما اتضح لنا علاوة عن ذلك ،أن هذه المتناقضات القيمية المتشكلة داخل ما نسميه-بالمخبر الأولي لإنتاج المثقف- ،قد شكلت سقوطا تفاعليا من طبيعته التوازنية الأفقية ،التي تتسم بالاستقلالية الفردية للفواعل ،إلى حالة صراع الرغبات الشخصية التراتبية بين ازدواجية مالك الحقيقة ومستهلك الخطاب ،هو الأمر الذي انتهى حسب تحليلنا "بالنتيجة الحصرية" ،التي تجسدت في جوهر الفعل الممارساتي ضمن ميدان المثاقفة ،والذي استبدلت فيه مؤشرات الإبداع والحس النقدي بالاندفاع التلقيني للمادة المعرفية من جهة ،وعممت في ثناياه الأساليب الترميقية محل النزعات الإنتاجية من جهة أخرى ،ومن ثم أصبحت مخزونات الخطاب التداولي لا تحتكم إلى موضوعية المعرفة

وأحقية الكفاءة بين الطالب وعضو هيئة التدريس ،بقدر ما أضحت ترتكز على البعد التقليداني المستنسخ من بدولوجية المجتمع الجزائري عموما وذلك نتاجا لاتخاذ التقويم لغة تواصلية جديدة في تثبيت العلاقة الطردية بين موازين القوى. وعلى مبنى هذا الأساس ،فإن مجمل هذه المخرجات العلمية التي استوقفتنا في هذه الدراسة ،قد أثبتت لنا مدى غياب مظاهر العملية التثاقفية داخل المجتمع الجامعي في الجزائر ،مما سيدفعنا في هذا العمق الابستيمولوجي للظاهرة للبحث في مولدات هذه الآلية الكشفية بالنقد والتحليل وعليه :ما هي إنتاجات هذه الأزمة التثاقفية الناجمة في الحقل الجامعي الجزائري؟ فيما تتمثل إفرازات الانسداد التواصلي القائم بين الطالب والأستاذ داخل الصرح الأكاديمي للجامعة الجزائرية ؟وأين تكمن نواتجها القيمية ودلالاتها السوسيولوجية ؟

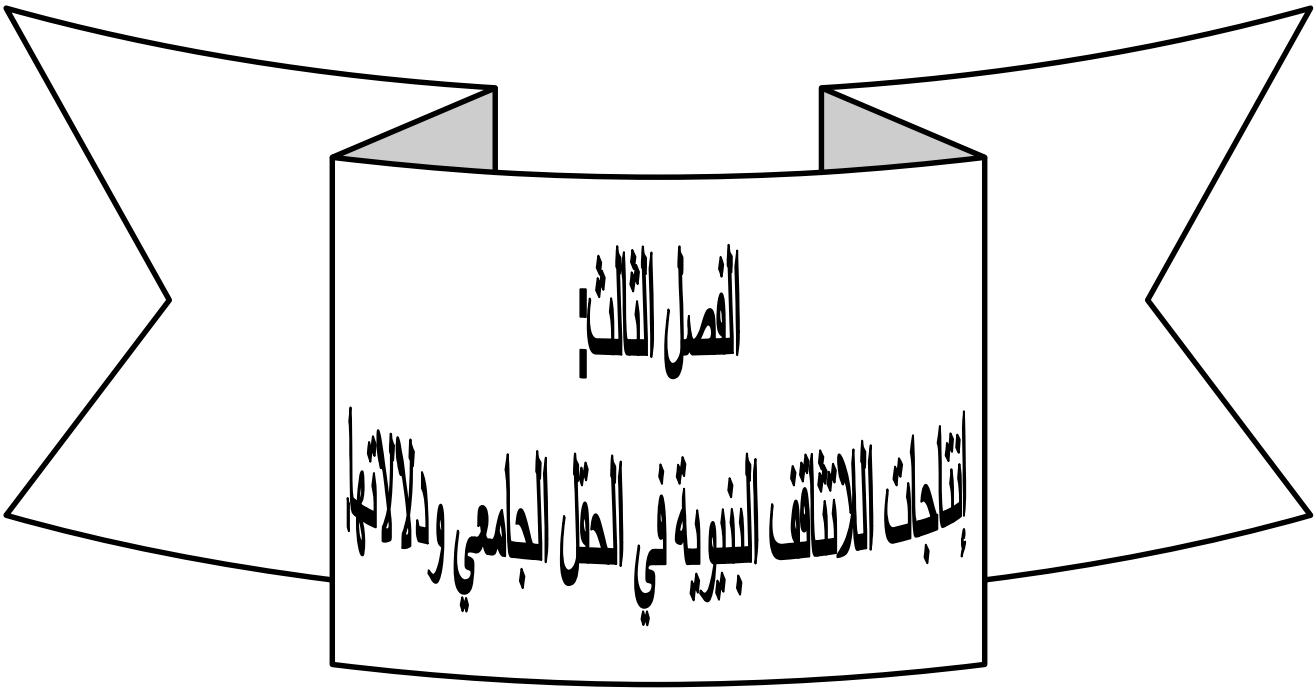

"..الأفكار الجديدة هي عقل المجنون داخل المجتمع الذي يحكمه الثبات ويركن إلى الماضوية."

- **تمهيد:**

ترتكز أطروحات التنقيب العلمي السوسيولوجي للظاهرة التثاقفية في المجتمع الجزائري ،على طبيعة المخيالات القيمية الراسبة داخل الأنساق التقليدية المركبة ،التي ينبني عليها الضمير الجمعي للعقل الجزائري ،عبر مختلف المؤسسات التشئوية والتعبوية التي يتعاقب عليها ،ولعل مهمة تجسيم اللَبنات الأساسية لمخرجات النمذجة البنيوية ،التي ترتسم على الجامعة الجزائرية اليوم ،قد فتحت أمام محتوياتها الضمنية في المجال الميكروسوسيولوجي ،عدة تساؤلات طابوهاتية لم تدفع بالفاعل الأكاديمي داخل المجتمع الجامعي ،إلى التعمق في مقتضيات الحس النقدي والتشريح الانعكاسي للذَات الفاقدة للتثاقف ،عبر المثل والقناعات وعلى مستوى فاعلية السلوكيات ،لاسيما وأن تجليات المثاقفة ومرئياتها التفكيرية ،قد أظهرت مدى تأثير حتميات الصدمات المعرفية-الاجتماعية ،واعتبارات التقوقع التفردي على هذه العوالم ،مما أدى بالأطراف الجامعية المحركة لموازين القوى المتضاربة ،إلى تشنيج البناء العلمي للذهنية الثقافية العالمة ،والبناء الحضاري للوسط الأكاديمي العمومي ،حيث تبدَت أهم المتون التي شغلت بال الكثير من الدارسين في حقل علوم المجتمع على وجه الخصوص ،ما مضمونها :أي حقل معرفي لأي طالب جامعي؟ وأي باحث (مثقف) لأي وسط مجتمعي؟ ،ومن ثم فما هي الإفرازات البنائية لهذا التأزم التثاقفي المتجلَي داخل الجامعة الجزائرية راهنا؟. وهو ما آل بنا في سرديات هذه الدراسة إلى التمحيص في مخرجاته الجدلية والارتباطية بين الأستاذ والطالب داخل ما أسميناه –بالمخبر الأولي لإنتاج المثقف- ،والذي عنوناه في هذا الفصل بـ:"إنتاجات اللاتثاقف البنيوية في الحقل الجامعي ودلالاتها." ،أين سيحمل في طياته التحليلاتية ،البنيات البانية لمتغيرات "النموذج" بين النواة القاعدية للحقل الجامعي وانعكاسات الصدمة الثالوثية للطالب ،وبين الوحدة التشكُلية للهوية الجامعية ونواتج التناظرية القسرية ،والازدواجية التعسفية المتحوصلة بين الأستاذ والطالب على حد سواء ،فهذه السياقات الكفيلة بإنتاج المعنى ،ستسلط الضوء على دلالات هذا الاستشكال الرئيسي :"لظاهرة الجامعة ومعضلة إنتاج الطالب المثقف في الجزائر" بمدارات إبيستيموسوسيولوجية.

1- نموذج الحقل الجامعي المجهض أو البديل الشائع:

تتسع وجهات النظر والرؤى التفسيرية في فهم المأزق المعرفي لإشكالية الجامعة في الجزائر ،من منطلق حيثيات الأطر الاجتماعية ،والتركيبات البنيوية ،والمستجدات المجتمعية ،التي تصقل الذهنيات الفردية في كنف شروطها ومدلولاتها ،مما أبقى أحواز التساؤل لدى العديد من الدارسين والمتخصصين في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية على سبيل الحصر ،مفتوحة النطاق حول البحث في مضامين الطرح المحوري الذي مفاده حسب السوسيولوجي"جمال غريد" هو:"أي جامعة لأي مجتمع؟"* **« Quelle université pour quelle société ? »** ،لاسيما وأن مفعول التشعيبات التحليلية في الفهم الميكروسوسيولوجي المقترن بقضايا الثقافة ،وما تحمله من تعدد وتنوع في المعارف البسيطة منها والمعقدة ،والصريحة منها والضمنية ،والفردية منها والجماعية على أكثر من صعيد ،قد تتطلب في محتواها الجوهري عدة اعتبارات أساسية على مستوى المثل والتصورات من جهة ،ناهيك عن الإجرائيات الممارساتية والردود الفعلية من جهة أخرى ،ولعل أهم الاستشكالات الرئيسية التي باتت تشكل هاجسا إبيستيمولوجيا بصورتيه المعرفية والاجتماعية حول الجامعة الجزائرية اليوم ،يمكن استجلاؤه بالأساس في البحث عن النموذج الفعلي للحقل الأكاديمي الخاص بالمجتمع الجامعي محليا؟ بحكم أن مقتضيات الهوس الفكري والثقافي ،الذي أصبح يربط شظايا المؤسسات التعليمية ،والمنظمات المعرفية في الجزائر منذ الاستقلال ،وفي واقع الحال بالموازاة مع إصلاحات **1971** ،وما رافقتها من جملة التعديلات والتسويات إلى يومنا هذا ،أو ما يسميه –محمد غلام الله-** بالإصلاح والإصلاح المضاد[1]،هو نتاج للتضاربات الازدواجية ،والتمازجات الثقافية ،والثنائيات الفكرية والأيديولوجية ،التي لم تمكن الجامعة في الجزائر من الاستقرار على خصوصيات "النموذج" ،حيث تقاطرت الأبحاث وتواترت القراءات في هذا الميدان لتشكل

*- أنظر مؤلفات الكاتب:الاستثناء الجزائري ،المعرفة والمجتمع في الجزائر ،الجامعة اليوم ،إعادة التفكير في الجامعة ...الخ

**- أستاذ في علم الاجتماع بجامعة الجزائر العاصمة.

1-Djamel GUERID ,REPENSER l'Université ,édition arak ,Alger ,novembre 2014.p.35.

مجالا مجهولا في مرتكزاته ومعالمه وموضوعاته ،ولتجمع تحليلاتها العامة في استنباط مداخل هذه الظاهرة على أن الجامعة الجزائرية ،لم تعد تلعب دورها الريادي في تشكيل نواة "صلبة" للنخب المثقفة ،وكما يعلق –علي الكنز- ،"فبعد أن كانت النواة الأساسية للعمل الثقافي الوطني قبل الاستقلال وفي سنواته الأولى لم تصبح الآن إلا جهازا عاليا للتكوين يحاول قدر الإمكان تحقيق وظيفة اقتصادية واجتماعية أكثر من أي ادعاء آخر في جمع أنتليجانسيا البلاد حولها" ،أما في الوقت الراهن فقد تعقد وضع الجامعة الجزائرية ،وأصبحت هي نفسها تعيش أزمة ذاتية ،بعد أن تمت بقرطتها تماما ،وأصبح شغلها الشاغل هو البحث عن هوية جديدة ودور ما في ظل هيمنة عقيدة السوق[1] ،مما أفرز في تبعاته المعرفية ما يسمى "بعقم الإنتاج".

هذه الهوة الماكثة بين متغيرات المعطى الثقافي الباطولوجي ذو الجذور الإنسية ،الذي أنتجته معطيات الانقساميات التاريخية ،الطامحة إلى بناء ما سمي بعد الخروج الاستعماري "بالدولة الوطنية" ،التي تعتبر مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي إحدى هياكلها ،وبين متطلبات الحداثة والتكيف مع أفكار العصر ،التي انبنت أطروحاتها التنظيرية على أفهام منعزلة وبيئات متفرقة ،قد أبانت في معناها الجزئي الدقيق ،عن غياب فعلي للنقد الجذري لا على مستوى الشروحات التفكيرية التجريدية ،ولا على واقع الممارسة التجسيدية للوقائع ،ومن هنا يظهر المنزع التفكيكي لدى –برهان غليون- في تنقيبه لمثل هذه المحتويات إلى القول :"أن النقد الجذري هو نقد الذات ،أي نقد الأسس الأولى التي قام عليها في العلم العربي الحديث-موضوعنا هنا الحالة الجزائرية- ومنذ نشأته ،العلم العربي السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفلسفي :أسس انسجامه الداخلي وعقلانيته التي تعكس درجة وعي المثقفين العرب للواقع الذي يتصدون له ،ولأسس إنتاج هذا العلم الاجتماعية ،أي قاعدة تكوينه التي تعكس درجة ارتباط المثقفين أنفسهم بالشعب (المجتمع) والقوى الاجتماعية الكبرى ،وكلتاهما ترتبط بالأخرى. عندئذ سيدرك الفكر العربي في هذه المراجعة فقدانه لكل درجة انسجام واتساق داخلي ،وأن عقلانيته لا ترى إلا من منظار

1-نور الدين زمام ،حول سوسيولوجية المثقف الجزائري ،مجلة إضافات (المجلة العربية لعلم الاجتماع) ،الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية ،العدد الأول ،شتاء 2008،بيروت ،ص 140.

اقترابه أو ابتعاده عن الفكر الغربي (الوعي والعلم) وبه[1] ،ولو أن عملية التعلق والاقتران هذه لا تنسحب إلى مستوى الفعالية الثقافية والفهمية ،وإنما اقتصرت عينيا على الكماليات الشكلية ،والقواعد المادية الهشة ،وعليه بات هذا المبدأ النقدي كمعيار وقيمة لدى الذهنية الجزائرية ،سيما ذات المراتب العلمية العالية يتعيش من الفراغ الفكري والمعرفي ليعيد طرح نفس التساؤلات المتذبذبة ،و الأفكار البالية على نطاق واسع ،لتصبح بذلك راهنية الغياب التثاقفي في الوسط الجامعي يكتنفها البحث عن سرايا الاتجاه أو بالأحرى الاستفسار عن التوجه الذي يتحدد به وجود هذا الحقل الأكاديمي ومولداته ،نظرا لأن ماهية الاتجاه سوسيولوجيا "هي منظومة نسبية من العقائد الموجهة نحو موضوع معين أو حالة تستثير عند الفرد استجابة أو مجموعة من الاستجابات التفاضلية ،ويمكن لهذه الإجابات أن تكون صريحة أو ضمنية".[2]

ومن خلال هذه المدارات الاستيعابية للظاهرة ،شكل موضوع الإنتاج الجامعي في المجتمع الجزائري عدة فسيفسائيات خفية ،حيث أظهرت مسألة تحليلنا السوسيولوجي لإفرازات الأزمة التثاقفية بين الأستاذ والطالب ضمن ما نسميه –بالمخبر الأولي لإنتاج المثقف- أن جملة التشوهات التي طرأت على حصيلة الجزئيات العلائقية للمثاقفة الجامعية ،والتي خلصت على إثرها عملية تشريحنا لخصوصيات البيئة الأكاديمية كفضاء لهذه الصيغة إلى لحظة الصدمة الثلاثية (الجديد ،المعرفة العلمية والانفتاح) ،قد أدت بالطالب الجامعي كامتداد لما لحق بالأستاذ الجامعي هو الآخر(قبله) ،إلى حالة التشتت الذهني ،والتمزق النسيجي والثقافي والاختلال القيمي الاجتماعي ؛وهو ما يمكن أن نطلق عليه اسم "اليأس المعرفي داخل المجهض" ،فأضحى حسب منظور –بيير بورديو- يحتمل خاصية الهابيتوس أو الاعتياد الذي فرضته متغيرات الشروط المعرفية المتراكمة بتقاطعياتها ومعطيات المعاش لعملية تسييرية للظروف التاريخية للواقع ،ومنه بقيت حتمية هذه الصدامات الطارئة على مستوى الخصوصيات البيئية للجامعة ،التي نجم عنها احتكار البنى الظلامية وهيمنة الأدلوجة الوهمية وسيطرة فكرة الانغلاق في علاقة الذات بالآخر ،تبحث

1- برهان غليون ،مجتمع النخبة ،معهد الإنماء العربي ،ط1 ،بيروت ،1986 ،ص16.
2- علي وطفة ومها زحلوق ،الشباب –قيم واتجاهات ومواقف- ،دون دار نشر ،ط1 ،دمشق ،د ت ،ص68.

عن مشروعية الديمومة وشرعية تبرير البقاء كنتاجات استثمارية لدى البنية الفوقية (النخبة الحاكمة) في الجزائر ،حيث ظلت هذه السيماءات حسب عالم الاجتماع "بيير بورديو" تعمل على إنتاج وإعادة إنتاج نفس المخرجات التعسفية لتصبح ذلك المبدأ المولد والموحد الذي يترجم الخصائص الباطنية والعلائقية لوضع ما إلى أسلوب في العيش الموحد ،أي مجموعة موحدة من اختيارات الأشخاص والممتلكات والممارسات. والسيماء الاجتماعية توجد متفاضلة مثلها في ذلك مثل الأوضاع التي أنتجتها ،لكنها أيضا فارقة ،وإلى جانب كونها مميزة ومتميزة ،فهي في حد ذاتها مفاعلات للتمييز :إنها تقوم بتوظيف مبادئ مختلفة للتفريق أو تستخدم مبادئ التفريق المشتركة بطرق مختلفة[1]. وعلى هذا الأساس بات الانشغال المقلق لدى الفئة الطلابية حسب ما أفادنا به أحد المستجوبين ما مضمونه :"ما هي طبيعة هذه الجامعة التي يحدثوننا عنها مادام أنها ليست تلك التي تصورناها !؟"[2] ،في الوقت الذي ما فتئت الثقافة العربية (والجزائر تحديدا) تشكل مسرحا لعدم التنظيم القيمي وساحة للتناقضات بين القيم والمبادئ ،بين الشعارات والانجازات ،بين التصرفات والممارسات. وبالتالي فإن الشباب الذي ينشأ في مجتمع يحفل بكل هذه التناقضات لابد له أن يواجه المعاناة القيمية وأن يعيش بحالة من عدم الاستقرار الفكري الذي يستلبه في مستوى الوعي والتصورات وتترامى الثقافة العربية –يضيف د.علي أسعد وطفة- في نظام تتعايش داخله وبشكل تقاطعي شبكة من النزاعات والاتجاهات التي يعوزها الائتلاف ويسودها الاختلاف ،فهناك الثقافة العربية الكلاسيكية التي تمجد الماضي وتقدسه... وهناك الثقافة العربية الحديثة التي يعيش فيها الفرد وبفعل ازدواجيتها في ضياع شبه تام لأن زمنها الثقافي بعيد كل البعد عن ذاتية الفكر العربي وخصوصياته الحضارية والثقافية.[3] وهو الواقع الذي يثبت لنا على مبنى ملاحظاتنا الامبريقية ،مدى الغموض السائد داخل الحقل الجامعي الكائن ،الذي يضم تطلعات وآمال ما كان وآفاق ومستقبليات ما ينبغي أن يكون ،كما هو العجز الذي أبان عن وجود التباس مفاهيمي وابيستيمي في تحديد التعريف الإجرائي الصريح لمفهوم الطالب الجزائري خارج مجال الطالب الجامعي اليوم؟ في ظل

1- بيار بورديو ،أسباب عملية –إعادة النظر بالفلسفة- ،تر: أنور مغيث ،دار الأزمنة الحديثة ،ط1 ،بيروت ،1998 ،ص31.
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 02، بتاريخ:22-01-2015 ،التوقيت :[13:00-12:00].
3- علي وطفة ومها زحلوق ،مرجع سابق ،ص94.

غياب التعريف السوسيولوجي للجامعة الجزائرية بعيدا عن التعاريف الكلاسيكية والنظرية لمصطلح الجامعة حديثا؟...وفي مستوى آخر من التحليل ،تبدو هناك مدعاة لمساءلة الأنموذج ذاته بالطرح التالي: ماذا نعني بالحقل الجامعي المجهض؟ فيما تتجلى تمظهراته؟ وإلى أي مدى يمكننا إسقاط غياب "المشروع المجتمعي" على ما هو مجهض جامعيا في الجزائر؟.

أ- أسطرة التحديث والتشبع بالنكوصية:

لقد ترتب عن اختراق الصدمة الكونية للجدار السيكولوجي ،الخاص بالذهنية الثقافية لدى الطالب الجزائري في الوسط البيداغوجي للجامعة ،وفي ظل انعدام حيوية الأفكار المتشبعة بالمعارف الخصبة ،انبثاق واقع علمي مهزوز على مستوى أنساقه وتشكيلاته البنائية ،لاسيما وأن إشكالية اللاتوافر التي شملت طابع كل ما هو جديد بمختلف عقلانياته الفكرية وحداثاته القيمية ،قد جعلت من حالات الغياب التثاقفي القائم بين الشاب الجامعي وعضو هيئة التدريس ،تسير نحو انتهاج دروب "أدلجة المثل" ،التي تتفاعل من خلالها –وبها- الأوساط الشعبية داخل المجتمع الجزائري ،حيث ظلت الصور والأشكال الحديثة لا تجانب الرمزيات ،بقدر ما باتت تحذو "عالم ونظريات التشيؤ " ،بحكم أن إمكانية فهم الحقول كفضاءات مشكلة من مواقع تتوقف خاصيتها على المكان الذي تشغله ،ويمكن تحليلها مستقلة عن شاغليها ،في إطار قوانين عامة تحددها ،إذ لمختلف الحقول قوانين اشتغال ثابتة. ففي كل مرة ندرس حقلا جديدا ،نكتشف بعض الخاصيات النوعية الخاصة بحقل معين ،ونكتشف في كل حقل صراعا قائما بين:"الداخل الجديد الذي يحاول تفجير مزاليج المدخل من جهة ،والمهيمن الذي يحاول الدفاع عن احتكاره للرساميل وإقصاء المنافس من جهة أخرى ،ويتعين على ذلك الصراع أن يبحث له في كل حقل خاص عن شكل نوعي."[1] ،ذلك أن جوهر هذا التصادم الموجود بين "الداخل" –أفكار الطالب- و"المهيمن" –أفكار الأستاذ- حسب بحثنا الميداني ،لم تستظهر تلويناته التواصلية إلا كامتداد لصراع ثقافي وقيمي

1- نسيمة مخدامي ،الجامعة الجزائرية بين الأصالة والمعاصرة ،مرجع سابق ،ص53.

أنثربولوجيا وتاريخيا ،من خلال علاقة المجتمع والفكر العربيين بالحداثة ،مادام أن ملاحظة الخصائص التحولية لأحد الأوساط الاجتماعية هو سبيل الكشف عن مختلف هياكله بشكل أفضل من تحليل هذه الهياكل أثناء مرحلة استقرار هذا الوسط. وعلى صعيد الأنظمة التعليمية ،اقترح بيير بورديو **pierre Bourdieu** وجون كلون باسورون **Jean claud passeran** التمييز بين الفترات التكوينية أو البنيوية من جهة ،وبين الفترات الحرجة التي يمكن أن تمر بها الأنظمة من جهة أخرى. وأن الفترة البنيوية هي تلك التي تتم خلالها عملية مواءمة بين مختلف مكونات النظام ،هي عملية تتكرر بمجرد حدوثها لأول مرة ،كإحداث مواءمة بين الوسط الاجتماعي "المتوسط" للمعلمين من جهة ووسط الطلاب من جهة أخرى ،أو بين الخلفيات الثقافية لهاتين الفئتين ،أو كذلك بين عدد الطلاب و أماكن وجودهم وبين نسبة عدد الطلاب للمعلمين...الخ. لكن الفترات الحرجة هي تلك التي تتسم باختلال توازن هذا النظام نتيجة لوصول أعداد هائلة من المعلمين والطلاب الذين يحملون ثقافة مغايرة لتلك التي كانت تسود آنفا على أوسع نطاق ،وكذلك نتيجة لوجود أشكال جديدة لتشغل الأماكن المخصصة لهم بسبب الأعداد المتزايدة...الخ[1] ،إلا أن واقع الحال ،حسب دراستنا السوسيولوجية لحتميات الانعدام المتجدد على مستوى الفضاء الأكاديمي ،قد أبان عن وجود "قابلية التحجر" لدى الطالب الجامعي ،حيث كشف لنا أحد المقابلين سياقات هذه العملية بقوله :"لا يمكنني الإتيان بأي شيء جديد مادام أن الواقع لا يقر بذلك فلا يمكنني تغيير مجريات الأمور بمفردي"[2] ،وتأتي سرديات هذا التمحيص في إطار ما يذهب إليه – برهان غليون- حيث يعتقد أن التأخر والجمود ناجمان إذن عن وجود هذه السلطات اللاعقلية ،أي التي تفرض التسليم لمبادئ وقيم وأفكار وسلوكات مفروضة ،وغير مبررة ،والتي تمنع العقل من القيام بوظيفته ،ومن الانغلاق في الكون والعالم ،فإذا مازالت هذه السلطات أو أزيلت ،انفتح المجال واسعا أمام العقل ،ومن تم أمام التطور ،وتحرر التاريخ من الأسر ،وصار التقدم هو علامة هذا التاريخ ومرشده ،ومن هنا كان مفهوم الحرية هو من المفاهيم الأساسية والضرورية الملازمة أيضا لمفهوم العقل والعقلانية ،فالحرية هي شرط نشوء هذا

1- جمال غريد وآخرون ،النخب الاجتماعية –حالة الجزائر ومصر- ،مركز البحوث العربية والإفريقية ،مصر ،2004 ،ص21.
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 07 ،بتاريخ :06-04-2015 ،التوقيت :[10:00-10:45].

التاريخ ،شرط التقدم والتجديد.[1] ومن هنا يتمثل المنزع التساؤلي في فهم هذه الظاهرة بالبحث في : ما هي توصيفات الجديد المستبدلة لدى العقلية العلمية للطالب الجامعي على ضوء سيادة هذه "القابلية المتحجرة"؟

إذا ما سلمنا ابستيمولوجيا ،أن النشاطات التربوية المختلفة تميل إلى إعادة إنتاج نموذج التعسفات الثقافية التي تميز التشكيلة الاجتماعية ،أي إلى إعادة إنتاج نموذج التعسف الثقافي الغالب الذي يسهم من هذه الحيثية بإعادة إنتاج علاقات القوة التي تنصب هذا النموذج التعسفي الثقافي في النصاب الغالب ،فإن الواقع السوسيولوجي في فهم وتفكيك جدلية "المستحدث" داخل العقل الطلابي ،ومن ثم على مستوى الحقل الجامعي بشكل عام ،قد استبين لنا مسألة العودة إلى النكوصية ،ففي الوقت الذي كانت فيه الجامعة الجزائرية – حسب تعبير جمال غريد- قبل وأثناء الاستقلال في سنواته الأولى سابقة للمجتمع من حيث منظومته الثقافية ومنشآته القاعدية ،أصبحت النظرة الانعكاسية اليوم تسجل عهدا مختلفا عن سابقه ،أين ظلت البنى التحتية التحديثية للمجتمع لا تمثل المستوى الثقافي والعلمي المتراجع على مستوى الجامعة[2] ،ومن ثم فإن اللااقبال الذي سلكه الأستاذ الجامعي في تشجيع الطلبة على الإبداع الفكري ،والتجديد المعرفي في تفاعلاته التواصلية داخل القاعة ،لم تأتى إلا من منطلق الغياب التأثيري للجامعة على المجتمع الجزائري ،وعلى هذا النحو تظهر لنا الملاحظات الامبريقية ،أن هيمنة الخطاب العلمي والإعلامي والرسمي الإداري في صوره التحديثية المادية كترتيبات لمبادئ التشيؤ ،قد خلف انفصام ثقافي وقيمي بين التباهي بالانجاز الطبيعي صوريا ،وبين الركون إلى النكوص التفكيري ،والاعتقاد بالمألوف ممارساتيا ،خاصة وأنه عندما تخفق الثقافة في التوفيق بين وظائفها الحضارية ،ووظائفها المدنية تتعرض هذه الوظائف جميعا للانحطاط والعقم ،كما تتعرض الجماعة نفسها للانحلال ،وقد يأتي الرد على هذا الانحلال بفرض ايديولوجية موحدة وبالقمع الفكري. فيعزل المجتمع كلية عن المجتمعات الأخرى ويمنعها من الاستفادة من التجديدات المنتجة

1- برهان غليون ،مرجع سابق ،ص188.

2-عبارة مقتبسة من محاضرة : جمال غريد ،مقياس الأسس الثقافية للمجتمع الجزائري ،السنة الأولى ماجستير ،مشروع :ثقافات ومجتمعات ،بتاريخ:28-05-2013 ،كلية العلوم الاجتماعية ،جامعة وهران ،الجزائر.

في مجتمعات أخرى فيحرمها من فرصة النمو واستمرار الحضارة[1] ،وهو ما تشكل بنفس الآليات والشروط داخليا ،من خلال ثنائية الحقل الجامعي والحقل المجتمعي ،حيث بقيت هذه المولدات تعمل على إعادة إنتاج النمط الثقافي المهيمن ،وهو ما يبرر رؤية –المفكر برهان غليون- أنه إذا كانت مسألة الهوية قد برزت اليوم إلى مقدمة المسرح في الوعي العربي المعاصر ،فذلك نابع من إخفاق السياسة الثقافية التي اتبعت في العقود الماضية في استيعاب قيم وعناصر الحضارة الحديثة ،التي جعلت من تمثلها هدفها الأول ،وسبب هذا الإخفاق هو الفهم الخاطئ والمبتسر للثقافة والحضارة معا. فقد اعتبرت الثقافة أفكارا وقيما فكرية وعادات وتقاليد ،كما اعتبرت الحضارة وسائل مادية وعلوم وتقنيات لم تفهم جوهر التطور الثقافي ،ذلك أيضا لم تفهم طبيعة التحدي الحضاري والمشكلات الثقافية الحقيقية التي يطرحها[2] ،وفي خضم هذا المستوى من النكوص العلمي والمعرفي للذهنية الجامعية داخل الحقل الأكاديمي ،تتضح سمة "البنْينة" **(structuration)** التي تضفي اهتمامها على الشروط التي تتحكم باستمرارية البنى أو بتحويلها ،وتضفي بالتالي إلى إعادة إنتاج الأنظمة الاجتماعية.[3]

على مبنى هذا الطرح ،فإن الوسط المجهض في الجامعة الجزائرية ،لم يتم إلا كتعبير عن الانسداد المعياري الذي حصل على نطاق مهمة التحديث الثقافي ،وهو الذي غيَب في أساسياته المشروع المجتمعي ،وإنْ وجد ،فلم يستوفي مضامين الحداثة باعتبارها منظومة قيم وأفكار ورؤى خصوصية بإمكانها تطابق نموذجا لها محليا ،وهو ما يؤكد على أن هذه الهشاشة العازلة للطالب في تقديم والمشاركة بكل ما هو جديد ،قد دفع بميلاد حقل جامعي شائع يستبدل الثقافة التنويرية بالأسطرة التحديثية ،حيث صرح لنا أحد المستجوبين في هذا الصدد قائلا :"إنني أعيش عصرين متباعدين داخل الجامعة فظاهرها الخارجي يجعلني أحيا في القرن الواحد والعشرين وباطنها يعود بي إلى القرون الوسطى"[4] ،من هنا ،يتضح لنا سوسيولوجيا إن إستراتيجية هذا الحقل الجامعي البديل أو ما يمكن تسميته "بحقل البين بين"

1- برهان غليون ،مرجع سابق ،ص87.
2- المرجع نفسه ،ص89.
3- جيل فيريول ،معجم مصطلحات علم الاجتماع ،تر: أنسام محمد الأسعد ،دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر ،ط1 ،بيروت ،2011 ،ص164.
4- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 08 ،بتاريخ :2015-04-06 ،التوقيت :[13:00-12:00].

قد أبان في السياق الاجتماعي العام عن احتكار التقليد أو ما يسميه –مالك بن نبي-* "بالأفكار الميتة"[1] ،بل حين يسود التقليد ،نجد أن المجتمعات الضعيفة والمتخلفة كثيرا ما تميل إلى استيراد أسوأ ما في الحضارات المتقدمة وليس ما هو في صلب تفوقها. تأخذ منها مظاهر التحضر لا جوهره ،وتصبح أمة تابعة وعرضة للتقلبات التاريخي. وبين أخطر ما يعانيه المجتمع العربي الزمن الحاضر أنه يستورد السلع والقيم الاستهلاكية لا الإنتاجية ،وتجاه نزعة التقليد هذه ينشأ نزوع آخر مضاد لا يقل خطرا. هو الانغلاق والتقليد الحرفي للنماذج الثقافية المتوارثة ،والقطيعة مع الآخر ،وكما نقلد أسوأ ما في الحضارات الأخرى في حالة النزعة الأولى ،كذلك يبدوا أننا قد نميل في الحالة الثانية إلى تبسيط تراثنا واختزاله فنأخذ منه مظاهره وليس جوهره ونؤوله تأويلا حرفيا ،فلا نستفيد منه بقدر ما ندخل في أسره المغلق –يضيف المفكر حليم بركات-[2].

وهو الأمر ،الذي يدفعنا على ضوء هذا التحليل إلى الإقرار بأن سمة التقليدية ،التي يتصف بها المجتمع الجزائري إنسيا في الأصل ،باعتبارها ذلك الإكراه الذي يمارس أبجدياته السلوكية والرمزية على باقي المؤسسات والتنظيمات ،قد أدى بالمجتمع الجامعي إلى اعتماد واستنساخ نفس الاعتيادات **(Les Habitus)** والتشبث بها ثقافيا مما جعل تمظهرات هذا الحقل تأخذ طابعها التقليداني ،لطالما أنه في المجتمعات التقليدية يتجلى دائما الموقف المجافي التغيير والابتكار ،حيث ينظر إلى كل محاولة للتغيير على أنها تهديد اجتماعي ،وهنا يمكن لنا أن نلامس الروح التقليدية للعلاقة الذهنية مع الأشياء. وهذا يعني أن المحافظة **conservatisme** هي سمة أصيلة في البنية العقلية المحافظة. والمحافظة هنا تضمن لهذه المجتمعات حماية ذاتية ضد كل ما يهدد الطابع التقليدي لوجودها ،كما أن هذه المحافظة تعد أساسا ذهنيا في عملية تكيف هذه المجتمعات. فالتغيير والتجديد **Renouvellement** حقيقة تتأصل في عمق العقلية الحديثة ،أما الثبات فهو قانون جوهري في السجل الداخلي للعقلية التقليدية. وهذا يعني أنه إذا كان التغيير من طبيعة الأشياء في

***- مفكر جزائري [1905-1973].**

1- أنظر كتاب : يوسف محمد حسين ،موقف مالك بن نبي من الفكر الغربي الحديث ،دار الخلدونية ،ط1 ،الجزائر ،2010.

2- حليم بركات ،المجتمع العربي في القرن العشرين –بحث في تغيير الأحوال والعلاقات- ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 ،بيروت ،2000 ،ص ص629-630.

جوهر العقل الحديث ،فإن الثبات في أصل الوجود يتبدى حقيقة لا تقبل الجدل في العقل التقليدي[1] ،ولأنه مجتمع تراثي يمر في مرحلة انتقالية كان ،وما يزال ،موزعا بين القديم والحديث والماضي والمستقبل ،من دون أن يكون أيا منهما حقا ،ليس هو بالقديم كما ليس هو بالحديث ،بل يعيش بين بين في تأزم دائم ،فيشهد صراعا مريرا تتجاذبه قوى الوعي التقليدي وقوى الوعي الحداثي ،[...] وقوى الثابت وقوى المتحول ،أو الإتباع والإبداع ،كما عبر عنها –أدونيس-* وأصبحت تعابير شائعة.[2]

فوفقا لهذا المنطق ،التمسنا إجرائيا أن هذا النوع من اليأس المعرفي ،الذي أنتجته سببية الغياب التثاقفي داخل المجتمع الجامعي ،ليؤول إلى إفراز ما هو مجهض ،قد استصاغ لدى العقلية الطلابية فكرة اللاجدوى من تقديم مهارات الإبداع والأفكار الخصبة والمعارف المتجددة ،مادام أنها لن تجلب أي تغيير أو تأثير على مستوى الواقع ،بل بالعكس من ذلك يمكن لها أن تسبب التعسف ،والقهر الثقافي لدى الذات إذا ما تشبعت بالنزعة الفردانية ،أما مواصفات التحديث التي بات يؤمن بها المعاش الجزائري ،فلن تتجاوز إطارها المادي ليصبح هذا المتغير هو مقياس الفعالية ،والفاعلية داخل الجامعة والمجتمع على حد سواء. هذه الخرافة التي يمكن أن يحملها إلا الشعب المغلوب ،أصبحت اليوم ذات أشكال متعددة ،فهي "الفلهوية" عند -صادق جلال العظم-* ،والسلفية وفقدان الوعي التاريخي عند -عبد الله العروي-**،والجمود والتعصب والثبات عند -أدونيس- و-أحمد عباس صالح-*** ،والرجعية والتعلق بالماضي عند -محمود العالم-**** ،والعقد النفسية المختلفة عند- مصطفى حجازي-*****[3] ،واستظهارا لدلالات هذا المنتج المعرفي المتأزم بين أسطرة

1- علي أسعد وطفة ،الجمود والتجديد في العقلية العربية –مكاشفات نقدية- ،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ،دمشق ،2007 ،ص121.
*- شاعر ومفكر سوري.
2- حليم بركات ،مرجع سابق ،ص37.
**- فيلسوف ومفكر سوري.
***-مؤرخ وروائي مغربي.
****- مفكر مصري.
*****- مفكر يساري مصري [1922-2009].
******- أكاديمي ومفكر لبناني.
3- برهان غليون ،مرجع سابق ،ص ص25-26.

التحديث والتشبع بالنكوصية داخل الجامعة الجزائرية ،يعزز الباحث–محمد العلي-* قوله في هذا الشأن :" نحن في العالم العربي نعيش الثقافة الثالثة ،أي ثقافة مجتمع تلقي الحداثة دون أن يشارك في صنعها ،بل دون أن يختارها ،وهذه الحداثة توصل المتحركين في إطارها إلى أزمة قيم ،يصبح الفرد فيها موزع الانتماء ،ويصبح المجتمع مشتت الاتجاه ،وهذا وإن كان موجودا في كل مجتمع بصور نسبية ،ولكنه في مجتمعنا أشد وضوحا ،لانعدام المناعة الثقافية عن عصف الثقافات المتطورة المفاهيم[1] ،ومن هذا كله ،يرى أدونيس أن "مبدأ الحداثة... هو الصراع بين النظام القائم على السلفية والرغبة العاملة على تغيير هذا النظام" أو بين "قيم الثبات الماضوية" و"قيم التحول المستقبلية" ويستنتج أن من بين مجموعة الخصائص التي سادت الحياة العربية نزعة الماضوية ،ويعني بها التعلق بالمعلوم ورفض المجهول ،بل الخوف منه ،وفي هذا ما يفسر إيمان العربي بأن الإنسان لا يقدر أن يتكيف إلا مع الأشياء والأفكار التي يستطيع خياله أن يجاريها أو يقبل بها ،أما تلك التي يعجز عن تفسيرها ،فإنه يرفضها ولا يواجهها" ،ويرى أدونيس أن نزعة الماضوية تشدد على "المطابقة مع القديم" انطلاقا من "الإيمان بأن الحق ثابت لا يتغير وأن على الإنسان أن يتكيف معه" وبأن "الأقدم هو بالضرورة الأفضل ،وإن الأسبق هو الأعلم من كل حق" وهكذا لا تكون "الحياة اليومية إلا تمرسا بمحاكاة الأول" بل يضيف أدونيس :" أن شخصية العربي شأن ثقافته تتمحور حول الماضي ...ولعل في هذا ما يكشف... عن تناقض موقفه [موقف العربي] من الحداثة الغربية ،فهو يأخذ المنجزات الحضارية الحديثة ،لكنه يرفض المبدأ العقلي الذي أبدعها ،والحداثة الحقيقية هي في الإبداع لا في المنجزات بذاتها. فهو (إذن) يرفض الحداثة الحقيقية :أي يرفض الشك ،والتجريب ،وحرية البحث."[2]

من خلال أطوار هذه الدراسة بقراءاتها العلمية وتحليلاتها الابستيمولوجية ،أضحت استلهامات الحقل الجامعي في الجزائر تأخذ مجرى الخطاب الرسمي العام ،بشكل من الاستثمار في بوتقة الاستمرارية الشرعية ،ناهيك عن تعميم منطقها على تركيبة الذهنية الثقافية الجامعية ،ولدى الطالب بشكل خاص ،مما أضفى على هذا السياق المجهض طابع

*- شاعر ومفكر سعودي.

1- محمد العلي ،نمو المفاهيم –تساؤلات وآراء في الوجود والقيم- ،المركز الثقافي العربي ،ط1 ،المغرب ،2013 ،ص12.

2- حليم بركات ،مرجع سابق ،ص661.

التساؤل عن :ما هي الدلائل المعرفية التي يمكن أن تسوقها هذه الأسطرة التحديثية بالموازاة مع النكوصية الثقافية على الواقع التنموي العلمي في الجزائر؟ ومن مستوى محدد :ما هي مولدات الصدمة الكونية في ظل هيمنة الأدلوجة الوهمية على المعرفة العلمية؟.

ب- الخرافة العددية وواقعية التذيَل العلمي والتنموي:

من بين الاستنتاجات الاعتباطية ،التي ما برحت طرائق فلسفات التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر تأدب على اجترارها ،تحمل في مضامينها تعليمات "العولبة الجامعية" المؤدية في حتمياتها إلى "الدولنة المجتمعية" ،لكون أن الاهتمام المحوري المستهلك لدى الجهاز الإداري الجزائري ،لم يتجاوز حيثيات السبل الرامية إلى تكييف النسب الإحصائية الطلابية عبر مختلف الأطوار مع النسب الديموغرافية المتزايدة في كل سنة ،لاسيما وأن السؤال الذي ما فتئ يؤرق البنية الفوقية داخليا مفاده هو :كم من الطلبة والتلاميذ يمكننا استقطابهم سنويا على مستوى المؤسسات التربوية والتعليمية العليا؟ ،في الحين الذي أظهرت مختلف النخب الجامعية المؤطرة وهيئات التدريس عجزها عن تغيير إستراتيجية السير المؤسساتي لهذا القطاع إلى كل ما يمت بصلة بالإنتاج الكيفي والجودة النوعية ،مما دفع جزئيات التحليل السوسيوثقافي لدى هذه البنى التوليدية (حسب مفهوم بورديو) "الطلبة" إلى تبني هذه العملية كشكل من أشكال "إعادة الإنتاج التلقائي" بمرحليات عملية ،وما يثبت ذلك على المستوى الإجرائي لدراستنا العلمية ،أن مفعول الصدمة الكونية التي تضمنت متناقضات المعرفة والأدلوجة الوهمية ،قد أفرزت كتدليل لما أسميناه "بأزمة المثاقفة" بين الطالب والأستاذ الجامعيين عدة نواتج باطولوجية على نطاق الجامعة والمجتمع معا ،حيث ظلت مخلفات الأسئلة الرقمية تعكس ضالة التقدم والتنمية على جميع الميادين والمجالات ،مما جعلنا نتوقف عند هذه الخاصية بالطرح التساؤلي ما مضمونه: ما هي متغيرات الصيغ التأويلية والتداولية التي أضحى الحقل الجامعي في الجزائر يتسم بها شكلا ومضمونا نتاجا لهذا الانفصال التثاقفي الطارئ على مستوى ذهنيات الفواعل الجامعية؟

امتدادا لما تم ترصده امبريقيا ،حول إنتاجات الحقل الجامعي المجهض بسردياته النكوصية ذات القيم التقليدانية ،ظلت معطيات الاندفاع الظاهراتي التي تجسد مقتضيات الواجهة ،التي تعدو ما أسميناه "بالأسطرة التحديثية" ،تستشف بدائلها في طمس الحقيقة الجوهرية للجامعة المتمثلة أساسا في "النواة المعرفية والعلمية" ،خاصة وأنه عندما تكف المدرسة (مثلها في ذلك مثل الجامعة) عن نقل المعارف الحقيقية كي تتحول إلى مؤسسة فرض الشعارات والاعتقادات والعبادات والطقوس القديمة والحديثة ،فإنها بدل أن تصبح إطارا للتربية الاجتماعية لا تقوم إلا بنزع وإزالة كل ثقافة وقص جذور الأجيال التاريخية والثقافية وتسليمها لحكم "العاطفة" ،والجهاز التعليمي يفسر إلى حد كبير لماذا يظهر الإنتاج الفكري هنا كإنتاج ايديولوجي بالدرجة الأولى ،كإنتاج للأيديولوجية وليس للبحث العلمي؟[1] ،حيث أصبحت هذه الأدلجة حسب خصوصية بحثنا، تتعسف على الطالب الجامعي في تبني قيم ثقافية ومعرفية جديدة-قديمة مآلها هو التأقلم مع إستراتيجية السياسات العامة المنتهجة أو بالأحرى التكيف مع المنطق السائد على مستوى منظومة التعليم العالي ،إذ أبان لنا أحد المبحوثين عن بروز هذه الطفرة الجديدة مسترسلا :"في الجزائر لا يقدر صاحب العلم ..وأنا بقي همي الوحيد هو أني (نبلع العام)* وأتخرج."[2] ،وقد أشار إلى ذلك الباحث –علي الكنز- حين قال ما مفاده :" أن هذا التطور الكبير والسريع في عدد المستفيدين من المنظومة المدرسية بجميع أنواعها والجامعة كان له تأثير مباشر في "نشر الأنوار والرفع من المستوى الثقافي والاجتماعي بصفة عامة" إلا أن من مفارقات هذا الوضع غير المنتظر هو التغيير الذي حصل في دور الجامعة الذي كانت تقوم به في المجال الثقافي الوطني. بالفعل فإن خريجي الجامعة الجزائرية بفعل عددهم الكبير نسبيا لم تعد لهم المكانة السابقة التي كانت لأسلافهم من خريجي الخمسينات والستينات ،فالتطور الكمي الكبير الذي عرفته المنظومة التربوية أدى إلى ابتذال منتوجها وهي الشهادات الجامعية وبالتالي حامليها من خريجي الجامعات. حاملي الشهادات هؤلاء الذين تواضعت مستويات مطالبهم الخاصة تلك المتعلقة باعتبارها كجزء من المثقفين ،فحاليا لا يعتبر الخريج من الجامعة جزء من المثقفين

1- برهان غليون ،مرجع سابق ،ص240.
*- عبارة بالعامية الجزائرية معناها :أنجح في الانتقال إلى الطور الأعلى.
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 05 ،بتاريخ :25-02-2015 ،التوقيت :[11:00-10:00].

لأن هذه الصفة لا تمنح إلا لعدد قليل من الأشخاص ،وهذا الوضع الذي أدى إلى فقدان هيبة الشهادات الجامعية حتى وإن لا زالت تمنح وضعا اجتماعيا معينا فإنها أساسا لا تمنح الحق في اعتبار حاملها مثقفا فالجامعة الجزائرية ،لن تعد الممون الوحيد للمثقفين في الجزائر.[1] ومن هنا يأتي الوعي الزائف[...] لأن للعقل في الايديولوجيا وظيفته معيارية ،إن القيم العليا معطاة ،وبمعنى ما مفروضة ،فلا شأن للعقل في صنعها وتكوينها. إن مصدرها هو خبرة الجماعة وتاريخها واختيارها ويضيف –ألتوسير-* سببا عميقا لكون الأيديولوجيا وعيا زائفا يتلخص في أن الفرق بين العلم والخرافة هو أن العلم حركة انعكاس الموضع في الذهن ،وهو يتميز عن الخرافة بمنعه تأثير الذات في عملية الانعكاس ،وفي الحركة الموضوعية ،في حين أن الخرافة تنبني على ذلك التأثير. إن صفة العلمية هي نفي الذاتية ،والذاتية هي أصل النظرة الايديولوجية ،وهي وعي زائف علاوة على ذلك ،لأن نشوء أية ايديولوجيا لا يتم دفعة واحدة ،ومعنى هذا أن جذور بعض التصورات مختفي ،وتبقى فاعلة بدون جذور ،بالإضافة إلى ما يضيفه التاريخ ،أو التراث الذي تخترقه ذاكرة هذا المجتمع أو ذاك ،وهذا المخزون يمتد في الوعي واللاوعي الفردي والجماعي من عهد الأسطورة إلى عهد تبلور الأيديولوجية ونضجها[2] ؛وعلى مبنى هذا الأساس ،أظهرت لنا نواتج هذه الصدمة الكونية التي يهيمن فيها العقل الأدلوجي على العقل العلمي والمعرفي ،أن عملية تغذية التوجه العددي في تحوير الجامعة الجزائرية لدى الطالب ،قد فسرت بانعدام المعقولية الموضوعية والعقلانية النقدية في علاقته بالمعرفة والبحث العلمي ،ومن ثم علاقته بالفاعل الآخر الذي يتجسد بشكل خاص في الأستاذ الجامعي ،مما جعل ميكانيزمات الحقل الجامعي تتبدى في صورتها المجهضة ،من خلال تدني قيمة العلم والمعرفة ضمن سلم المعايير ،التي يتحدد بها الارتقاء الاجتماعي داخل المجتمع الجزائري ،حيث استطرد لنا أحد المقابلين واحدة من طيات هذه الرؤية بقوله :" إن واقعنا لم يعد يعير أي اهتمام لسلطة المعرفة في ظل سيطرة الماديات على الرمزيات."[3]

1- علي الكنز ،حول الأزمة -5دراسات حول الجزائر والعالم العربي- ،دار ذاكرة الأمة ،الجزائر ،2015 ،ص ص 41-42.

*- فيلسوف فرنسي [1918-1990].

2- محمد العلي ،مرجع سابق ،ص ص 30-31.

3- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 10 ،بتاريخ :15-04-2015 ،التوقيت :[09:50-13:30].

هذا التذيل العلمي الحاصل في صفوف الطلبة الجامعيين داخل ما أسميناه (بالوسط الأكاديمي المجهض) ،والذي بات يتسم بخصائص "حقل الفرجة" أكد حسب ما ذكره – أنتوني غدنز-* في كتابه "علم الاجتماع" أنه توجد دلائل عديدة على تناقض الكفاءة الداخلية للتعليم في العالم العربي ،كما تتبدى في ارتفاع نسب الرسوب وإعادة الصفوف الدراسية ،الأمر الذي يؤدي إلى قضاء فترات زمنية في مراحل التعليم المختلفة ،إلا أن المشكلة الأخطر تكمن في مدى جودة التعليم ،فعلى الرغم من قلة الدراسات المتوافرة ،فإن الشكاوى المتعلقة بتردي نوعية التعليم في البلدان العربية كثيرة ،وقد أكدت الدراسات القليلة المتوافرة على غلبة ثلاث سمات أساسية على ناتج التعليم في البلدان العربية :تدني التحصيل المعرفي ،وضعف القدرات التحليلية والابتكارية ،واطراد التدهور فيها[1] ،وكل ذلك كفيل من وجهة نظر –كاترين ولكنز- **(Katherine Wilkens)** من أن الأعداد الهائلة المتقدمة للتعليم العالي في العقد الماضي ،شكلت ضغطا غير عادي على نظام التعليم العالي في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ،حيث أفضت الأمور إلى التعامل مع المسألة بحلول كمية على حساب النوعية ،وأن معدلات الالتحاق مع ذلك ما برحت دون المستويات والمعايير العلمية (لتضيف) أن افتقار برامج التعليم العالي العربي إلى النوعية ذات العلاقة بالبحث العلمي ومستوياته تعد هي الأخرى من أكبر التحديات المهمة التي تواجه ذلك التعليم ،فهذا تقرير التنمية العربية **2003**م ،يشير إلى أن التحدي الأكبر في مجال التعليم العربي يكمن في تدهور نوعيته ،حيث يفتقر ذلك التعليم إلى مقومات تحسين نوعية الحياة وتنمية القدرات اللازمة لذلك ،وثمة مشكلة أخرى تتعلق بقضايا النوعية ،تتمثل في غياب أبحاث ودراسات ذات جدوى محلية وإقليمية وعالمية ،معروف جيدا ،بأن الأبحاث العلمية هي ما تستند إلى إخراج الحقيقة إلى الضوء بناءً على طرح فرضيات علمية وصولا إلى نتائج واستنتاجات يوثق بها. وهذا ما نعانيه كعرب وتعانيه مؤسسات تعليمهم العالي في عالمنا العربي منذ النشأة إلى يومنا هذا –يقول الباحث الفلسطيني وائل مصطفى أبو الحسن*-*[2] ،ومن هذا

***- عالم اجتماع انجليزي.**

1- أنتوني غدنز ،علم الاجتماع ،تر: فايز الصيّاغ ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 ،بيروت ،2005 ،ص ص 543-544.

****- باحث وأستاذ فلسطيني.**

2- وائل مصطفى أبو الحسن ،واقع التعليم العالي في الوطن العربي –تحديات وتطلعات- ،مجلة ذوات ،الصادرة عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ،العدد 12 ،المغرب ،2015 ،ص ص 22-23.

المنطلق ،تظهر مؤشرات هذا التراجع القيمي للحس الثقافي والمعرفي لدى الطالب الجامعي في ظل الاهتمام المتزايد بإضفاء شرعية الحقل الجامعي العددي كمنطق اعتقادي بعيد كل البعد عن التعليم العالي والبحث العلمي ،على أن هذا الوسط الأكاديمي الجديد –راهنا- كما وصفه السوسيولوجي جمال غريد "بالمقاهي" لم يطرح أي أرضية خصبة لتنمية وتطوير شروط البحث والارتقاء العلمي ،وهو ما يثبت على أن مختلف الإحصائيات والتقارير العربية والإفريقية والدولية التي تعمل عليها منظمات وهيئات التصنيع الجامعي من حيث الجودة الإنتاجية والمقررات الدراسية والمنهجية ،لا زالت ومنذ سنوات تضع الجزائر في ذيل الترتيب ،فإذا كانت أهمية المعرفة على المستوى العام ،هو أن دور المعرفة في تبيان وتوضيح وتمييز المسائل والقضايا الحقيقية ،وأن هناك مستويات متعددة للمعرفة أهمها بين المعرفة العميقة والمعرفة السطحية ،ولا يمكن تصور أن مجتمعا لا يمتلك معرفة سواء كانت علمية تقنية أو اجتماعية أو سياسية أو دينية ونحوه ،يستطيع أن يحقق تقدما في مسيرة حياته ،فالمعرفة هي أساس التقدم ،ومن خلال العمل المعرفي الجاد تتجدد الرؤى والأفكار والإيديولوجيات ومن ثم يتجدد الواقع ،فعند افتقاد العمل المعرفي يتكرر ما سبق من أفكار ونظريات بإعادة إنتاجها في قالب جديد ،وبالتالي لا يفهم الواقع بدقة ،لأن التعامل يكون مع رؤى وأفكار وايديولوجيات لا ترتبط بالواقع المعاش ،بل ترتبط بأفكار ترتبط بواقع سابق[1] ،-وعليه فإذا كانت أهمية المعرفة كذلك- فإن العقلية العربية لا تزال تعيش عهدا خرافيا نشطا. وأن هذا الطابع الخرافي يجد حضوره وصداه بين صفوة المفكرين ونخبة المجتمع. فالعقلية الخرافية (والمقصود بها العقلية التي تؤمن بالعديد من الخرافات وتجعلها مصدرا لاتخاذ القرار ومواجهة الحياة) لا تقتصر فقط على البسطاء من الناس ،بل هي في الأعماق تغطي قطاعا واسعا من المجتمع بما في ذلك القادة والوزراء وأساتذة الجامعات وكبار الموظفين بالإضافة إلى الشرائح الدنيا من الهرم الاجتماعي. وتأثير الخرافة على تسيير الحياة العامة لا يعتمد على نوع الخرافات وحجمها وعددها بل إن خطورتها تكمن في أنها تمثل منهجا لمواجهة الحياة واتخاذ القرار الوجودي وبالتالي فان دورها قد يمتد ليصبح

1- زكي العليو ،المثقف..مداخل التعريف والأدوار ،دار الانتشار العربي ،ط1 ،بيروت ،2009 ،ص69.

معطلا للعقل وسيرورته ،الأمر الذي يؤدي إلى انحسار الإمكانيات العلمية والعقلية للإنسان[1] ،من هنا نجد الباحث السوسيولوجي –رابح اسبع-* ينقب عن إشكالية الإنتاج المعرفي في الجامعة الجزائرية بالطرح التساؤلي ما مفاده: أي بحث علمي لأي جامعة؟ **(Quelle recherche scientifique, pour quelle université ?)**[2] ،ليجيب -الدكتور منصف المرزوقي-** في موضع آخر عبر إحدى تصريحاته بأن:"مشكلتنا أن هؤلاء الذين يقودوننا يقرؤون تقارير المخابرات ولا يقرؤون التاريخ ..وبالتالي نكتشف نفس الأغلاط تتكرر ،نفس الأشخاص يعودون ،نفس السيناريوهات المبتذلة تعود ،وهناك مقولة أعتقد أن كارل ماركس من ذكرها وهي أنه قال :من لا يعرف التاريخ مجبر على تكراره"[3] ،وهو الأمر الذي يوضح ما هو مدبر في ايديولوجية المجتمع الجامعي العددي في الحالة الجزائرية.

وإن كانت الحاجة إذا هي لقاعدة تقنية واسعة ،لجامعات ذات نوعية ولأبحاث علمية تخدم مشروع التحديث ،والأمر نفسه ينطبق من حيث المنهجية على الأقل على العلوم الاجتماعية [...] ،فالصورة في العالم العربي مقلوبة بالمقارنة مع الاحتياجات ومع ما هو عليه الأمر في البلدان المتقدمة. يكفي بهذا الصدد التذكير بأن عدد الطلبة الجامعيين فيه أصبح من رتبة الملايين ،وعدد الجامعات من رتبة المئات على الأقل والبحث العلمي المفيد يكاد يكون منعدما[4] ،وعليه تبقى ضرورة فهم المنتجات العلمية والاجتماعية لهذا الغياب التثاقفي بين الأستاذ والطالب في جانبها الخاص تحمل في دلالاتها السوسيولوجية ،بالإضافة إلى ما يترتب عليه التذيل العلمي محليا وداخليا والإقصاء التقييمي الخارجي ،فإنه كذلك يرجع درجة الركود التنموي على مستوى المؤسسة الجامعية بمثابتها إجراء مجهض على واقع الممارسة ،وهو ما أكده لنا أحد الأساتذة المبحوثين بقوله :"مع الأسف إن إنتاجنا

1- علي أسعد وطفة ،مرجع سابق ،ص155.

-* باحث سوسيولوجي بجامعة وهران-الجزائر.

2 -Rabeh Sebaa ,Quelle recherche scientifique, pour quelle université ?,journal el watan ,le :09-02-2013.p20.

- أكاديمي ودكتور تونسي.**

3- لقاء حواري للدكتور محمد منصف المرزوقي مع موقع pjd.ma :
https://www.youtube.com/watch?v=oJwPzBQWojM

4- محمد رفيق الطيب ،العالم العربي والتحديات المعاصرة (نقد الذات وسبل الاصلاح) ،دار النفائس ،ط1 ،بيروت ،2010 ،ص ص353-554.

العلمي والبحثي قليل نظرا لنقس الملتقيات والمشاريع البحثية في برامج المخابر."[1] ،ليرجح لنا أحد الطلبة المستجوبين نوعا من الرد على هذا الطرح قائلا :"كيف لأستاذ جامعي لا يأبه ولا يبالي بالعلم والبحث والإنتاج ولم يسبق لنا أن قرأنا له مقالا أن يعمل على تشجيع الطلبة على هذا العمل المعرفي؟ !"[2] ،وبالتالي فهذه الخرافة العددية التي أنتجت ما يمكن تسميته "بالحقل الفوضوي" قد عكست ضالتها على طبيعة التمثلات والرؤى التراجعية التي تتضمنها مشاريع التنمية في المجتمع الجزائري ،فبدل أن يؤدي التعليم العالي إلى إنتاج طبقة وسطى ذات مصالح وثيقة الارتباط بمصلحة الوطن وبمدى رقيه وازدهاره ،أصبح على العموم طريقا للهبوط الاجتماعي والمعاناة الاجتماعية. نكتفي هنا بالقول بأن نسبة البطالة في أوساط الجامعيين هي الأعلى بالمقارنة مع الفئات الاجتماعية الأخرى على مستوى العالم العربي. قد يفسر البعض ذلك بأنه عقاب جماعي أنزلته الوصاية بأولئك الذين أرادوا كسر احتكار العلم والمعرفة. المهم هو أن الولاء لقيم التخلف لن يسمح برد الاعتبار للعلم والعقل ،ولن يسمح بظهور طبقة وسطى واعية وقادرة على إخراج البلاد من براثن التخلف[3] ،ولا سبيل إلى ذلك فيما نعتقد ،إلا بالنظر في هذه المسألة من خلال إيضاح مولدات هذا الغياب التثاقفي الحاصل بين الأستاذ والطالب على مستوى الفصل الأكاديمي للجامعة ،فيما يتصل بمدى تأثير الصدمة الكونية المتعلقة بانعدام الانفتاح أو الطابع العمومي داخل ما ننعته –بالمخبر الأولي لإنتاج المثقف-.

وفي خضم هذا الاستنتاج يصبح من الأجدر أن نتساءل بالبحث في ثنايا هذه المخرجات(إذن): فيما تتبدى تأثيرات ودلالات هذه الصدمة على مستوى نموذج الحقل الجامعي المجهض إجرائيا؟ وبطرح آخر: ما هي انتاجات هذا الغياب التثاقفي الذي استبدلت فيه معالم الانفتاح بمنطق التقوقع على الذات والانغلاق على الآخر داخل الجامعة الجزائرية؟

1- تصريح مستمد من لقاء حواري مع الأستاذ رقم: 03 ،بتاريخ :16-03-2015 ،التوقيت :[09:30-10:45].
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 14 ،بتاريخ :18-05-2015 ،التوقيت :[14:00-15:15].
3- محمد رفيق الطيب ،مرجع سابق ،ص356.

ج- دمقرطة التعليم بدكترة المخيال الأكاديمي:

إن من أهم الوظائف الاجتماعية التي تؤديها الجامعة في كل الأزمنة والظروف ،وظيفة المشاركة والتفاعل الإنساني الحي بين مختلف العناصر والفئات السكانية ،وبين مختلف الانحدارات الاجتماعية والمهنية والعلمية ،وبين مختلف المستويات الثقافية والتربوية. فالجامعة توفر أجواء التفاعل التربوي والاجتماعي بين أفراد المجتمع من مختلف الاختصاصات العلمية ومن مختلف الأوساط الاجتماعية والمهنية والأنتلوجية. ولهذا التفاعل الإنساني الصميمي أهميته الاجتماعية والحضارية. فهو من جهة يخفف من الفوارق الذهنية والنفسية والاجتماعية والقيمية والحضارية بين منتسبي الجامعة من طلبة وأساتذة ،ومن جهة أخرى يقود التفاهم والوئام والانسجام بينهم مما يترك أثره الفاعل في تحقيق الوحدة والوفاق بين أفراد المجتمع. هذا يعني أن الجامعة تساهم بوظيفة أساسية وهي إشاعة ثقافة المعرفة ،ثقافة الحوار والاختلاف ،ثقافة التفكير والحرية في التفكير داخل المجتمع التي توجد فيه وتقوده[1] ،حيث لم تعرف العلوم والمعارف التقدم إلا على أيدي باحثين ،هؤلاء هم الصناع الرئيسيون للحضارة ،وفي رأي أحد كبار علماء النفس (سيغموند فرويد) أن هؤلاء ضحوا بملذاتهم لكي يصنعوا الحضارة. وإذ لا نشك في أن تكريس الحياة لهذا الهدف الجليل ،وهو المساهمة في صنع ما ليس بأقل من مستقبل الجنس البشري في مختلف المجالات ،يقتضي العمل المتواصل والكد والتضحيات ،غير أن العلماء المبتكرين عموما ما كانوا ليكرسوا حياتهم لملاحقة ابتكاراتهم لو لم يكن هذا النوع من العمل عين اللذة والرغبة والحلاوة بالنسبة إليهم. وهم اختاروا الانصراف إلى الأبحاث بمحض إرادتهم ،وهؤلاء قلة من طلاب الجامعات الذين لم يكتفوا بالدرجة الأولى من الاختصاص..[2] ،إلا أن الواقع المعاش في تجسيد معالم ومقتضيات هذا الحس العلمي والهم المعرفي على مستوى الجامعة الجزائرية على وجه التحديد ،قد قوبل بعدة معيقات تم الكشف عن متغيراتها من خلال

1- عدنان سليمان الأحمد ،رؤية إستراتيجية لمنظمات المعرفة –الجامعة نموذجا- : www.el bassaire.net

2- إيلين دمعة ،الاختصاص الجامعي ومحنة الثقافة ،مجلة إضافات ،الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية ،العدد25 ،بيروت ،شتاء 2014 ،ص95.

الصدمة الكونية ،التي شكلت طفرة الصراع بين عالم المثل وحيثيات الممارسة اليومية في علاقة الطالب بالأستاذ عبر خاصية الانفتاح والتفتح بين الذات والآخر.

وعلى مبنى هذا الطرح ،أنتجت لنا معطيات هذا الغياب التثاقفي المقترن بانعدام الطابع العمومي كإحدى خصوصيات البيئة الجامعية في الجزائر ،عدة اعتبارات منها ما مس الشخصية الفردية للطالب كنزعة سيكولوجية ،ومنها ما امتد إلى التأثير على الضمير الجمعي لدى أفراد الوسط الجامعي عموما ،والذي تجاوز محدوديته هو الآخر في تجميد الحياة الدينامية للعلوم ،لاسيما تلك المتعلقة بمعارف الإنسان والمجتمع كأطر اجتماعية للبنيات الثقافية ،وهو ما طرح على نطاق المجتمع الجامعي الشامل بوادر إنتاج الحقل العلمي المجهض في شتى الأصعدة ،وكتفصيل في مشارب هذه المسألة ،بينت لنا الدراسة الميدانية في ظل تكريس اللاتثاقف بين الفواعل الجامعية سيادة توصيفات التقوقع داخل فضاء التدريس ،حيث أصبحت روابط الاتصال بين الطالب والأستاذ تتخللها أمراض العزلة والانفصال واللامبالاة في تفعيل ميكانيزمات الفصل ،هذا واتضح لنا من منطلق ملاحظاتنا المباشرة أن انعدامية التشاور ،والمناقشة والحوار وتبادل الأفكار وتشجيع النقد والاعتراض العلمي ،قد خلفت انعكاسياتها بتبلور الوعي التلقائي ،إذ يعتبره ماركس وعي مشوب بعناصر أيديولوجية ولا يدرك إلا الخطاطات من دون أن يرجعها إلى مقولاتها العلمية ،في حين أن الوعي العلمي هو وحده الذي يستطيع إدراك بنية الأشياء وعلاقتها والقوانين التي تنظمها[1] ،فهذا النموذج من الحقل التعسفي الذي أجهضت فيه جل الركائز التي تبعث على إثارة معنويات الإبداع والعطاء لدى الطالب في تواصلاته المعرفية والاجتماعية ،قد أنتج لنا إجرائيا ما يمكن نعته "بقابلية القهر الثقافي" ،والتي تمثلت جليا في مدى نزوع الطالب الجامعي إلى معيار الهيمنة المعرفية تلقائيا كتعبير قيمي لتقبل مبدأ السيطرة والاحتكار ،وقد وظف –كلود ديمتون-* **(Cloude Dumeton)** مفهوم القهر الثقافي L'intimidation culturelle في إشارة منه إلى العنف الرمزي الذي تتم ممارسته في المؤسسات المدرسية ،وبين في كثير من أعماله ،أن القهر الثقافي يدمر الأمن الوجودي للطلاب في مختلف المؤسسات

1- محمد سبيلا ،مدارات الحداثة ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،ط1 ،بيروت ،2009 ،ص22.
***- كاتب وروائي ومترجم ومؤرخ فرنسي [1935-2012].**

الجامعية ،ولم يستثن من ذلك الجامعات والمؤسسات التربوية العليا ،فالقهر الثقافي يأخذ صورة عنف رمزي ،وبالتالي فإن الآثار النفسية لهذا النوع من العنف ،تكون أشد وأخطر من أشكاله الأخرى[1] ،حيث يقول –فروم- في كتابه (الخوف من الحرية) كتطعيم لهذا الطرح :أن الفرد يكف عن أن يصبح نفسه وذلك ؛إنه يعتنق نوعا من الشخصية المقدم له من جانب النماذج الحضارية ،ولهذا فإنه يصبح تماما شأن الآخرين وكما يتوقعون منه أن يكون[2] ،وهو ما تبدى لنا امبريقيا ،حيث أبان لنا أحد المستجوبين ملامح هذا الموضع قائلا :"إن الإقصاء بالنسبة للأستاذ في جامعتنا يساوي ذلك المقابل الذي يحث عن خروجك عن الإطار المسطر لك"[3] ،فيما ذهب مبحوث غيره أبعد من ذلك بقوله :"لقد أصبحت الجامعة تفرض علينا الدرس وتجبرنا على الحفظ وتلزمنا الصمت عند ارتفاع صوت الأستاذ وبعد ذلك تختار لنا مواضيع البحوث..للأسف إنها سجن العقل"[4] ،بهذا الخصوص يعمق –بيير بورديو- هذا الرأي بأن بنية الحقل الجامعي ليست إلا حالة ،في مرحلة معينة من الزمن ،علاقة قوى بين فاعلين ،أو على وجه التحديد بين السلطات التي بحوزتهم على المستوى الشخصي ،وخاصة من خلال المؤسسات التي ينتمون إليها. إن الموقع المحتل في هذه البنية هو في مبدأ الاستراتيجيات التي تهدف إلى تغيير هذا الموقع أو الحفاظ عليه بتغيير أو بالحفاظ على القوة النسبية لمختلف السلطات ،وإن صح التعبير ،على المعادلات القائمة بين مختلف أنواع الرساميل أيضا[5] ،وهو ما يحيلنا إلى التساؤل الجوهري في خضم هذه القضية والذي مفاده: أي امتدادات تربط سندات هذه القابلية للقهر الثقافي في شقيها المعرفي والمجتمعي وفي نطاقيها الرسمي وغير الرسمي داخل هذا المنتوج الجامعي البديل أو الحقل الأكاديمي المجهض؟؟

1- علي سعد وطفة ،الأداء الأيديولوجي للمدرسة في منظور بيير بورديو :العنف الرمزي بوصفه ممارسة طبقية في المدرسة ،مجلة العلوم التربوية ،الصادرة عن معهد العلوم التربوية بجامعة القاهرة ،العدد الأول ،القاهرة ،يناير 2013 ،ص27.

2- إيريك فروم ،الخوف من الحرية ،تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،1982 ،ص150.

3- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 03 ،بتاريخ :2015-02-09 ،التوقيت :[11:45-10:30].

4- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 02 ،بتاريخ :2015-01-22 ،التوقيت :[13:00-12:00].

5- نسيمة مخداني ،مرجع سابق ،ص62.

تخلق كل ثقافة النموذج السائد للشخصية الكاملة. والشخص الكامل هو الشخص الذي يمثل كل منظومة القيم السائدة في المجتمع ،ويستطيع بتمثلها لا أن يحقق ذاته فقط ويتعرف على نفسه بين أقرانه ولكنه بدون هذه الثقافة عاجز عن الدخول في علاقات ،من أي نوع كانت ،مع بقية أفراد الجماعة ،وتخلق الثقافة بشكل من الأشكال الموضوع والذات التي تتعامل مع الموضوع. تخلق للذات موضوعا وللموضوع ذاتا. وبقدر ما تستطيع أن توحد بين الذات والموضوع تكون قادرة على التوحيد بين الذوات الاجتماعية ،وهي لذلك لا تخلق فكرة وإيديولوجية فقط ،ولكنها تخلق أيضا ،وهذا هو الأساس ،الممارسة والمواقف والتوجهات والعواطف أكثر مما هي مرتبطة بالتأمل والتفكير المجرد. التأمل هو مهنة المثقف الذي يلعب دور المحرك والمقترح والمطور للثقافة من داخلها[1] ،إلا أن عملية إسقاط مكونات هذه النمذجة من طابعها التصوري إلى أرضيتها السلوكية والعملية ،قد أظهرت لنا حسب الدراسة قصورا ملحوظا في تكيف الطالب داخل المؤسسة الجامعية وما تحمله من منظومة قيم متباعدة بين مثلها ووقائعها ،وهو ما نوهنا إليه بمفهوم "الصدمة الكونية" ،حيث تمظهرت لنا تلوينات هذا التلاشي على مستوى الخطابات الرسمية العلمية منها والإعلامية ،وحتى السياسية على وجه العموم ،حيث باتت إرهاصات الإصلاح الجامعي لسنة **1971** ،وما رافقتها من تداعيات في مجال سياسة التعريب ومنهاج الجزأرة ،والتي تضمنت في طياتها إلزامية ما سمي "بدمقرطة التعليم" –باتت جلها- تشكل درجة احتواء العمق الإيديولوجي على الفلسفة العلمية والمشاريع والبرامج التنموية ،التي أول ما يفترض الاستهلال به وهو الاستثمار في الإنسان الجزائري ،أين أخذت هذه المتفرقات تبلور لصورة "الحقل الجامعي الهش" ،بعد أن أصبح واقع حال هذه الاستراتيجيات المنتهجة داخل مؤسسات المعرفة ،وهياكل البحث والتعليم تفرغ من محتواها الأصلي المقترن بالبناء الفعلي للذات الجزائرية ،والذي يؤدي بدوره إلى تقوية روح وتركيبة المجتمع في جميع ميادينه ومجالاته ،حيث استنتجنا ميدانيا من منطلق تشريحنا لغياب مؤشرات الطابع العمومي داخل ما نسميه –بالمخبر الأولي لإنتاج المثقف- أن الحس الأكاديمي لدى الطالب الجامعي ،لم يعد له وجود في سبيل ولوجه في سرايا المشكلات والمستجدات الاجتماعية والثقافية والتربوية

1- برهان غليون ،مرجع سابق ،ص 124.

..الخ ،وذلك من خلال فرض الخطوط الحمراء سواء عبر الأستاذ المباشر ،أو من قبل الإدارة أو حتى من طرف الإطار الأمني ،وهو ما يؤول بنا إلى الاستفسار عن أي معنى أضحى يحمله مضمون دمقرطة التعليم في الجزائر اليوم؟ فإذا كان –كوندرسيه- قد نظر إلى التعليم على أنه الوسيلة الأساسية للتقدم ،لأنه يقوم على تربية العقل ،وتفجير طاقاته في الكشف عن قوانين الطبيعة ،كما يقوم على خلق أرضية للتنافس الاجتماعي على أساس الأهلية العقلية ،تفتح الباب أمام الجميع لتحقيق المساواة والعدالة وتكافؤ الفرص[1] ،فإنه بغياب العقل لا يبقى للمجتمع إلا النقل اللاواعي والتقليد ،الذي هو أساس تبعيته وتمثله للنموذج السائد ،الذي لا يعمل إلا على تعميق تبعيته وخضوعه وتفككه. فالتقليد يلغي جوهر العقلانية لأنه يقضي على الرؤية الواقعية للأهداف الخاصة والمميزة للجماعة في سياق تاريخي وعالمي محدد ويمنع من التفكير الجدي بخلق الوسائل المقبلة بتحقيقها. هكذا تفقد الثقافة أيضا وظائفها الإبداعية وتصبح مجرد غطاء لنزاعات اجتماعية جذورها وحوافزها الحقيقية قائمة خارج الثقافة وبمعزل عنها[2] ،وعلى هذا المنوال ،يقول –جورج طرابيشي- في صياغته لآراء كارل مانهايم عن المثقف :"...إن الفئة الاجتماعية الوحيدة المؤهلة لأن تكون قيَمة على الحقيقة هي (الفئة المثقفة) ،لأنها الفئة الاجتماعية الوحيدة التي تملك القدرة على التحرر من الشرط الاجتماعي للمعرفة و(الفئة المثقفة) بحاجة إلى (حرية الطيران) بين الطبقات ،حتى تستطيع الارتقاء بالمعرفة من المستوى الأدلوجي إلى المستوى العلمي الموضوعي ،ما الذي يعنيه مانهايم بحرية الطيران بين الطبقات؟ إنه يعني: حرية الطيران بين الأيديولوجيات[3] ،فمن هنا بقيت توصيفات هذه الدمقرطة التي تتأسس بالدرجة الأولى على الحرية الفكرية تكتنفها جملة من القيود كنوع من الصراع المعرفي بين الطالب والأستاذ من جهة وكشكل من أشكال التوتر الجدالي بين الرسمي وغير الرسمي الذي يبلور المخيال الأيديولوجي والتعبوي للمجتمع من جهة أخرى ،وهو ما تشير إليه -نسيمة مخداني- في مؤلفها ما مضمونه :"لقد انفتح النظام التعليمي على الجميع ،ولكنه رغم ذلك ظل مقصورا على قلة قليلة فنجح نجاحا بهلوانيا في الجمع بين مظاهر "التوسع الديمقراطي"

1- برهان غليون ،مرجع سابق ،ص 241.
2- المرجع نفسه ،ص67.
3- محمد العلي ،مرجع سابق ،ص43.

وبين حقيقة إعادة تكريس ما هو قائم ،وهذا أمر يتم تحقيقه بأعلى درجة من درجات المواربة والتخفي ،أي بتأثير متصاعد للتبرير الاجتماعي ،فبقدر ما يتمكن النظام – التعليمي- من إعادة إنتاج نموذج التعسف الخاص بالجماعة أو الطبقة التي تفوضه سلطتها التربوية ،يخف عن كاهل المرجعية التربوية عبء تأكيد بتبرير شرعيتها.[1]

فهذه المولدات السوسيوثقافية لكوامن الغياب التثاقفي داخل الجامعة الجزائرية ،لم تلقي بتأثيراتها على الذهنية الباحثة أو الشخصية الطلابية فقط ،ولكنها زيادة على ذلك ،قد سجنت النواة المعرفية والعلمية في حد ذاتها ،فبحكم أن كل مجتمع مستقر يتميز بوجود وتطور عقلانية علمية واجتماعية ،أي معايير مضبوطة للعمل والتفكير تميز الجزئي عن الكلي والعرضي عن الثابت والرغبة عن القانون. ولا تستقر هذه العقلانية إلا عندما يختفي كل طابع قصدي ومباشر للقسر الإيديولوجي ،ولا تظهر الإيديولوجية إلا من خلال العلم. يظهر إنتاج الهيمنة الفكرة للطبقة السائدة ،أي أيضا مفهومها وتطورها للحياة والمجتمع ،من خلال إنتاج المعارف الاجتماعية الضرورية للإنتاج ،أي من خلال العلم. عندئذ يصبح شكل إنتاج المعارف الضرورية هو الذي يضمن إنتاج الإيديولوجية السائدة ويعبر عنها. ولهذا يأخذ العلم نفسه هنا شكلا إيديولوجيا ،أي ينتقل من مرحلة علوم جزئية متناثرة ،هي مجموعة من تقنيات البحث في ميادين متفرقة من الحياة والطبيعة ،إلى مرحلة صياغة مفهوم عام للعلم ،وترتيب وتصنيف للعلوم ،وللنظرة العلمية ،أي نظرية المعرفة نفسها ،فيصبح بحد ذاته الفلسفة التي تحدد رؤية الأفراد لواقعهم ومجتمعهم[2] ،وهو ما تمظهر لنا جليا من خلال تحليلنا لمقتضيات المعرفة العلمية ذات البعد الاجتماعي والإنساني ،حيث كشفت لنا الدراسة أن كشفت لنا الدراسة أن "قابلية القهر الثقافي" لدى الطالبة ،قد قتلت فيهم روح التشبع بمضامين الاختصاص –العلوم الاجتماعية- ،وظلت مسألة التوغل في أعماق الظواهر المجتمعية وفق منطلقات نقدية ،وتسليط الضوء على خبايا المشكلات البحثية من الأمور المحظورة داخل الحقل الجامعي ،لاسيما تلك التي تمس الفئات المستثمرة فيها أو الناشئة عليها ،حيث صرح لنا أحد الطلبة المبحوثين في ذات السياق :"مع الأسف علم الاجتماع علم

1- نسيمة مخداني ،مرجع سابق ،ص48.
2- برهان غليون ،مرجع سابق ،ص ص44-45.

ثري بالمعارف والحواس العلمية ولكن صاحبه منبوذ في الجزائر"[1] ،فيما أفادنا مبحوث آخر بقوله :"إن عملية تقويض النزعة البحثية لدي جعلني لا أعير أي اهتمام لهذا العلم وبمشكلاته المعرفية"[2] ،فمن هذا الباب تناولت الباحثة –إليـن دمعة-* إشكالية "الاختصاص الجامعي ومحنة الثقافة" بقولها :"...أما الصرخة المدوية حول العالم منذ ثلاثة عقود ونيَف أن "أنقذوا الإنسانيات" فيمكن ردَها إلى ثلاثة دوافع على الأقل ،متعلقة ببعضها البعض ،هي الآتية: ضمور عدد الطلاب المقبلين عليها ،انحسار سوق العمل ،عسر التمويل من جانب الإدارة الجامعية والدولة والجهات الداعمة"[3] ،أما في البلدان العربية ،فتعود الباحثة لتضيف :"في الوطن العربي نكاد لا نسمع صرخة "أنقذوا الإنسانيات" فما السبب أو الأسباب؟ أيكون السبب الأول في أنه لا إنسانيات في جامعاتنا العربية لكي تنقذ أو تترك وشأنها؟ صحيح أن الجامعات العربية تؤوي دوائر مستقلة في العلوم الإنسانية والاجتماعية. كالتاريخ والأدب والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والتربية والاقتصاد والسياسة والحقوق والفنون. لكن ليس هناك عموما برامج مؤلفة من مواد مختلف من الإنسانيات تفرض على الطلاب في مختلف الاختصاصات العلمية والأدبية من قبيل الثقافة العامة. هذه البرامج ،كما قلنا ،تفسح في المجال أمام الطالب كي يكتسب الثقافة إلى جانب الاختصاص ،وتبرهن أن الجامعة لم تتلكأ عن دورها كمكان لصنع الثقافة[4] ،أما نظام التكوين الذي أصبح بشتى مراحله ،من التعليم الأساسي إلى التكوين الجامعي ،تحت الإشراف المباشر لمكاتب الوزارات الوصية ،فقد دأب على حشو أذهان الناشئة بالأحلام والأوهام ،التي تمجد النظام ورموزه وأطره العقائدية ،وكذا بالمعارف التي تجاوزها الزمن. ركز على التلقين والتقليد ،وعلى مقايضة الكم بالكيف ،فكان أن عممت السطحية والسلبية ،وأرهق الطلبة بما لا ينفعهم ،وأبعدوا عن التقنية والحياة ،وتحولت كثيرا من الجامعات إلى محتشدات للبطالة

1- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 01 ،بتاريخ :2015-01-22 ،التوقيت :[12:50-11:15].
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 04 ،بتاريخ :2015-02-13 ،التوقيت :[17:00-16:00].
*- باحثة لبنانية في العلوم الاجتماعية.
3- إيلين دمعة ،مرجع سابق ،ص105.
4- مرجع نفسه ،ص109.

،وأحبط هؤلاء نتيجة لإشباع الهوة بين التوقعات ،بأوهامها الخداعة وأحلامها الزائفة ،والواقع المميز بانسداد السبل والآفاق.[1]

فهذا الثالوث من الانتاجات الباطولوجية المترتبة عن غياب التثاقف الجامعي بين الأستاذ والطالب ،لتقدم حالات ما هو مجهض داخل الحقل الجامعي الشائع ،قد بينت لنا مدى العسر الذي يعيق الجامعة الجزائرية عن إنتاج خصوصية الشاب المثقف ،الذي يمتلك وعيا نقديا للمجتمع ،والذي يحتوي من الأفكار الخصبة ما يؤهله إلى ولوج عوالم الإبداع وفق مكتسبات الالتزام الثقافي ،ذلك أن هذا الحقل الأكاديمي في الجزائر ما فتئ يعيش جوا مكهربا من التوترات والصراعات والتناقضات على مستوى بنياته الثقافية ،مثله في هذا مثل ما باتت تحياه الثقافة العربية التي يعتبرها –حليم بركات- على أنها في حالة تناقض وصراع وصيرورة ،والصراع قائم بين الثقافة السائدة والثقافة الفرعية ،والثقافة النقدية المغايرة. إن الثقافة السائدة هي تلك التي تميل إلى قيم الجبرية والماضوية والإتباع ،والشكلية والامتثال القسري ،والإحساس بالعار والانغلاق واحترام السلطة ،أما الثقافة التغييرية فتسعى لتعزيز القيم المستقبلية ،وحرية الاختيار والإبداع والعقل والمضمون ،والتفرد والإحساس بالذنب ومحاسبة الذات ،والانفتاح والتمرد والعدالة والتعادل أو التساوي. كذلك قد توازن ثقافة التغيير بين العقل والقلب والمضمون والشكل والأصالة والحداثة[2] ،وعلى ضوء هذا الطرح فإن انبثاق مؤشر من مؤشرات إعاقة إنتاج الطالب المثقف في المجتمع الجامعي في الجزائر ،يمثل هذا النموذج من الحقل المعرفي المجهض أو البديل الشائع ،لا يمكن أن يحيلنا إلا للبحث والتعمق في جوهر الرساميل ،التي يحملها فواعل هذا الحقل إجرائيا ،من ثم فلا سبيل إلى ذلك ،في ما نعتقد إلا بالنظر في هذه المسالة من خلال التساؤل التالي:

ما هي المكتسبات السلطوية التي باتت تمتلكها الأطراف الفاعلة داخل هذا النموذج من الحقل الجامعي؟ وبعبارة أخرى: أي إنتاجات يمكننا إتباعها في ظل الغياب المثاقفاتي بين

1- محمد رفيق الطيب ،مرجع سابق ،ص285.
2- حليم بركات ،مرجع سابق ،ص684.

الطالب والأستاذ لاسيما تلك المتعلقة بتناظر المركز والهامش وسيادة ثنائية مالك الحقيقة ومستهلك الخطاب؟ وما هي الدلالات السوسيوثقافية التي تنجر عنها؟.

2- نموذج الهوية الجامعية وصراع الأضداد الرمزية:

من الجوانب الشائكة والموضوعات المشفرة ،التي ما برحت تثير الكثير من التساؤلات السوسيولوجية ،والتعقيدات الإيبستيمولوجية ،لدى العديد من الدارسين في ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية في الجزائر ،عند تحليلهم وتحديدهم للعلة المرضية ،التي ظلت تشوب المؤسسات المعرفية والجامعية على وجه خاص ،تلك المتعلقة بوزن وتأثير الثقافة المجتمعية على البناء العقلاني للحقل الجامعي ،حيث تشعبت المداخل –السانكرونية- **«synchronique»** و-الدياكرونية- **«diachronique»** ضمن إطارها الأنثربولوجي واللساني ،لتجعل من نموذج الوسط الأكاديمي المجهض في الجامعة الجزائرية ،واقعا عسيرا في فهم طبيعة وسمات الفواعل الرئيسية ،التي تحرك هذا الفضاء بعد الذي شهدته كينونة المواقع الجامعية ،كجزئيات للتثاقف من لحظات انزلاق من مقامها الأفقي ،إلى تموضعها العمودي التراتبي وفق ثنائية الطالب وعضو هيئة التدريس ،ومنه أضحى الاستفهام المحوري في تنقيب هذا الاستشكال يقول: فيما تتجلى معطيات هذه الثقافة المجتمعية؟ وكيف أثرت على النشأة الطبيعية للجامعة في الجزائر بيداغوجيا واجتماعيا؟

يؤكد بورديو على أن الثقافة عبارة عن رأسمال منتج في إطار حقل معين ،فهي نسق من المعاني التراتبية ،وتصبح الثقافة محل صراع بين جماعتين اجتماعيتين ،تهدفان في النهاية إلى المحافظة على الفروقات التميزية بين الطبقات الاجتماعية ،كما يرى بورديو أن الثقافة بالإضافة إلى ما سبق ليست فقط امتلاك لموروث فني أو ثقافي معين وإنما هي أيضا سلم تراتبي للقيم والممارسات ،ولها كل مميزات رأسمال. وبالتالي هي في قلب الصراعات التي تحدث داخل الحقول[1] ،ولذلك يعتبر الحقل الجامعي ،مثل أي حقل ،مجال صراع من أجل تحديد شروط ومقاييس الانتماء والتراتب الشرعيين ،أي الخصوصيات الملائمة

1- نسيمة مخداني ،مرجع سابق ،ص43.

والكافية ،والتي من شأنها أن تنتج ،عندما تستخدم كرأسمال الفوائد النوعية المضمونة من طرف الحقل. وقد أكد بورديو على أن عدم إمكانية الفصل بين النية في إقامة بنية الحقل الجامعي ،الذي هو عبارة "عن مجال ذو أبعاد عديدة ،والذي يقوم على أساس مجموعة من السلطات التي يمكن أن تصبح فعالة ،في مرحلة ما أو في مرحلة أخرى ،في صراعات التنافس" ،والنية في وصف منطق الصراعات ،التي تجد مبدأها في هذه البنية ،تهدف إلى الحفاظ أو إلى تغيير هذا المنطق من خلال إعادة تحديد التراتب لتلك السلطات (أي المقاييس). وحتى وإن لم يكتس شكلا منظما للتنافس بين مجموعات مجندة بصفة واعية أو متضامنة ضمنيا ،فإن الصراع الذي تكون المقاييس والخصائص التي يحددها عبارة عن وسيلة ورهان في نفس الوقت ،هو عبارة عن ظاهرة لا تحتمل أي نقاش ،وعلى الباحث أن يدمجه في نموذج الواقع ،عوض أن يحاول إقصائه بصفة مصطنعة عندما ينصب نفسه بمثابة حكم أو "متفرج حيادي" ،أو قاض ،في نهاية المطاف يكون وحده القادر على إنتاج الترتيب الجيد ،والذي من شأنه أن يجعل الجميع في حالة اتفاق عندما يضع كل شيء في مكانه[1]..فإذا كان الحقل الجامعي عند بورديو هو مجال صراع الترتيبات التي تعمل على الحفاظ أو تغيير حالة علاقة القوة بين مختلف السلطات التي تحددها ،فإقامة الترتيب يمكن إثباته موضوعيا في مرحلة معينة ،لكن التمثل أو التصور الذي يقيمه الفاعلون عن الترتيب وقوة توجيه الاستراتيجيات التي يضعونها قصد الإبقاء على هذه القوة أو استبدالها مرتبطة بموقعهم في الترتيبات الموضوعية[2] ،بحكم أن واقع الممارسة فيما لوحظ عندنا ميدانيا ،من خلال توافر الأفكار التعسفية والقسرية ،تحت توصيفات تناظر المركز والهامش شكلا ،وازدواجية مالك الحقيقة ومستهلك الخطاب مضمونا ،قد ولدت لنا من منطلق كشفنا لمؤشرات اللاتثاقف بين الأستاذ والطالب داخل فضاء التدريس ،عملية "استرجاع الموروث" أو الاستنجاد به من أجل ترجيح كفات الهيمنة ضمن موازين القوى المتصارعة ،لما يملكه هذا الموروث من قيم اجتماعية تقليدية ،وثقافات شعبية اعتقادية ،وعادات وأعراف اعتيادية ،كنوع من الرأسمال الرمزي.

1- نسيمة مخداني ،مرجع سابق ،ص ص 55-56.
2- المرجع نفسه ،ص56.

وعلى ذكر هذه الاعتبارات الاعتباطية في تحديد نمطية السلوك داخل الحقل الجامعي المجهض ،بدا لنا علميا الطرح الجوهري في فهم مواطن هذه الجزئية منصب بالأساس في :من يكون الأستاذ الجامعي داخل الجامعة الجزائرية اليوم؟ ومن هو ذلك الطالب في ظل وجود هذه الظروف؟ ليصبح منبع تحليل هذه الظاهرة متوقف عند:أي هوية جامعية يمكننا الحديث عنها راهنا "كبنيات بانية"« **Structure Structurantes** » داخل الحقل الجامعي في الجزائر؟ ،نظرا لأن الإقرار بالتثاقف كتجربة تأويلية ،يساهم في بلورة وعي ثقافي يأخذ بعين الاعتبار التعاطي مع مفهوم الهوية ،كشكل من "التذاوت" وبناء للذات و"الاهتمام بها" ،الأمر الذي سيخرج المفهوم ذاته من أسر الاستعمال التقليدي الجاهز ،الذي يقضي ببداهة التطابق والتماهي مع الذات بشكل يمنع اختراق بنيته المفهومية ،باعتبارها تستند إلى قرار ميتافيزيقي لا يطاله أدنى تحويل أو تعديل[1] ،وعلى هذا الأساس ،فإن التثاقف يشكل تجربة إنسانية تمتحن بواسطتها قدرة الذات ،أو بالأحرى ،وعي الذات –من حيث هو تمثل للهوية- على الانفتاح على الآخر لدرجة اعتباره جزءا من تاريخ هذه الذات ،مع وعي المسافة التي تفصل بين هذه الذات وتاريخها من جهة ،وبين هذه الذات والأخر من جهة أخرى. إننا نقول بوعي المسافة أو "التماسف"* ،لا لتعميق الفجوة بين الهويات الثقافية المتباينة ،وإنما للتأكيد على قابلية كل هوية ثقافية لاستقبال وتمثل عناصر هوية ثقافية أخرى[2] ،وبالتالي تجدر بنا الإشارة ،أن إنتاجات الرحلة البحثية ،التي خاضها كل من الأستاذ والطالب داخل فضاء الجامعة ،كشكل من أشكال التموقع بين ازدواجية "الجسم وظله" ،أو ما أسميناه "بمركزية الهامش" و"هامشية الهامش" ،قد طرحت في خضم هذا السجال حتمية التخلي أو الاستغناء عن الغطاء العلمي أو الهوية المعرفية الأكاديمية ،لتستبدل برمزية ما هو مهيمن ثقافيا وسائد اجتماعيا داخل المجتمع الجزائري ،وهو ما ذهب إليه –د.يوسف مكي-** عندما يشير إلى أن الهوية لا تتكون نتيجة الرغبة في العيش المشترك والبناء المشترك ،ولكن نتيجة للعيش في ظل وضع أنشأه التاريخ ،ولوجود عوامل موضوعية عديدة سابقة فرضت نفسها على

1- عبد الكريم غريب ،التواصل والتثاقف ،منشورات عالم التربية ،الدار البيضاء ،2010 ،ص243.

***- مصطلح اقترحه "جورج زيناتي" كتجربة للمصطلح الفرنسي الذي استخدمه بول ريكور في جل كتاباته التأويلية وهو:"Distanciation".**

2- المرجع نفسه ،ص ص243-244.

****- كاتب ومفكر سعودي.**

الرغبة في العيش المشترك ،وشكلت خصوصية اجتماعية لمجموعة من البشر ،كونت وطورت ثقافات وتقاليد وعادات ،وأنشأت لغة خاصة بها لتفصل بشكل حاسم بينها وبين الأمم والشعوب الأخرى[1] ،ولو أن تمايزات هذه الخصوصية في دراستنا السوسيولوجية لم تكن على نطاق الفصل بين المجتمعات والأجناس ،ولكنها انبثقت من جراء اللاتثاقف بين أفراد المجتمع الواحد ألا وهو "المجتمع الجامعي في المجتمع الجزائري" ،فمع اختلاف مصادر وفروع بنية الهوية من حيث الجذور التاريخية ،والمرجعيات الإنسية والخصوصيات الثقافية والاجتماعية ،فإنها علاوة على ذلك ،تحمل تلويناتها الفكرية والمعرفية ،إذا ما أدرجت ضمن السياق المؤسساتي التربوي أو العلمي ،وهو ما يزيغ إلى ما سمي حسب دراستنا "بالهوية الجامعية" ،فنتاجا للظروف الإكراهية التي فرضتها سطوة الأستاذ الجامعي ،على متغيرات الفضاء الأكاديمي بمختلف قيمه ومعاييره ،لم تعد هذه المكتسبات الشخصية لكل من الطالب وعضو هيئة التدريس تقاس على أساس الكفاءة ،أو نابعة على ضوء سلطة المعرفة أو من باب المؤهلات العلمية أو بخطابات أكاديمية حداثية ،وإنما ظلت تحتويها الطفيليات البدائية ،والتخمينات الطوباوية ،حيث أثبت لنا أحد المقابلين هذه التمظهرات قائلا :"سنوات من الدراسة الجامعية لم تقدم لي الجامعة اسما جديدا أو مغايرا عن جملة المسميات القاصرة التي ألقب بها في باقي المؤسسات الاجتماعية والتنشئوية داخل المجتمع"[2] ،ومن هنا يصبح واضحا أمامنا ،أن الهوية تتعلق بوجود الإنسان ،وهذا يأخذ مستويين :إن الإنسان قد يكون له وجود قسري ،وآخر اختياري ،فمن خلال وجوده الاختياري يحق له تحديد وجود آخر له سواء كان جغرافيا أو فكريا أو زمانيا ،بينما من خلال وجوده القسري لا يمكن له الخروج عن وجوده الجغرافي والزماني[3] ،وهو ما يعلله السوسيولوجي –غانم هنا-* عند إجابته عن "تساؤلات حول مشكلات الثقافة العربية" يقوله :"الإنسان العربي الذي يحرم من إمكانية تحقيق ذاته –أعني بالتحديد كل ما تحتويه هذه الذات- ليس هو في أزمة من ذاته ،وإنما بسبب من يخنق هذه الذات ومن يضيق عليها ويفرض على هذا الإنسان أطرا لا يقنع بها ،لأنها غير مقتنعة ،ولا تشبعه كما لا تشبع

1- زكي العليو ،مرجع سابق ،ص48.
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 13 ،بتاريخ :2015-05-07 ،التوقيت :[14:00-13:00].
3- زكي العليو ،مرجع سابق ،ص ص48-49.
*- باحث سوسيولوجي سوري.

غيره ،ولا تعطيه ذلك الأفق الذي عليه أن يجده لكي يتمكن من تحقيقه ،فيجده مفتوحا أو مغلقا ،كما يريد الآخرون ،وليس كما يريد هو. أعتقد أن المشكلة هي مشكلة حرية.[1]

فمن خلال معاينتنا لمسرح الظاهرة ،تبدى لنا إجرائيا أن تبعات الغياب التثاقفي البنيوية الحاصل بين الطالب والأستاذ ،لم تتأتى مقاييس تحديدها لهوية كل منهما إلا من خلال الأساليب الاحتكارية ،والتي استثمرت بشكل أدق في الثقافة المجتمعية الراسبة على مستوى الضمير الجمعي ،الذي تنساق تحته الذهنية الجزائرية وتمثلاتها لمجريات الواقع المعاش والممارسات اليومية ،هذه العناصر المتخلفة من الثقافة التي يطلق عليها –تايلور-* اسم "البقايا أو المخلفات أو الرواسب" يقصد بها تلك العمليات الذهنية والأفكار والعادات وأنماط السلوك والمعتقدات القديمة ،التي كانت سائدة في المجتمع في وقت من الأوقات ،والتي لا يزال المجتمع يحافظ عليها ويتمسك بها بعد أن انتقل من حالته القديمة إلى حالة جديدة لها ظروف مغايرة تماما عن الظروف الأولى ،التي أدت في الأصل إلى ظهور تلك الأفكار والعادات والمعتقدات[2] ومن تم بات الاعتماد عليها عنوة في تحديد مراسم وبوادر الهوية لدى الفاعلين الثقافيين في الجامعة الجزائرية ،لا يمكن اعتباره "كموجز" بمفهوم بورديو ،إلا عن طريق توصيفات "العنف الرمزي" الذي تخلفه إشكالية "صراع الأضداد الرمزية" ،التي يملكها كل من الأستاذ والطالب على حد سواء ،فليست المفاعيل المتولدة وسط الحقول مجرد حصيلة للجمع بين الأفعال الفوضوية ،ولا هي النتيجة المكمولة لمخطط متفق عليه ،إذ أن بنية اللعب ،هي التي تكون في مبدأ التعالي الذي تكشف عنه حالات انحراف المقاصد ،وليس مجرد مفعول التجميع الآلي ،ثم إن الحقل يعد أيضا فضاء من الصراعات والتنافس ،وهنا هو مماثل لميدان المعركة ،حيث يتنافس مشاركون للتمكن من احتكار النوع الخاص من الرأسمال الناجم في ذلك الميدان مثلا السلطة الثقافية في الحقل الفني ،السلطة العلمية في الحقل العلمي ،السلطة الكهنوتية في الحقل الديني،...الخ وسلطة إقرار التراتب ،ومعدلات التحول بين مختلف أشكال النفوذ في حقل السلطة. وتبعا لتلك الصراعات ،يصير شكل وانقسامات الحقل رهانا مركزيا مادام توزيع أشكال الرأسمال أو نقلها النسبي يرجع

1- الطاهر لبيب ،الثقافة والمثقف في الوطن العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط2 ،بيروت ،2002 ،ص241.
*- فيلسوف ومهندس مكانيك أمريكي [1856-1915].
2- محمد السويدي ،مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته ،مرجع سابق ،ص241.

إلى تغيير بنية الحقل ما يمنح كل حقل حركية وليونة تاريخيتين تجعلانه يفلت من الحتمية الشديدة المميزة للبنيانية الكلاسيكية[1] ،فهذه الرحلة البحثية التي أتاحت ظهور التباسات التصارع البيني ،في ظل غياب أساسيات المثاقفة داخل الحقل الجامعي (المجهض) ،لم تكن حسب دراستنا إلا من أجل اكتساب أو امتلاك "شرعية المشهد" ،لينجم عن هذا كله ،بروز هوية جامعية جديدة في صورتها التقليدانية ،أو كنوع من إعادة إنتاج بقايا النمط التقليدي ،وهو ما يحيلنا إلى تبيان "العمق الدوكسي" لدى الأستاذ الجامعي ،ومدى ترسيخه بنوع من التسليم على مستوى ذهنية الطالب رمزيا وسلوكيا ،فالدوكسا المنسوبة إلى بورديو لا شأن لها بالرأي المفهوم كطريقة للتفكير ،والحكم وطرح ادعاءات. فالتجربة الدوكسية التي يصفها عالم الاجتماع هي على العكس من ذلك تجربة انخراط أخرس ولا نقدي للافتراضات القبلية التي هي في نفس الوقت إدراكية وتقييمية لحس مشترك :"(...) هذا الشيء الذي يتفق حوله الكل ،اتفاق إلى درجة أن لا أحد يناقشه حتى ،فهو مسلم به ولا جدال فيه[2] ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد ،وإنما يتجاوزه إلى ما هو أردأ منه وأشد كلفة ،وهي القيود الاجتماعية التي لا تطاق والتي تحولت مع مرور الزمن إلى أعراف وتقاليد يصعب اختراقها ،مع أن هذه القيود ليست بالمكانة الحسنة التي قد تسمح للمثقف بالتنازل لها ،وإنما هي من البساطة بمكان لدرجة يصعب على المثقف القبول بها[3] .إلا أن واقع الحال ،على مستوى الجامعة الجزائرية جعلها تأخذ مجرى "النموذج" داخل النواة غير المصرح بها في الهوية الجامعية ،فمن منطلق هذه المتون والسجالات المتفرقة يبقى الأهم في توضيح مرايا هذه المسألة مقتصر على البحث في: ماهي أبرز السلطات الرمزية التي باتت تحدد الاعتبارات الهوياتية لكل من الطالب والأستاذ داخل هذا الحقل الجامعي الشائع؟ ما هي أشكال هذه المرجعيات التقليدانية؟ وأي دلالات سوسيوثقافية يمكن أن تحملها؟

1- علي سموك ،إشكالية العنف في المجتمع الجزائري –من أجل مقاربة سوسيولوجية- ،مخبر التربية ،الانحراف والجريمة في المجتمع ،جامعة عنابة ،الجزائر ،2006 ،ص ص54-55.

2- ستيفان شوفالييه وكريستيان شوفيري ،معجم بورديو ،تر:الزهرة إبراهيم ،دار النياء للنشر والتوزيع ،ط1 ،دمشق ،2013 ،ص153.

3- فيصل العوامي ،المثقف وقضايا الدين والمجتمع ،منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث ،ط1 ،بيروت ،1999 ،ص131.

أ- السلطة الرمزية المركزية:

تجلت أولى الإفرازات التي ترتبت عن معالم الغياب التثاقفي بنيويا داخل الحقل الجامعي ،وعلى ضوء جدليات الصراع القيمي والتصادم المكاناتي لكل من الأستاذ والطالب ،في مدى التأثير السلطوي التقليداني ،الذي اتخذته هذه الفواعل كنوع من إثبات الذات والوجود داخل فضاء المعرفة ،حيث أبانت لنا الدراسة الميدانية أن خصوصيات الفعل الإكراهي الذي يعبر عن سيطرة مؤشرات التفرد بالموقع ،قد أثار التباسا ثقافيا واجتماعيا ،في طبيعة البنية الجوهرية لمخزونات التواصل ،التي تحققها ويشترك فيها أفراد الأسرة الجامعية ،منذ نشأة هذا الإطار المؤسساتي ،وهو ما يحيلنا في الجانب ذاته إلى إثارة التساؤل حول :ما مصير البراديغم التعاقدي داخل الجامعة الجزائرية في ظل فرض وصاية الإرث السلطوي واحتكار القانون التقليدي المركزي الناجم عن ما أسميناه "بصراع الرغبات الشخصية"؟ ،فإذا كانت الحاجة إلى التعاقد الاجتماعي حسب –جون جاك روسو-* تبدأ رغبة في الخلاص من هم الخوف من هلاك الجنس البشري ،لأنها بزيادة تعقيدها ومشاكلها ،سيضطر الإنسان فيها إلى استخدام القوة من أجل البقاء [...] ،ويحصل التعاقد عندما يتنازل الجميع فيه عن إرادتهم الخاصة ،ليضعوها في إرادة عامة تكون دائما على حق ،لأنها تمثل مصلحة المجموع المشتركة فما ليس بحق بالتأكيد لا يمثل الإرادة العامة[1] ؛وبالتالي فإن مسالك اللاتعاقد بين الأستاذ والطالب داخل فضاء التدريس ،قد أعاد إنتاج (الثقافة الإقطاعية) في بعدها المعرفي أكاديميا ،حيث أظهر لنا أحد المبحوثين بوادر هذه النواتج بقوله :"إنني استشعر بعض التصرفات الحاصلة داخل المدرج من قبل الأستاذ ..وكأنني أراه سيدا ويراني عبدا !"[2] ،ففي عالم يرتبط ،على غرار الحقل الجامعي ،بالتصور أو التمثل الذي يصدر عن الفاعلين المحيطين حوله ،يمكن لهؤلاء أن يستفيدوا من تعدد مبادئ التراتب ومن الدرجة الضعيفة لبناء الرأسمال الرمزي ،كي يحاولوا أن يفرضوا وجهة

*- فيلسوف وكاتب سويسري [1712-1778].
1- علي عبود المحمداوي ،الفلسفة السياسية المعاصرة –من الشموليات إلى السرديات الصغرى- ،مرجع سابق ،ص33.
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 12 ،بتاريخ :2015-05-04 ،التوقيت :[12:00-11:00].

نظرهم ويغيروا في حدود ما تسمح به سلطتهم الرمزية ،موقعهم أو مكانتهم في المجال ،بتغيير التصور أو التمثل الذي يمكن أن يكون الآخرين (وحتى أنفسهم) حول هذا الموقع أو المكانة. ويعمق بورديو هذه الفكرة بأنه يمكن العمل على :"تقدم معرفة الحقل بشرط أن نستخدم العلم الذي يمكن لنا أن نحصل عليه ،لاكتشاف وتجاوز العوائق التي تعترض العلم والتي تترتب عن كونها تحتل مكانة وموقعا محددا في هذا العلم ،وليس ،كما هو مألوف ،من أجل اختزال دوافع الخصوم إلى مجرد أسباب ،أو إلى مصالح اجتماعية[1] ،فبزوال سلطة المعرفة والتنافس العلمي الموضوعي داخل الحقل الأكاديمي ،أضحت السلطة الرمزية المركزية المستنبطة من منبت القيم الاجتماعية التراثية ،تشكل الواقع الفعلي أو الاتجاه الانعكاسي لما هو مصرح به رسميا ،وفق البنود والقوانين الوضعية المعمول بها في تسيير شؤون المؤسسة الجامعية.

فخلافا للنهج التعاقدي المأمول إجراؤه عمليا ،أضحى المنطق الاستبدادي بما يمتلكه من عنف رمزي على مستوى بنية الذهنية الثقافية للطالب ،يعبر عن ما هو معاش ومنبوذ عقلانيا ،حيث أنتجت لنا متغيرات التمركز داخل المركز حيثيات الإقرار بشرعية الغلبة ضمن مفاعيل الحراك التوتري ،لطالما أن وسائل السيطرة متوفرة بكثرة لدى الأستاذ ،وهو المعطى الذي لم يخرج بعد من جدلية العراك في مخيال المثقف العربي بشكل عام. أين كتب في سنة **1946** –أغوستين بيرك-* واصفا المثقف المغاربي النموذجي في العهد الاستعماري :"أنهم هنا يفكرون ليس من أجل التفكير وإنما ضد بعضهم البعض"[2] ،ومن ثم يبدوا لنا أن انتهاج تقنيات هذا "النموذج" داخل المجتمع الجامعي ،قد تفسر على ضوء "إعادة إنتاج مخيال الدكترة" مادام عنصر الإرادة العامة والانفتاح على الآخر منعدما في صلب موازين القوى المتفاعلة ،وعليه ظلت الهوية الجامعية غير المنطوقة تحمل مواصفات "سيد القاعة" أو "صاحب الحقل الأكاديمي للجامعة" ،وهو ما ينفي الوظيفة التثقيفية للجامعة الجزائرية في الأصل ،لكون أن الثقافة لا تكون بالتكديس وحشو الأذهان وفقا لما يريده

1-نسيمة مخداني ،مرجع سابق ،ص58.

***-فيلسوف فرنسي.**

2-فلاديمير ماكسيمنكو ،الأنتليجانسيا المغاربية –المثقفون أفكار ونزاعات- ،تر:عبد العزيز بوباكير ،دار الحكمة ،دار النهضة ،ط1 ،الجزائر ،1984 ،ص124.

الأوصياء المتواجدون في كل مكان ،بقدر ما تكون في رفع الوصاية وكسر احتكار المعرفة للسماح بفتح الطاقات الشابة والناشئة وتوسيع آفاقها الداخلية والخارجية ،الأمر الذي يجعل رؤيتها لنفسها وللعالم من حولها أكثر إيجابية ،ويتيح لها اكتشاف بدائل جديدة تجعل حياة المعنيين أقل توترا وأكثر إشراقا[1] ،وهو ما يدعمه المفكر –علي حرب- بقوله :"هكذا يمارس المثقف الوصاية على القيم والولاية على الناس ،بإعطاء نفسه الحق في تعيين ما هو حقيقي ومشروع وصالح ،أي ما تمليه الحقيقة ،أو ما هو في مصلحة الشعب أو الوطن أو الأمة. هذا هو معنى مقولة الطليعة ،لمن شاء أن يقرأ في ما تخفيه العبارة ،قصدت أن المثقف الطليعي ،المنتمي إلى النخبة أو الصفوة ،يصدر في مفكره وسلوكه عن عقلية نبوية رسولية اصطفائية ،تجعله يتعامل مع نفسه بوصفه الأوعى والأعلم والأحق ،أي أدرى من الجماهير بمصالحها ،بل أولى منها بنفسها"[2].

فإذا ما أسقطنا معطيات هذه الوصاية على نموذج الهوية الجامعية للأستاذ في علاقته بالطالب ،فلا تزيغ عن كونها تمثل نفس البنى والأنساق التوليفية في نطاق الوسط المعرفي للجامعة ،بما يؤول إلى استخلاص نموذج الهوية الجامعية للطالب على أنها تتسم بأوصاف "التابع أو الخاضع أو القن" ،فما كشفته لنا المعاينة الميدانية عبر متغير "الغياب" ومتغير "تأطير القاعة" ينسحب إلى هكذا توصيف ،بحكم أن مفعول الهيمنة القيمية لثنائية مالك الحقيقة ومستهلك الخطاب ،لم تصور الطالب على أنه فاعلا مستقلا ،ولكن هو يحتل موقع "هامشية الهامش" ،فعلى الرغم من هذه الهيمنة السلطوية للقانون التقليدي المركزي ،ضمن دائرة ما أسميناه "بالحقل الجامعي المجهض" ،إلا أنه يجدر التنويه بعدة مسائل تتعلق بالهوية ،ولو إجمالا يرى –د.الجابري- أن الهوية من المسائل المرتبطة بالأيديولوجيا لا بالعلم ،ومسائل الهوية تبرز في لحظات الصراع لا في لحظات السلم ،التي تمر بها الذات مع الآخر. الهوية ليست بسيطة ،بل مركبة من انتماءات متعددة ،فليست مشكلة الهوية في تركيبها من عدة انتماءات ،ولكن المشكلة عندما تبرز تناقضات بين مكونات الهوية المركبة ،بحيث لا يمكن تصور الجمع أو التنسيق بين أهميتها أو مواضعها إلا بالقسر ،والهوية

1- محمد رفيق الطيب ،مرجع سابق ،ص350.
2- علي حرب ،أوهام النخبة أو نقد المثقف ،المركز الثقافي العربي ،ط3 ،الدار البيضاء ،2004 ،ص ص50-51.

تحتاج حاجة ضرورية للاغتناء بالحوار والنقد في سبيل تجاوز سلبيات وتناقضات نفس الهوية لأجل تطويرها واغنائها وإثرائها ،لاسيما عندما تظهر تكوينات جديدة تزاحم المكونات الموجودة السابقة للهوية[1]. وعلى هذا الأساس أثبت لنا البحث الامبريقي ضمن هذه الإشكالية ،أن مخرجات هذا التوغل التعسفي بين (الذوات العلمية) ،أو التداخل الخصوصي بين الأدوار الجامعية ،قد أوقعت مستوى الاتصال في بوتقة الانزلاق من ما هو عقلاني استيعابي في سجال الإرادة العامة إلى ما هو وجداني عاطفي ينفعل بالعصبية ،حيث أكد لنا أحد المبحوثين هذا الاعتبار قائلا :"الظروف الرديئة التي ألمت بالجامعة اليوم ،جعلت الأستاذ الجامعي يضع نفسه على أنه هو الكل في الكل"[2] ،ليرجعنا مبحوث آخر إلى منظور مختلف حول هذه المركزية بقوله :"بحكم استحواذ الأستاذ للحقل الجامعي عندنا ،أصبحت كل مبادرات وأدوار الطالب تخضع للمراقبة وتقاس على نموذج تصوراته وميولاته"[3] ،وهو ما يستشفه المفكر –علي حرب- في تحليله لمسألة أوهام النخبة مستطردا :"...ولا يخرج المثقف العضوي على طريقة غرامشي ،عن هذه العقلية المركزية النخبوية ،بالرغم من صريح العبارة ومنطوق الكلام ،فالقول بأن على المثقف أن يكون مندمجا في المجتمع ،حاملا هموم الطبقة أو الأمة أو البشرية ،إنما يسكت على الأمر الأساسي وهو أن صاحب القول يقرر ،في النهاية ،كل ما يتعلق بمكانته ودوره ومشروعيته ،أي هو يقرر من ينبغي أن يمثل وما يمثل وكيف يكون التمثيل ،وذلك بصرف النظر عن إرادة الذين يدعي التماهي معهم وتمثيلهم أو الاندماج بهم. إنه يزعم أنه ينخرط في مشكلات المجتمع أو يمثل مصلحة الشعب ،في حين هو يسقط تطلعاته وأوهامه على غيره ،بتوهمه أن ما يتطلع إليه أو يحلم به هو نفس ما يفكر فيه الناس أو يعانون منه[4] ،وهذا ما يفسر لنا أن أعضاء المعهد الذين هم مقسمين بصفة متساوية تقريبا بين القطبين "الجامعي" و"المعرفي" أو "الفكري" ،يمكن لهم أن يمارسوا سلطة الرقابة والرقابة على كل حقل ،وخاصة على القطاع الجامعي كما أن احتلال المواقع ،التي تمنح الوزن الاجتماعي ،يحدد ويبرر احتلال مواقع جديدة تكون هي الأخرى قوية بحكم وزنها ،على مجموع من يحتلونها. هنا يتحقق بورديو "من

1-زكي العليو ،مرجع سابق ،ص55.
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 12 ،بتاريخ :2015-05-04 ،التوقيت :[12:00-11:00].
3- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 09 ،بتاريخ :2015-04-06 ،التوقيت :[14:45-13:30].
4- علي حرب ،مرجع سابق ،ص51.

وجود علاقة وطيدة بين رأسمال السلطة الجامعية ،الذي يملكه مختلف "المسؤولين" وعدد زبائنهم ونوعيتهم (هذه النوعية التي تقاس بالرأسمال المدرسي) ،اللذان يمثلان بعد ومظهر رأسمالهم الرمزي"[1] ،فإذا كان تلاشي سلطة المعرفة وغياب موضوعية التنافس العلمي بين الأستاذ والطالب ،قد خلفت فجوات من الصراع الذاتي بينهما ،فأي دلالات يستقيم عليها هذا النوع من التفرد داخل الحقل الجامعي؟

يشير الباحث –زكي العليو-* أن المجتمعات العربية لا تعيش التنظيم المؤسساتي بل أكثر ما تعيشه هو "التنظيم" القائم على الفردية ،فلم تتجذّر الحالة المؤسساتية في المجتمعات العربية على حساب الفردية ،بمعنى ألا وجود حقيقيا فاعلا للمؤسسات بل الوجود الحقيقي في المجتمعات العربية هو للأفراد وتابعيهم ،فنجد أكثر الحديث عن الحاكم والسياسي لا الحديث عن المؤسسة السياسية ،أو الحديث عن عالم الدين والشيخ والأب لا عن المؤسسة الدينية ،أو الحديث عن المثقف لا عن المؤسسة الثقافية ،ومن هنا يكون أكثر الصراع مثلا بين الأفراد...[2] ،وعليه ،ألا يتحول التغيير الذي ينشده المثقف لمسألة ذاتية من خلالها ،وهو الذي يحددها من دون الأخذ في الاعتبار الظروف الموضوعية المتعلقة بمسائل التغيير ،وأن يبعد المثقف عن ذاته وتفكيره أنه بسيطرته على المجتمع سوف يتحقق التغيير ،فهذا يعبر عن حالة نرجسية يمارسها المثقف بصورة غير مبررة ،ومن جانب آخر تعبر هذه الحالة عن ديكتاتورية ينظر المثقف من خلالها أنه لا يحتاج في بناء علاقته بالمجتمع لأسس ديمقراطية[3] ،وهو ما يدل على أن مضامين هذا الشكل من الصراع الهوياتي داخل ما أسميناه –بالمخبر الأولي للمثقف- قد استمد مرجعياته التناقضية من مدلولين مختلفين في المعنى والسياق ،فمن جهة هناك طالب جامعي –يميل من حيث الثقافة والتصور إلى "النزعة الفردانية" وما تمتاز به من خصائص الحرية والاستقلالية- ومن جهة معاكسة تماما يوجد –أستاذ جامعي- أنشأته (ظروف التاريخ التصارعي في الجزائر)** ،إلى تمثل نزعة

1- نسيمة مخداني ،مرجع سابق ،ص60.

*-باحث سعودي.

2- زكي العليو ،مرجع سابق ،ص91.

3- المرجع نفسه ،ص191.

**-أنظر التفاصيل في العنصر الثالث من هذه الدراسة :نموذج النخبة الجامعية :من أنوميا الدور إلى مشروع إعادة الإنتاج.ص ص153-179.

مغايرة تقتصر على "ثقافة التفرد" وما تحمله من سلطات رمزية احتكارية تصل إلى حالة من الاستبدادية ،ومن ثم اتضحت جدلية "الفردانية" و"التفرد" في حلبة النقاش -الذي ينعته [هابرماس] بالفضاء العمومي- ،على أنها قلبت موازين الكفة المتضاربة إلى سطوة الرأسمال الرمزي الخاص بالأستاذ على حساب الطالب ،وهو ما لحظناه إجرائيا من خلال سجالات تفاعل الأفكار على مستوى مقاييس الأعمال الموجهة والتطبيقية التي يفترض أن تحرك الماكينات الإبداعية والإنتاجية للطالب والأستاذ معا وفق مبدأ الرأي والرأي المخالف ،إلا أن الممارس في الحالة المدروسة لدينا ،لم يتعدى مبادئ المسلمات التي يطرحها المحاضر أو عضو هيئة التدريس داخل القاعة ،وعلى مبنى هذا الطرح ،أصبح الطالب داخل الحقل الجامعي المجهض يتبنّى "سلوك القطيع" في ظل وجود أدوات السيطرة والاحتكار في يد الطرف الآخر المهيمن ،وهو ما يثبت أطروحة –علي حرب- عندما يتطرق إلى درجة أعلى في تشريح الذهنية المركزية للمثقفين وخاصة النخب العربية المثقفة بقوله :"بيد أن لهذه النخبوية ثمنها. فهي تمارس على حساب الحقيقة والحرية والعدالة ،بالرغم من كل المزاعم والادعاءات. فحيث أدت النخب المثقفة دورها بامتياز ،جرى تهميش الذين يراد تمثيلهم ،أو استعباد الذين يراد تحريرهم ،أو ضرب مصالح الذين يزعم الدفاع عن مصالحهم. ولا عجب في الأمر. فقيام فئة من الناس تدعي تمثيلهم والدفاع عن مصالحهم ،بوصفها الطليعة الواعية أو النخبة المؤمنة ،معناه إبقاء الناس في حال الجهل والتبعية والعجز[1] ،فعالم الثقافة بهذا المعنى ليس عالما قارا ،ومن ثم هو يساهم في خلخلة مفهوم الوعي بالذات ،فلا يصير ممكنا إلا "كوعي توتري" ،وهو التوتر المطلوب لتفعيل حركية الوعي الثقافي ،ودفعه باتجاه المستقبل بدل ارتهانه بالماضي ،وهذا التفعيل من شأنه أيضا أن يحرر الوعي بالذّات كوعي بالهوية ،من الأوثان التي نصبتها في الأذهان فلسفات الذاتية والوحدة والتطابق ،وغيرها من المفاهيم التي كانت سببا في وضع نموذج قسري ،يخضع الثقافات إلى منطق تصنيفي تراتبي ،نشأ عنه تثاقف "صراعي" ،يمجد المعرفة في صورتها التسلطية ،والفكر في بعده الأحادي. كل ذلك على حساب "المعرفة المتبادلة"

1- علي حرب ،مرجع سابق ،ص52.

(Reconnaissance) ،والتي هي أقرب إلى مفهوم "الاعتراف" بجميع ما تحمله هذه الكلمة من حمولة إنسانية وأخلاقية.[1]

في هذا الإطار من التحليل ،أبانت لنا مولدات هذا الغياب التثاقفي على مستوى كينونة المواقع الجامعية ،أن جدلية الصراع بين "الفردانية" و"التفرد" في تحديد ميكانيزمات التناظر بين المركز والهامش وبين مالك الحقيقة ومستهلك الخطاب ،عبر ما أسميناه "بالرحلة البحثية" ،قد شكل من اتخاذ الأستاذ الجامعي لرأسمال السلطة الرمزية المركزية ،هوية جديدة للطالب داخل هذا الحقل الأكاديمي الشائع ،والذي يمكن تسميته بنموذج "الرعية الجامعية". فأكيد أن قول –هيغل Hegel-* "إن تبادل الأدوار التدريجي يؤدي بالمهيمن إلى أن يصير مهيمنا عليه وبالمهيمن عليه إلى أن يصير مهيمنا" لا يبرز إلا تلك الدياليكتيك الأصلية ما بين السيد والعبد ،فالسيد يضعف أنطولوجيا بفعل التلبية الفورية لرغباته من قبل العبد ،بينما يكتسب العبد التحكم في الذات وفي العالم بواسطة العمل [...] ومع ذلك ،فمن المهم ألا يتواجد في ظل الفضاء الثقافي سيد ولا عبد ولا مهيمن ومهيمن عليه ،حتى يكون بالإمكان أن تتواجد الاستقلالية الحرة في ظل التبعية التراجيدية[2] ،ومن هنا ،فإن مهمة العودة إلى استرجاع الموروث بالنسبة للأستاذ كما يمكن أن يكون لدى الطالب في حالات نادرة ،هو تعبير عن "موت الفكرة التعاقدية" داخل المجتمع الجامعي ،لاسيما وأن اندفاع المجتمعات الإنسانية إلى بلورة سمات حديثة على أطرها الاجتماعية وبنياتها الثقافية تحت مسمى الانتقال إلى بناء "المجتمع الجديد" ،على ضوء تشكل الظاهرة الشبانية بمختلف جوانبها وتبعاتها ،لم تجعل هذه التركيبة المجتمعات العربية والجزائر تحديدا ،من إحراز هذا التتويج لاسيما في الحقل الجامعي على وجه الخصوص ،وهو ما يحيلنا إلى البحث في:" أي نموذج من السلطة تشكلت في ظل التصادم القيمي بين الأستاذ والطالب جيليا؟ ما هي انتاجات الصراع الجيلي الحاصل داخل الحقل الجامعي؟ وأي نموذج من الهوية خلفها هذا النوع من السجال؟

1-عبد الكريم غريب ،مرجع سابق ،ص246.
*-فيلسوف ألماني [1770-1831].
2- المرجع نفسه ،ص ص278-279.

ب-السلطة الرمزية الأبوية:

استنادا إلى ما تم تبيانه ميدانيا ،حول الانعكاسات التكونية للغياب المثاقفاتي داخل المجتمع الجامعي المتأزم في الجزائر ،وما اتسمت به حالات التوتر والصراع القيمي بين فواعل البُنْينة ،لما تمتلكه من مراكز ومواقع سلطوية تقليدية ،تعدت الامتدادات المرجعية للنموذج الهوياتي الخاص بكل طرف داخل الجامعة ،ما هو إرث سلطوي مركزي يعبر عن انعدام الإطار المؤسساتي ،والمبدأ التعاقدي داخل الحقل الأكاديمي ،إلى ما هو أعمق من حيث الجذور الإنسية والرواسب الثقافية التي تنجر عنها ،أين التمسنا على ضوء السياق التعاقبي في فهم هذه الظاهرة ،نوع من "الحفريات" –حسب مفهوم ميشال فوكو- داخل الذاكرة أو المخيلة البيدولوجية للعقل العربي –والجزائري تحديدا- ،كشكل من أشكال الاستعانة بمؤشرات السلطة الرمزية التقليدية في عمليات الهيمنة والاحتكار ،بين موازين القوى الحاصلة وسط الأستاذ والطالب معرفيا واجتماعيا ،حيث تأكد لنا امبريقيا بعد كشفنا لكيفيات التواصل والتذاوت بينهما ،أن غياب "التغذية المعرفية" في تفعيل الحراك العلمي والثقافي داخل فضاء التدريس ،وما ترتب عنه من فراغ فكري وقصور تأملي لمتطلبات الواقع واستشرافات المستقبل ،قد أنتج إلزامية "النكوص أو العودة إلى المأثور" من أجل تحقيق نمط التفاعل داخل النموذج الجديد "للحقل الجامعي المجهض" ،ففي ظل انقراض التركيبات الحيوية للحياة العلمية لدى الأستاذ والطالب على حد سواء ،بدأت النزعات الذاتية ذات المنطق الأنوي ،تتسع في تحديد طبيعة القوانين غير المصرح بها داخل النظام الجامعي ،وكان لمتغير "قيمية الجيل" في بزوغ ثنائية مالك الحقيقة ومستهلك الخطاب ،مرتكزا مفصليا في تبلور نموذج آخر من الهوية الجامعية ،ضمن هذا الصراع التضادي ،والذي تم اعتباره في صورة "السلطة الرمزية الأبوية" ،حيث تجاوزت سلوكيات الأستاذ ما هو سطحي في قضية البحث عن مركزية التموضع ومحورية الدور الأحادي ،لكونه السيّد والطالب قنا أو فرد من الرعية الجامعية ،لتصل إلى درجة كبيرة من التعقيد ،تجلت تمظهراتها في امتداد الدور العائلي الخصوصي لهذا المدرس داخل فصول الجامعة ،إذ

باتت الجذور الأنثربولوجية لذهنية الأستاذ الجامعي ،تنتقل من مهام الأب المعيل في تزويد الطالب بالعلامات المرضية بقدر ما يحصل على أكبر قدر من الولاء والتقديس الرمزي والوطني بدرجة أخرى في اختيارات الطالب في تحديد القناعات المعرفية ،واكتساب المرجعيات التفكيرية وكل هذه المخرجات ،لم تتأتى إلا عبر آلية العنف الرمزي ،الذي قلما يستشعره الطرفين بحكم أن شرعيته الوجودية اجتماعيا وقيميا ،أضحت تأخذ مساحة البراديغم المسيطر في علاقته بباقي القيم المؤسساتية ،والعقلانية والعلمية ،والتربوية الحداثية ...الخ ،وهو ما يدل حسب بورديو أنه عنف ناعم خفي غير مرئي ،وهو خفي مجهول من قبل ممارسيه وضحاياه في آن واحد ،ويتجلى هذا العنف في ممارسات قيمية ووجدانية وأخلاقية وثقافية ،ويوظف أدواته الرمزية ،مثل :اللغة ،والصورة والإشارات ،والدلالات ،والمعاني ،وكثيرا ما يتجلى هذا العنف في ظلال ممارسة رمزية أخلاقية ضد ضحاياه[1] ،وهو ما دفعنا في هذه الدراسة إلى التساؤل عن :أي أبعاد سوسيوثقافية اقترنت بها هذه السلطة الرمزية الأبوية في تحديد نمذجة الهوية الجامعية لدى الأستاذ والطالب على حد سواء؟ وما هي أطرها الدياليكتيكية في ضمان استمراريتها في ظل صراع الأضداد الرمزية ؟

تستشف الكثير من التقارير البحثية والأعمال العلمية ،أن مفهوم جماعة المركز (Statu group) من المفاهيم ،التي لها علاقة بالدور ،ويعني هذا المصطلح مجموعة الأشخاص الذين يشغلون نفس الوضع الاجتماعي داخل المجتمع ،بغض النظر عن التنظيمات أو الجماعات التي ينتسبون إليها ،أي أنها تشمل أولئك الذين يشتركون في إحدى الخصائص الموضوعية ،وبهذا المعنى فإنه يمكن أن نتحدث عن جماعات الأطباء ،وأصحاب المال أو العزّاب أو الأدباء ...على أن كلا منها تؤلف جماعة مركز معينة[2] ،إلا أن المدلول الضمني في دراستنا الميدانية داخل حيز الفواعل الجامعية ،لم تنبني على شاكلة جماعة المركز الجامعي ،التي تملك سلطة المعرفة أو النفوذ العلمي أو الرأسمال الثقافي ،ولكنها على العكس من ذلك ،ظهرت معالم الهوية الجامعية لدى الأستاذ والطالب في صورة الأب

1- علي أسعد وطفة ،الأداء الأيديولوجي للمدرسة في منظور بيير بورديو ،مرجع سابق ،ص16.
2- خالد حامد ،المدخل إلى علم الاجتماع ،دار جسور للنشر والتوزيع ،ط1 ،الجزائر ،2008 ،ص54.

والابن ،مادام أن محددات هذه النمذجة قد دعمتها مؤشرات اللاتوافق ،وغياب الرأي الآخر ونفي الاختلاف وانعدام الإنتاج العلمي وتشتت الموضوعية ،وهو ما يؤكد أنه من بين سمات المجتمع الأبوي كما حددها –هشام شرابي-* سيطرة الأب في العائلة ،فالأب هو المحور الذي تنتظم حوله العائلة بشكليها الطبيعي والوطني ،إذ أن العلاقة ...هي علاقة هرمية ،فإرادة الأب ،...هي الإرادة المطلقة. ويتم التعبير عنها في العائلة والمجتمع ،بنوع من الإجماع القسري الصامت ،المبني على الطاعة والقمع[1] ،ومن ثم يتوقع الأب التقليدي من أفراد عائلته الطاعة والامتثال لمشيئته ،والتجاوب مع رغباته وتعليماته من دون تساؤل ،ويحرص على ألا يسمح لأفراد الأسرة بمناقشته والتدخل في شؤون حياته. في نسق من علاقات القوة المتميزة يملي عليهم من فوق إلى أسفل أوامره ،وإرشاداته وتعليماته وتهديداته ،ويكون عليهم أن يستجيبوا باحترام وطاعة. وإذا ما كانت طلبات أو تحفظات يفترض بهم اللجوء إلى التسول والاسترحام[2] ،فهذه "الرسملة الأبوية" في عمق الذهنية الجامعية لدى الفاعلين الثقافيين في هذا النموذج من الحقل ،جعلت من شخصية الأستاذ الجامعي معيارا رمزيا مسلّما به في معالجة طبيعة الميكانيزمات ،التي ينشأ عليها الطالب الجامعي في تفاعلاته مع المعرفة والعلوم ،ناهيك عن تواصلاته مع الآخر ،لينجر عن هذه المولدات الاكتساب التلقائي للحس الاتكالي ،والقصور الفكري والجمود الثقافي لدى الطالب ،حيث أظهر لنا احد المستجوبين ملامح هذه الوضعية قائلا :"في كل الأحوال لا يمكنني الخروج عن كوني طالبا في حضرة الأستاذ ..لا مناقشا ولا ناقدا سوى آخذا بتوجيهاته ودروسه العلمية حرفيا"[3] ،في ما طرح مبحوث آخر دلائل هذه الصورة بقوله :"حتى انجازاتي البحثية الميدانية أضحت لا تتعدى المنطق الخاص الذي يؤمن به الأستاذ فافتراضاته المنهجية تلزمني لكي أقر بها في النتائج العلمية"[4].

وعلى هذا الأساس ،شكلت الهوية الجامعية سماتها الأبوية المستحدثة –على حد تعبير هشام شرابي- عائقا معرفيا في تنمية القدرات الشخصية لدى الطالب الجامعي في علاقته مع ذاته

*- مفكر فلسطيني [1927-2005].
1- حليم بركات ،مرجع سابق ،ص34.
2- المرجع نفسه ،ص368.
3- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 03 ،بتاريخ :09-02-2015 ،التوقيت :[10:30-11:45].
4- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 08 ،بتاريخ :06-04-2015 ،التوقيت :[12:00-13:00].

،التي لطالما آلت به إلى "حالة الاحتقار" وهو مبدأ الهابيتوس ،الذي سلّم به أحد المقابلين بقوله :"لقد بت أنظر إلى نفسي نظرة احتقارية فيما الإنتاج العلمي نتاجا لغياب الحوار والمناقشة"[1]. وبالتالي اتضح إجرائيا وفق منظور شرابي :أن هذه الذهنية الأبوية أول ما تتمثل في نزعتها السلطوية الشاملة التي ترفض النقد ولا تقبل الحوار إلا أسلوبا لفرض سيطرتها إنها ذهنية امتلاك الحقيقة الواحدة التي لا تعرف الشك ولا تقر بإمكانية إعادة النظر ،ومن هذا المنطلق فإن التفاعل والحوار بين الجماعات لا يرمي إلى التوصل إلى التفاهم أو اتفاق بين وجهتي نظر بل إظهار الحقيقة الواحدة ،وتأكيد انتصارها على وجهات نظر الأخرى ،لهذا فإن الذهنية الأبوية المستحدثة **Neopatrimonialism** علمانية كانت أم دينية لا تستطيع تغيير موقفها لأنها لا تريد أن تعرف إلا حقيقتها ،ولا تريد إلا فرضها على الآخرين بالعنف والجبر إن لزم الأمر[2] ،ليصبح نموذج الهوية الطلابية الجامعية على قالب احتواء الثقافة البطركية التقليدانية له واقعين على مستوى الممارسة ،أما الظاهر الأول :فيتجلى في قابلية الطالب الشاب لهذا الدور الممتد عن العائلة بحكم اعتياده على هذا النهج من السلوك في تفاعلاته داخل الأسرة الطبيعية ،والظاهر الثاني :فنادرا ما نلتمسه في الذهنية الجزائرية ،وهو عدم الرضا بالعيش تحت إمرة الشخص المسيطر تقليديا ،وعليه فإن هذه الهوية الجامعية الأبوية الجديدة ،تعتبر لدى هذا النوع من الطلبة واقعا غريبا يصعب التأقلم معه إلا فرضا وإلزاما ،وهو ما تأكد لنا عمليا من خلال ملاحظاتنا المباشرة ،أين وجدنا تشدد حالات الصراع تصل إلى حد العنف اللفظي ،وأحيانا إلى العنف الجسدي جراء هذه الهيمنة الرمزية للموقع الجامعي من طرف عضو هيئة التدريس ،فهذا الحجم المقلّص لدور الطالب ومكانته ،قد جعلاه يكتسب نموذج "الطفل الجامعي" ،فهذا الأنموذج من التلقيب يدفعنا إلى التنويه على أنه :إذا كان هناك مؤشرا آخر لنمو الطفل ومدى بلوغه سن الرشد ،وهو الانتقال من الاهتمامات السطحية والعرضية إلى الاهتمامات العميقة والدائمة. الاهتمامات الأولى تتماشى مع خصائص الطفولة ،حيث أن الطفل تجذبه المرئيات والمسموعات ولا يستطيع أن ينفذ إلى ما وراء ذلك ،ولا أن يدرك معنى الأفكار المجردة الخالية من الإثارة الحسية ،وهو سريع التقلب لا يمكنه تركيز اهتماماته أو فكره على

1- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 08 ،بتاريخ :2015-04-06 ،التوقيت :[13:00-12:00].
2- هشام شرابي ،النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمعات العربية ،الغرب للنشر والتوزيع ،ط4 ،بيروت ،1988 ،ص27.

موضوع معيّن لمدة طويلة ،أما مرحلة النضج فتقترن بظهور الاهتمامات العميقة والدائمة التي هي مصدر العمل الفني المبدع والفكر الخلاّق والمخترعات والابتكارات[1] ،وعليه ،فإن طغيان التصحر الفكري والإبداعي على معظم أرجاء العالم العربي يشير إلى ثقل الأغلال والمعوقات ،التي تمنع بلوغ العقل العربي مرحلة النضج. "الفكر الأحادي" الذي هو نتاج الاحتكار أخلى الساحة من كل سواه ،ولم يعد من الممكن أن تسمع فيها غير أصدائه أو رجع أصواته ،هو يردد نفسه ويعيد إنتاجها المرة تلو الأخرى ،ولا غرابة أن تخلو الساحة الناشطة من غير قارعي الطبول ونافخي البوقات ،على أساس أن الطلب هو الذي يخلق العرض ،وأن سوق الرداءة تطرد السلعة الجيّدة[2] ،وبحكم أن التقليدوية المتطرفة في الحياة الاجتماعية لها علاقة بالارتباط بالقيم الأبوية الجماعية ورمزيتها ،والتي تعبر عن نفسها في مفاهيم مثل :"الاحترام" و"الواجب" و"الشرف" و"النسب" و"الهيبة" الخ ...كما أن لها علاقة بالارتباط المتحول إلى آليات بصغائر الأمور في الحياة اليومية المعيشة. وتجعل النظرة التقليدوية العالم المحيط مغلقا وجامدا ،أما قيم هذا العالم فتبنى في شكل "أفق واقعي ساذج كحقائق اجتماعية بديهية مكتفية بذاتها" وفي هذا العالم يتم اجترار علامات الثقافة ورموزها مباشرة :فلا نستوعب مقاصد الثقافة كضوابط مؤشرة للسلوك. وإنما كعنصر شامل للوجود. كما أن الإنسان الفرد لا يستطيع في هذا العالم أن يحدد علاقته بالثقافة كعلاقة للذات بالموضوع[3] ،ومن هنا ،فإن سجالات هذا النوع من القولبة القيمية والمعيارية للسلطة الرمزية ستحيل حتميات "رسملة الموروث التقليدي" إلى طابعه الاعتيادي كشرط ضروري في توجيه التفاعل واستقرار المراكز ،وهو ما يدل على مدى تعميق هذه الحفريات لخلق نموذج جديد من السلطات البيدولوجية ،فما هي طبيعتها؟ وأي نموذج تقليداني تستشفه؟

1- محمد رفيق الطيب ،مرجع سابق ،ص346.
2-المرجع نفسه ،ص346.
3- فلاديمير ماكسيمنكو ،مرجع سابق ،ص167.

ج- السلطة الرمزية القبلية:

إلى جانب التجليات السوسيوثقافية التي تم التأكيد عليها ميدانيا ،من خلال إنتاجات الأزمة التثاقفية داخل الوسط الجامعي ،أفرزت لنا مجريات البحث على ضوء تشكل تلوينات "الوصايات المركبة" ،كمضامين تفعيلية لهوية الذات الأكاديمية ،نموذجا آخرا متجذرا في العمق الثقافي والاجتماعي المتوارث في العقل العربي (والجزائري على وجه التحديد) ،لاسيما بعد أن عكست لنا مسألة الرسملة التقليدوية للمواقع ،التي يحتلها كل من الأستاذ والطالب ضمن حقل التدريس ،كما هو الحال مع باقي الحقول البيداغوجية الأخرى ،هيمنة العادات والتقاليد والأعراف القيمية والمجتمعية البدائية على الأطر النظمية ،التي أنشأت من الناحية الإبستيموسوسيولوجية ،فمن منطلق ما تم ملاحظته امبريقيا ،تماثل لنا أن اتساع النزعات البينذاتية في (الذهنية العلمية) ،قد قدّم الفضاء الأكاديمي للجامعة على أنه يمثل مجتمعا تقليديا بلون مختلف ،أو بالأحرى تم بناءه داخل المخيال الاجتماعي الكلياني لدى أفراد الأسرة الجامعية ،وهو ما أثبت في ذات الصدد أن خصوصية السلطة الرمزية الأبوية ،لم تقدم حجم الدور العائلي الذي أعيد إنتاجه بين الأستاذ والطالب فقط ،وإنما امتد نطاقه إلى احتواء هذه النعرات في قالب يصور الأستاذ على أنه النواة الأصلية والأصيلة في الوسط الذي يمتلكه رمزيا ،أما الطالب فله شأن آخر في هذه الجدلية التصارعية مفادها هو ضرورة الإتباع والخضوع وخدمة الرمز بشكل إلزامي ،وهو ما أعطى انطباعا واضحا في بروز مؤشرات السلطة الرمزية القبلية ،كسمة من سمات الهوية الجامعية لدى الفواعل المتحركة بها ،وفي هذا الجانب يقول –أنيس صايغ-* أن هناك عدة رقابات على المثقف أقساها ليست الرقابة السياسية بل الرقابة الاجتماعية والذاتية "فعند أي كلام عن الرقابة على الفكر والرأي أو القول أو الإيمان أو التعبير ،فيتبادر إلى ذهن الإنسان رقابة الدولة أو السلطة الحاكمة. وكثيرا ما يكون ذلك هو واقع الأمر. وكثيرا ما تتمثل رقابة ما بقوانين وأنظمة وقرارات تصدر عن الدولة وتطبقها أجهزة الدولة. ولكن هذه الحقيقة لا تمنح وجود

*- باحث ومفكر فلسطيني [1931-2009].

"رقابات" أخرى ،قد تكون في بعض الأحيان أقسى من الرقابة الرسمية ،أو على الأقل أصعب من التحايل عليها وتجاوزها. فهناك رقابة المؤسسة غير الرسمية ،رقابة المجتمع ،كالعشائر والطوائف و[...] إن لسيف التقليد والجهل وضيق الصدر والأفق حدا أمضى من سيف الدولة في بعض الأحيان. ولعل أقسى وأبشع من هذه الرقابة أو تلك ،رقابة الإنسان "الداخلية" التي لا يمليها عليه وعيه أو ضميره أو شعوره بالمسؤولية ،بل يفرضها عليه جبنه أو شرهه أو لا مبالاته ،أو عواطف هوجاء لا تتيح له أن يمارس الحرية التي وهبها الله له وسمحت بها الأنظمة[1] ،ومن تم إذا كانت الجامعة الجزائرية حسب تعبير –أحمد رواجعية-* هي مؤطرة معماريا واجتماعيا وثقافيا في صورة الثكنة العسكرية[2] « **L'université algérienne est fonctionnelle à l'image d'une caserne** » ،فإن عملية العسكرة هذه للذهنية الجامعية في سيطرتها على المركز ،لم تصدر عن واقع أمني (ولو أن هذه الأطروحة واردة عمليا) ،ولكن هي مقيدة ومدكترة على مستوى التصورات والتمثلات الثقافية والفكرية ،كما أن صورة العنف الرمزي في مقاربتنا لمنظور بورديو معالم الهوية الجامعية ذات الرواسب القبلية يراد به... القدرة على توليد حالة من الإذعان والخضوع عند الآخر بالاستناد إلى عملية فرض نظام من الأفكار والمعتقدات الاجتماعية ،ويعتمد هذا العنف على توليد المعتقدات وترسيخها في عقول وأذهان الذين يتعرضون له ،فالعنف الرمزي ينطلق من نظرية إنتاج المعتقدات ،ومن ثم إنتاج هيئة من المؤهلين الذين يمتازون بقدرتهم على ممارسة التقييم والتطبيع الثقافي في وضعيات الخطاب التي تمكنهم من السيطرة ثقافيا وإيديولوجيا على الآخر وتطبيعه[3] ،وهذه الهيئة حسب دراستنا الميدانية لا يمكننا اعتبارها خارج عضو هيئة التدريس (الأستاذ الجامعي) ،حيث أضحى هذا التشبع بالرسملات البدائية في تجسيد مبادئ الاحتكار على الفضاء وعلى الخطاب وعلى أساليب التفكير لديه ،يزيغ إلى تحصيله في صورة "عباءة الشيخ" أو "هوية الزعيم" داخل القبيلة ،لطالما أن العودة النكوصية للمؤسسات السلفية بمختلف تنوعاتها الثقافية والخصوصية في

1- زكي العليو ،مرجع سابق ،ص99.

***- باحث سوسيولوجي جزائري.**

2 -Entretien avec Dr AHMED ROUADJIA ,par :Samir Azzoug ,le journal EL Watan ,N :7350 ,Algérie ,le 10-12-2014 ,p15.

3- علي أسعد وطفة ،الأداء الأيديولوجي للمدرسة...،مرجع سابق ،ص17.

الهوية ،بينت بجلاء فشل المؤسسات الرسمية ،الذي أراد البراديغم التحديثي إرساءها في وسط اجتماعي وثقافي غير وسطها ،مستعملا إياها كأدوات لإعادة تشكيل الحقل الاجتماعي (والمعرفي) ،منبعها إرادة الأقلية المهنية على الثروة والسلطة (رمزيا) ،ومنفصلا اجتماعيا عن بقية الفئات الاجتماعية الأخرى (وحتى التي تنتمي إليها في الحقل والمجال ذاته). ومن ثم فإن إعادة تنشيط الثقافة السلفية ومؤسساتها ،يمكن أن نطلق عليها ميكانيزمات للدفاع عن النفس في مواجهة فعل الإقصاء وكأداة للقمع في الحقل الاجتماعي[1] (والأكاديمي) ،بمعنى أن هذا التمثل النموذجي للدور التقليدي ،الذي يتسم به "شيخ القبيلة" ويظهر في سلوكيات الأستاذ الجامعي غير المنطوق بها ،جعلته بحكم صراع الأضداد الرمزية في تواصلاته مع الطالب داخل القاعة ،الرأسمال الرمزي والمعيار الإستراتيجي في ترشيد غايات النزعة الذاتية ،التي أسميناها آنفا "بنرجسية المثقف" أو "آنوية الأستاذ الجامعي" ،لاسيما وأن مواصفات شيخ القبيلة كثيرا ما صنفته على أنه ذلك الشخص ،الذي يكتسب سلطته من كونه الأقدر على أن يعكس قيمها وتقاليدها في الداخل والخارج ،أي فيما يتعلق بالتعامل فيما بين أعضائها من جهة ،وبينهم وبين الآخرين من جهة ثانية ،لذا كان الأعضاء يلتفون حوله بشكل عفوي على الرغم من أن سلطته لم تكن ملزمة رسميا[2] ،إلا أن الفعل التقليداني للأستاذ ضمن هذه الكيفية ،أبقى على سمة الإلزام واقعا معيشيا كنوع من الاستنجاد بالموروث لحسم مجابهات التصارع ،وعليه فإن قول -فرانز فانون-* بأن استحضار أمجاد الحضارة القديمة لا يسمن الجماهير الجائعة ولا يغنيها عن جوع يمكن أن يؤوله البعض على أنه عدمية. ومع ذلك فهو ينطوي على وعي واضح بحقيقة أن الرجوع إلى "الماضي العظيم" لم يتم في أوساط الجائعين والمحرومين ،لكنه تم ضمن فئة ضيقة من الانتليجانسيا. كما أن فانون كان يدرك أن هذا الرجوع يكتسي ،بالنسبة للأنتليجانسيا نفسها مغزى أساسيا "كعملية نفسانية-عاطفية" لاسترجاع التوازن الداخلي عند من كانوا يكتفون بتمثله في رموز

1- علي سموك ،مرجع سابق ،ص318.
2- محمد رفيق الطيب ،مرجع سابق ،ص72.
*- طبيب نفساني وفيلسوف اجتماعي افريقي [1925-1961].

مثالية[1]. وهو الأمر الذي يستوقفنا في إبراز أي هوية جامعية يحملها في مضمون هذا النموذج؟

إن جل الدراسات التي لها عناية كبيرة بموضوعات الشخصية والعقل العربيين داخل هذه المجتمعات ،قد أيقنت في جانب أوسع أن الإشكاليات العلائقية بين أفرادها ،وما تفرزه من ثقافات وسلوكيات لطالما ارتبطت بدلائل رمزية متعلقة بالشخص الكاريزماتي ،تقدسه وتبجله تارة ،وتؤمن به وتعتنق أفكاره تارة أخرى ،كشكل من أشكال ما يسميه –دوركايم- بفكرة "الطوطم" ،ومما يؤكد على ذلك ،أن صيغ هذه الروابط الاجتماعية القيمية ،قد أنتجت مستويات القصور الفكري والعجز الثقافي والركود الاجتماعي ،الذي أصبحت تشهده المؤسسات المعرفية والتثقيفية ،التي يرغب منها إنتاج وتفعيل الطاقات والقدرات الذاتية للشخصية داخل المجتمع ،بغية الارتقاء وارتفاع النمو العلمي لدى مختلف الشرائح والفئات الاجتماعية ،مابرحت مساحة من أفكارها بعيدة عن لعب دورها الفعلي على مستوى الساحة العلمية والثقافية ،لاسيما وأن الحاصل إجرائيا داخل هذه المجتمعات –ونخص بالذكر المجتمع الجزائري- ،ظل يعاب على الفرد فيه من جهة ،أنه يفتقد إلى النضج في أكبر التحديات ،التي تصطدم بها مؤسساته ومنظوماته المتنوعة ،وتارة أخرى يموّه عنوة وفق إطار سياسي مبرمج أنه غير قادر على تجاوز الصعوبات في ظل غياب وصاية خلية توجهه ،وعلى هذا الأساس أضحى الفكر العربي لدى العديد من المتخصصين والمفكرين العرب ،يقر بأن التعلق الشديد بالأشخاص هو أيضا دليل على عدم النضج ،فالطفل يتعلق بأمه وأبيه ،بينما تتعلق الذات العربية بالزعيم ،وتحلم بالبطل المنقذ أو "الديكتاتور العادل" أو المهدي المنتظر ،مما يعمق قابليتها للوصاية. الأب يصبح وصيا على أبنائه...والكبير وصيا على الصغير ،والزعيم وصيا على الأمة. وما الهروب إلى الحلم الماضوي أو الوهم المستقبلي إلا انعكاس لطفولة تلك الذات المتعلقة بالأم التراثية[2] ،وهو ما يحيلنا من خلال دراستنا الميدانية إلى وضع حدود هذه القبلية –كما الإلزام عند الطالب الجامعي- ،في ارتسام "نموذج الهوية الجامعية المريدية" (أي الطالب المريد) ،الذي يخدم شيخه اعتقادا

1- فلاديمير ماكسيمنكو ،مرجع سابق ،ص144.
2- محمد رفيق الطيب ،مرجع سابق ،ص ص 347-348.

بامتلاكه لرموز وأفكار وقناعات مسيطرة على الذهنية الأكاديمية ،أو خوفا من الإقصاء والتهميش بواسطة هذا الرأسمال الاجتماعي والثقافي والرمزي ،وهو الأمر الذي لحظناه في معاينتنا لمسرح الظاهرة ،عندما اكتشفنا مدى تبعية الطالب للأستاذ في مختلف التصورات والممارسات ،التي يلقيها هذا الأخير من دون أدنى عمل نقدي سطحي كان أم ضمني ،حيث ينوه بيير بورديو **pierre.B** على أهمية مشروعية السلطة الرمزية لكي تأخذ طابعا فاعلا في حياة الناس :"إن ما يعطي للكلمات وكلمات السر قوتها ويجعلها قادرة على حفظ النظام أو خرقه هو الإيمان بمشروعية الكلمات ومن ينطق بها[1].

فلا شك أن العلاقة بين الذات والآخر تكتنفها الالتباسات مادامت النوايا مضمرة والإرادات غير محددة المعالم ،فتتعامل الذات مع ما تصطنعه من خيالها حول الآخر وليس هذا الآخر كما يتبدى في حقيقته الواقعية والتعارف هو السبيل الوحيد لتبديد المخاوف ،القائمة في الغالب على الأوهام أو التمثلات الغامضة ،ولكن أحيانا رغم إرادة التعارف ،العلاقة بين الذات والآخر تبعث علاقة صراعية لأن الأمر الجديد ليس هو سلطة الوهم في إدارة الخيالات أو التمثلات أو الأفعال ولكن إرادة الهيمنة[2] ،ومن هنا ،أصبح هذا الشكل الطبيعي المصطنع من الولاء والتبعية لدى الطالب الجامعي يضفي شرعيته على ما أسميناه "بقابلية القهر الثقافي" ،وهو ما لحظناه في لغات التواصل بين الطالب والأستاذ كأن ينادي الشاب الجامعي أستاذه داخل القاعة بـ"يا شيخ" ،إذ بات موقع عضو هيئة التدريس يكتسح الضمير الجمعي لكل جوانب الأسرة الجامعية على مستوى الفصل البيداغوجي ،أو يلعب دور الجماعة بشكل انفرادي ،بحكم أن المعيار الثقافي للحياة القبلية يعتبر عصبية الولاء للجماعة أحد أهم القيم التي تحافظ على استمرار واستقرار الجماعة ،إذ يعتبر الولاء كقيمة اجتماعية داخل الجماعة ،وهو برمز إلى الرقابة الاجتماعية من طرف الجماعة وإلى الضبط الاجتماعي ،بحيث يستبطن الأفراد عامل الولاء في ذواتهم ،فيصبح موجها

1- بيير بورديو ،الرمز والسلطة ،تر:عبد السلام بن عبد العالي ،دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء ،1990 ،ص60.
2- محمد شوقي الزين ،الذات والآخر –تأملات معاصرة في العقل والسياسية والواقع- ،منشورات الاختلاف ،ط1 ،الجزائر ،2010 ،ص09.

لسلوكاتهم وفق قيم وأهداف الجماعة عن طريق الرقابة الذاتية للسلوك والتفكير ،ويمتد ذلك الولاء إلى السلوكات السلبية.[1]

من منطلق هذا المعيار ،يؤسس الوعي التأويلي لضرب من التثاقف ،هو بذاته شكل من أشكال الوعي التواصلي بامتياز. فهذا الوعي قادر على استبقاء مفهوم الهوية ،من حيث هي تعبير عن الخصوصية الثقافية ،وذلك –كما رأينا من قبل- عن طريق "التماسف" من جهة ،وانفتاح هذه الهوية على الآخر ،عن طريق "الاستملاك" لثقافته من جهة أخرى. وهكذا يكون جدل "التماسف" و"الاستملاك" هو الذي يؤسس لعملية التثاقف كعملية ،لاتكتسي مضمونها الحقيقي إلا في إطار جدل الخصوصية والكونية ،الذي يكشف عنه معيار "الكفاءة التواصلية"[2] ،ولكن مع انعدام هذه التجليات داخل الوسط الجامعي ،باتت صراعات الأضداد الرمزية ومجابهة الثقافات والقيم تطفح إلى واجهات العلاقات الارتباطية بين ثنائية ما أسميناه "بمركزية الهامش" و"هامشية الهامش" أو بين "الأستاذ الجامعي بمثابته مالك للحقيقة" و"الطالب الجامعي باعتباره مستهلك للخطاب" ،لطالما أن الكفاءة التواصلية هذه مرتبطة بكفاءة أساسية أخرى هي كفاءة "ممارسة النقد" ،وهي الكفاءة التي تتكشف عنها كل ثقافة قادرة على أن تمارس وعيا نقديا لذاتها ،بحيث تعيد النظر في مضامينها كلما دعت الحاجة لذلك ،بهدف تجنب كل نزعة نحو تمجيد الذات ،والتي تتكون عادة بفعل تراكمات وترسبات لأفكار تتحول بمعزل عن كل نقد وتمحيص ،إلى حالة من التشنج الفكري أو ضرب من الدوغمائية ،ومن ثم رفض كل جديد وإقصاء كل غريب... فالوعي النقدي يعمل على إظهار قدرة كل ثقافة على تجديد مضامينها بما يتوافق مع متطلبات اللحظة التاريخية ؛الأمر الذي يمنحها في كل حين الاستعداد اللازم للتكيف وقبول التحدي. وبغض النظر عن طبيعة هذا الوضع أو ذاك ،فإن الأمر يتطلب كفاية متعلقة بالفهم ،هي ما اصطلحنا عليه بكفاية ممارسة النقد[3] ،فهذا التباعد بين الأطر العقلانية والمؤسساتية لنواة الحقل وبنية الشخصية الجامعية للفواعل فيه وبين الواقع المعاش ،قد أدى إلى تداخل القيم وتصارعها وفق منطق يؤكد على صورة اللاتثاقف ،وبالتالي إلى ظهور نماذج هوياتية تقليدية ،نشأت

1- ناصر قاسيمي ،سوسيولوجيا المنظمات ،مرجع سابق ،ص121.
2- عبد الكريم غريب ،مرجع سابق ،ص249.
3- المرجع نفسه ،ص249.

على أنقاض سلطات رمزية متوارثة بين ما هو قانون مركزي ،ومبدأ بطركي أبوي ،وضمير جمعي قبلي ،حيث أقرت لنا هذه المخرجات مدى عسر الولادة الطبيعية للطالب الجامعي المثقف داخل الجامعة الجزائرية ،فبغياب وانعدام الكفايات النقدية للذات والآخر على حد سواء ،هو إثبات إجرائي عن انسلاخ الشاب الجامعي من الوعي النقدي للمجتمع الجامعي والمجتمع الجزائري الشامل معا ،بمعنى هو اختزال أدائه في الرضا والقبول ،لا على الالتزام الثقافي والاهتمام بالشؤون المجتمعية للمحيط ،ولا على خلق الأفكار الخصبة والمساهمة في تشكيل المسح الإبداعي للذهنية الثقافية للفرد في شتى الأصعدة ؛وعليه يصبح من الأجدر أن نبحث في معالم وتحيينات الانتاجات الحراكية المتمخضة عن هذا الشكل من اللاتثاقف داخل الجامعة الجزائرية اليوم ،وذلك بالطرح الاستفهامي الذي مفاده هو :ما هي نمطية النواتج التفاعلية التي أفرزتها أزمة التثاقف الجامعي بين الأستاذ والطالب داخل الحقل الأكاديمي الشائع؟ أي مآلات سوسيوثقافية أعقبتها ميكانيزمات الحراك المعرفي والاجتماعي في ظل احتكار مؤشرات التثقيف وزوال متغيرات التثاقف إجرائيا؟ وما هي طبيعة التصنيفات النموذجية التي يمكن أن تنتجها انعدامية المثاقفة من سياقاتها البنيوية التقليدية إلى أطوارها البنيوية التوليدية والدياليكتيكية؟.

- **خاتمة:**

من الاستخلاصات السوسيولوجية التي تعيَن علينا تبيانها بالتحليلات النقدية في هذا الشق العلمي من الدراسة ،يكفي دليلا أن نثبت بأن أهم المخلفات البنيوية ،التي تخللتها مخرجات الأزمة التثاقفية في الجامعة الجزائرية اليوم ،لم ترتكز بالأساس على تشكيل اللبنات الفعلية لنموذج الحقل الجامعي المؤسس ،وفق أفكاره الحداثية المحلية ،ونزعاته الإنتاجية الابستيمولوجية ،وتقييماته الاستيعابية التحررية ،مما فتح لعشوائية الوعي المجتمعي الشامل باب تكوَن البنيات البانية لحقل جامعي مفبرك ،عبر عمليات اختزالية واستنساخية متجذَرة في الرواسب الثقافية التقليدوية لكينونة المحيط المؤثر ،كشكل من أشكال التعلق بالموروث في ظل زوال التغيير التشاركي وسيادة الثبات القسري ،حيث سجلت لنا انتاجات هذا الانعدام المثاقفاتي المنبثق بين الأستاذ والطالب ،هيمنة الاعتبارات الظاهراتية ،واحتكار الاستراتيجيات الشعبوية من جهة ،وسيطرة التخطيطيات الإكراهية ،ورسملة الايهامات الإيديولوجية من جهة أخرى ،على استعدادية الفواعل الجامعية ،مما جعل نوعية النمذجة التركيبية –للمخبر الأولي المنتج للمثقف- ،يزيغ إلى استظهار حالة التشوهات القيمية والتمزقات النسيجية ،التي أضحى يمتثلها بعتامة مسمياته البديلة والتي من ضمنها :"حقل الفرجة ،الحقل المجهض ،حقل البين بين ،الحقل الشائع ،الحقل الفوضوي ،الحقل الهش ،الحقل المفبرك ،..الخ" ،وذلك من خلال اتساع فجوات [البنْينة] بالتماهي مع "أسطرة التحديث ،خرافة العدد ودمقرطة التعليم" ،فهذه البنيوية التقليدية التي تركَب عليها نموذج الحقل الأكاديمي في الجزائر ،قد شكَلت لحظة انزلاق من بيدولوجية متغيَرات الوسط العلمي ،إلى تقليدانية عوالم العقل الطلابي ،ومن "قابلية التحجر" إلى "قابلية القهر الثقافي" ،لاسيما وأن التوزيع المتوارث للمواقع الذي فرضته خاصية هذه الثقافة ،قد فسر بميلاد نموذجا مستحدثا من الهويات الجامعية داخل المخيالات المأثورة للمجتمع الجزائري ،حيث برهنت لنا الدياليكتيكيات المتجابهة بين ثنائية المركز والهامش سيماءاتيا ،أن حتميات صراع الأضداد الثقافوية الناشئة بين الطالب وعضو هيئة التدريس ،قد أفرزت ثالوث من السلطات الرمزية في تحديد الأنماط البنائية الخاصة بهوية كل طرف ،أين كان لإنعدامية براديغم التعاقد في هذه القاعدة ،انتشار طابع القطاعية المركزية ثقافة وسلوكا في تجسير الرساميل

الرمزية الفاعلين بشيء من الدقة ،وهو ما أعطى لمفعول قيمية الجيل تأثيرا بليغا في تطعيم هذه النقلة ،ويظهر ذلك من خلال نشوء سلطوية البطركة داخل العقل الطلابي في الجامعة ،حيث تبدَت قابلية الطالب للقهر الثقافي في استبدال معقولية التواصل الموضوعي مع الأستاذ عبر المعرفة بعتامة التعامل الوجداني النيوباتريمونيالي عبر الاعتياد ؛وهو ما دفع بهذه الهوة الماكثة بينهما إلى التعمق في البقايا الثقافية المتحجرة ،بأنسنة الضمير الجمعي القبلي للمجتمع الجزائري ،الذي يجمع بين "الشيخ والمريد" ،فهذه الحالة العلية المتبلورة داخل الجامعي الهش ،سمحت بامتثال السلطة الرمزية القبلية ،وبالتالي أصبحت سمات الطالب الأكاديمي داخل الجامعة الجزائرية اليوم ،تغيب عنها خصائص الفاعلية والتنافسية والنقدية ..الخ ،وتسودها مشاعية التبيئة التعسفية التي نمذجت الهوية الطلابية وفق مفاهيم مهترئة تجمل مرئيات "الطالب الجامعي القن ،الطالب الجامعي الابن ،الطالب الجامعي المريد" ،وهو ما جعل مهمة إنتاجه كمثقف يمتلك وعيا نقديا للمجتمع ويحمل مؤشرات الالتزام الثقافي والاهتمام بالشأن العام ،ويتسم بغزارة الأفكار الإبداعية الخصبة ،متأزمة إجرائيا ويستحال تجسيدها على ضوء هذه الانتاجات البنيوية المنجرة عن غياب عنصر التثاقف جوهريا ،ولو أن مسألة تأسيس هذه النواة على مستوى الواقع المعاش ،لا يمكن استجلاؤه إلا من خلال تحديد البنيات المبنية -بتعبير بورديو- ،التي عكستها حلقة المثاقفة المفقودة ديناميا ،وهو ما يدفعنا في هذا الطرح إلى استبيان لحظة الانتقال ،التي تظهر مدى التحول المتمثل بين البنيوية الوراثية والبنيوية التوليدية ،وعليه تبقى أحواز التساؤل مقتصرة في هذا المضمار على البحث في طبيعة الكيفيات التي تجسدت بها لحظات الانتقال من ما هو بنيوي ستاتيكي إلى ما هو بنيوي ديناميكي؟ ما هي أسس النماذج والبراديغمات التي أنتجتها حيثيات اللاتثاقف حراكيا داخل المجتمع الجامعي الشائع؟ وما هي ضمنياتها الدلائلية التي يمكننا استنباطها سوسيولوجيا؟.

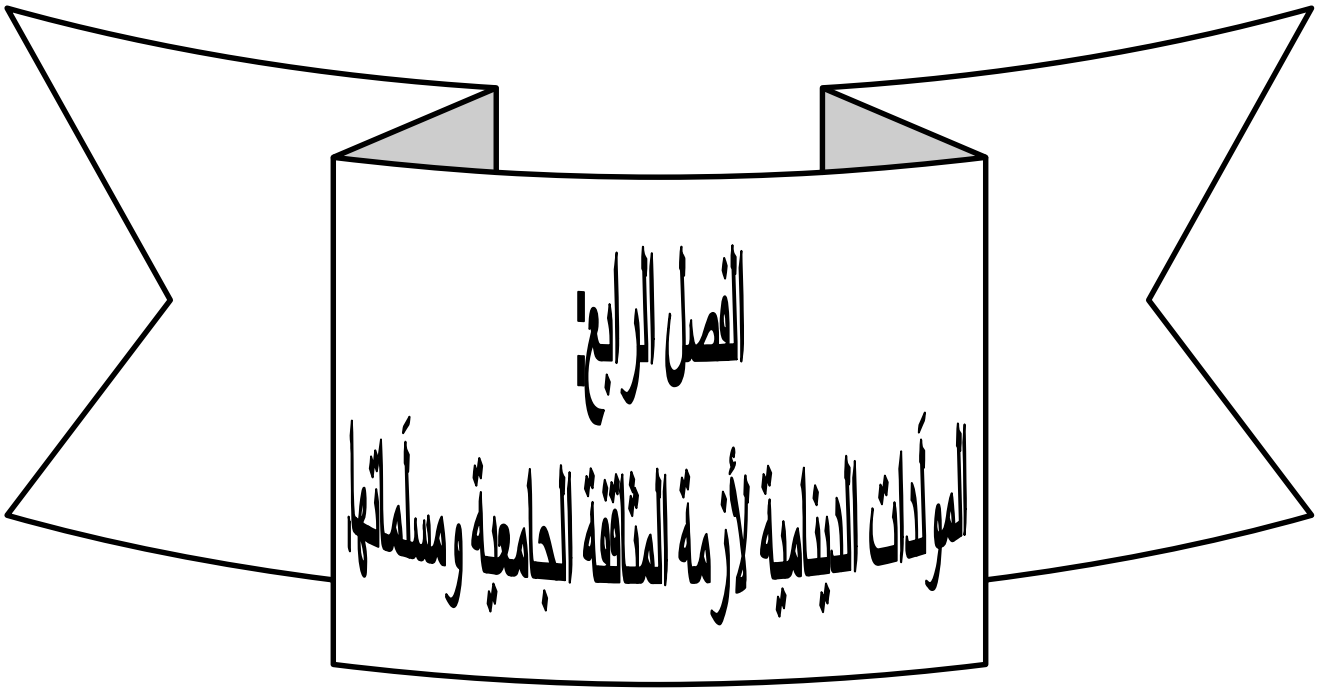

" لا وجود للنقد الفكري في غياب العقل النقدي"

- **تمهيد:**

تكتسي مهمة البحث التزامني في التحليل السوسيولوجي لمسألة الثقافة والمثقفين ،ضمن سياقات العقل والواقع في المجتمع الجزائري ،تفكيك الشكالة الرمزية التي ينضوي داخلها المخيال الاجتماعي للأفراد ،سواء كان ذلك عبر الممارسات الشخصية المنعزلة ،أو من خلال السلوكيات الجماعية المشتركة ،لاسيما وأن إرهاصات هذه الظاهرة الثقافية ،التي تعد إحدى أهم المواضيع العالقة لدى الرأي العام في الجزائر ،لم تستصيغ أفهامها التمحيصية الذاتية ،لا على مستوى البنى والمؤسسات الاجتماعية التقليدية ،ولا على مستوى المراكز والمخابر والمؤسسات المعرفية الدارسة لاستشكالاتها ،ولعل المدبر في تشريح خبايا هذه المسألة ،هو انعدامية التثاقف داخل الحقل الجامعي بين الفواعل نفسها التي تهتم إلى حد بعيد بمشكلات التواصل ،وباطولوجيات العلاقات ،وتشعيبات التذاوت التي تستلهم الحوائل المتنوعة والمتعددة للثقافات والمعارف ،خاصة وأن عملية اصطدام المثل بالوقائع لدى هذه الشريحة ،هو في حقيقة الأمر ،ناتج عن طبيعة السيرورة التاريخية ونمطية الحراك المجتمعي بين البنى والجزئيات التي تستند إلى شروطها ،لكون أن بداهة التحليل في هذا الجانب لم تقتصر على سطحية وبساطة التركيبة ذات السمة الفارقة في الشأن الجامعي ،بقدر ما تجلت في مدى تناص كفايات التواصل وشبكات الارتباط بين الأستاذ والطالب بشكل أخص ،وهو الأمر الذي سنستظهره في مدارات هذا الفصل المسمى بـــ:"المولَدات الدينامية لأزمة المثاقفة الجامعية ومسلَماتها" ،والذي سنسلط الضوء من خلاله على انتاجات الظروف الحراكية التي نشأت عليها أزمة المثاقفة والمثاقفة النقدية ،بحكم أن نمطية الأسلوب التواصلي وآليات التداول المبنية بين الفواعل الجامعية ،قد خلقت داخل مسرح الظاهرة عدَة التباسات تمثلت أولى استفهاماتها في :أي نخبة جامعية مؤطرة لأي طالب جامعي ناشئ؟ وأي علاقة طردية تتحكم في تثبيت هذه الدورة المتعاقبة؟ ،وعلى هذا الأساس سنحاول في هذا الشق العلمي أن نبين الحس العملي لهذه التوليفية من التجربة الدوكسية للنخبة الأستاذية إلى إنتاجية الورثة السيماءاتية للنخبة الطلابية من جهة ،وبين مقتضيات النسيج التقليدي للحقل المجتمعي والنسيج الغامض للحقل الجامعي من جهة أخرى ،مع استوقافاتنا النقدية التي ستستلهم امتداداتها المسلماتية معرفيا واجتماعيا.

1- نموذج النخبة الجامعية: من أنوميا الدور إلى مشروع إعادة الإنتاج.

تظهر ملابسات التحليل السوسيولوجي ،الذي تضطلع إليه الكثير من الدراسات العلمية ،والأدبيات التنظيرية في شتى العلوم المعرفية ،فيما يتعلق باستشكالات الثقافة والمثقفون في الجزائر والوطن العربي عموما ،من خلال مقاربات تحديد المعنى والسياق ،الذي تأخذه جملة المصطلحات المفاهيمية ،التي تتقاطع مداخلها الاستقرائية حول ماهية "المثقف؟" ،أين نكاد نجد في العديد من المؤلفات العلمية ،والكتابات الفلسفية ،والأبحاث التحليلية ،مفاهيم مجاورة له مثل :النخبة ،الصفوة ،الفئة الوسطى ،الشريحة المتعلمة ،الأنتليجانسيا ...الخ ،إلا أن منابع الفهم والتفسير ،التي تتناولها تأسيسا على ما تطرحه من ظواهر اجتماعية ،وإشكالات فكرية وابستيمولوجية ،لم تستقر عند هذا الحد من الفهم لتتجاوزه إلى ما هو أشمل في المسعى الإجرائي والواقع الممارساتي ،الذي تفرزه طبيعة الحراك الثقافي والاجتماعي داخل المجتمع ،تبعا لأعماقه الأنثربولوجية ،وتراكماته التاريخية وامتدادا لمتطلباته المعاشة وتطلعاته الإستراتيجية ،حيث ظلت استفهامات معظم الباحثين والمهتمين بهذا المجال ،مندرجة في البحث عن :هل في الجزائر يوجد مثقفون أم أنتلجانسيا؟ (مثل ما ورد في كتاب عمار بلحسن) ،هل المثقف هو المتعلم أم هو ذلك العارف لشؤون المجتمع؟ هل هو موسوعي أم تخصصي؟ هل هو عصامي طلائعي أم أكاديمي جامعي؟ ...الخ ،ومما يتبدى في استنتاجات هذه التساؤلات ،هو احتكار المقياس السياسي أو الباروماتر الحاكمياتي ،في تحديد وزن وثقل هذه الشخصية وفاعلية وتأثير هذه الفئة ،وعلى هذا النحو ،ظلت البنى التأسيساتية لتشكل هذا النموذج ،يستعصي عليها أمر تحقيق أهداف أدائها الوظيفي ،ليس على نطاقها المجتمعي الشامل فحسب ،ولكن حتى على مستواها القطاعي الضيق ،ومن بين هذه الحقول ،الحقل الجامعي في الجزائر ،حيث أظهرت لنا القراءات الاستكشافية في دراساتنا لإشكالية الجامعة ومعضلة إنتاج الطالب المثقف ،وما انجر عنها من اضمحلال وقائعي على ضوء خصوصياتها المثاقفاتية بين الأستاذ والطالب داخل مجال التدريس ،أن البعد المتأزم في نشأة هذا المنتوج ،قد تشعبت بؤره السببية بين من يرجعها إلى غياب المشروع المجتمعي ،من حيث معالمه النظمية وعوالمه التفكيرية ،وبين من يرجعها إلى

حتمية صراع الشخصانيات الشعبوية ،بين القوى الفاعلة والنافذة في المجتمع ،بين فقدان شرعية السياسي التي تمنعه من فتح المجال أم تقديم المشاريع والرؤى البنائية ،وبين استقالة النخب المتنوعة من الشأن العام بعد طلاقها من المجتمع. وهو الأمر الذي دفعنا في خضم تشريحنا لإنتاجات العملية التثاقفية المغيبة داخل الحقل الأكاديمي للجامعة ،إلى تحديد رواسب أنوميا الدور الفعلي للأستاذ الجامعي وتبعاته التنشئوية ،والثقافية على باطنية التفكير لدى العقل الطلابي ،أين أخذت الأسئلة الجوهرية المنبثقة عن هذه الجزئية تطرح في مضامينها :إلى أي مدى يمكننا تحديد الطبيعة السوسيوثقافية لوضعية الأستاذ الجامعي ،إذا ما اندرج تحت ضالة الذات المثقفة؟ ،وإذا كانت مختلف التحليلات العلمية تقر على أن اللحظة الجيلية للأستاذ الجامعي في الجزائر ،هي منقسمة إلى مستويين :منها الجيل الذي عايش فترة الثورة التحريرية وما رافقها من تحولات أثناء مرحلة الاستقلال ،ومنها الجيل الذي نشأ على موازين "التخطيط الثقافي" ،الذي تبنته الفلسفة التعليمية والسياسية في الجزائر ابتداء من أواخر الثمانينيات ،فما هي مراكز الاختلاف والتلاقي بين هذين المنطلقين من الخصوصيات الثقافية للذهنية الجامعية؟ ،لاسيما وأن راهنية الكفاية التواصلية التي تنبني على شكل من التذاوت ،قد أثبتت لنا حسب مستجدات المرحلة الكشفية للظاهرة ،أن الأسلوب التشاركي في هذا النوع من الاتصال ،ظل يعبر عن توصيفات الإكراه والتقوقع على الذات والاحتكار الرمزي للمجال والخطاب واختزال الآخر داخل بوتقة العقل الأداتي ،فجل هذه التجليات تحيلنا إلى استبيان جذور هذا الأستاذ الجامعي ،باعتباره مثقفا قبل ولوجه الحيز المؤسساتي ،أو امتداد لموروث ثقافي سابقا له ،تربطه علاقة جذرية بمتغيرات الأزمة الوطنية في الجزائر؟

وعلى مبنى هذا الطرح ،يؤول بنا هذا التمحيص إلى إعادة فهم معاني ودلالات ما أسميناه "بمركزية الهامش" و"هامشية الهامش" ،وما هي رواسب الوصايا السلطوية الرمزية ،التي اتسمت بها الهوية الجامعية المتولدة عن كينونة المواقع الأكاديمية داخل ما نعتناه "بالمخبر الأولي لإنتاج المثقف"؟ ،فهذا السجال من التنقيب الميكروسوسيولوجي ،يعمق تساؤلاتنا بالبحث في :ما هو نمط الحياة الثقافية والاجتماعية التي كان يعيشها المثقف قبل الاستقلال ؟ ،وإذا كانت مسألة بناء الدولة الوطنية في الجزائر ،قد ارتكزت على

إيديولوجية الشرعية الثورية ،وتجسيد مكتسبات الحركة الوطنية ،وأبجديات الحرب التحريرية ،فأي علاقة كانت للمثقف مع هذه الثورة وقادتها؟ ،فمن خلال ذلك تتضح الصعوبة في خروج المثقف عن إطار –هنا- مجتمع ما له هوية ثقافية ،فأي مثقف في أي مجتمع كان ،فهو نتاج ظروف هذا المجتمع ،فيعكس سلوك المثقف في حال كون مجتمعه يحمل صفة الاحترام لقيمه وقيم الآخرين ،أو كون مجتمعه يتمتع بهامش كبير من الحرية بأنواعها المختلفة ،أو كون مجتمعه يعاني من الاستبداد والفقر والتخلف ،وكذلك فإن مواقف المثقف تختلف عندما تكون هناك هيمنة داخلية أو خارجية على مقدرات أو سيادة مجتمعه أو نوع من الاختلال وكيفية تعامل ثقافته مع مثل ذلك...[1] ،ولعل هذا ما يقودنا إلى معرفة أنوميا الدور عند الأستاذ الجامعي من "لحظة بداية البدايات" ،التي خاضها المثقف داخل المجتمع الجزائري وخاصة أثناء الكفاح المسلح ،إلى لحظة صراع الرغبات الشخصية التي دأب عنها هذا الأستاذ في علاقته بفواعل الأسرة الجامعية ،لاسيما الطالب الجامعي على وجه التحديد؟ ،وعليه فهل أسلوبية التلقين وإستراتيجية الترميق هي وليدة هذا الأستاذ داخل الوسط البيداغوجي للجامعة؟ أم هي عمليات قد أعيد إنتاجها بكيفيات مختلفة من قبله؟ بحكم أن المثقفون الذين يعيشون في نسق مغلق لا يكونون انتليجانسيا وذلك مهما كان ثراء إنتاجهم ،نفس الشيء بالنسبة لجماهير المتخرجين وأصحاب الشهادات الجامعية الذين لا يكونون مثقفين ،ومن باب أولى لا يكونون أنتليجانسيا ،إذا لم تكن للمعرفة المتراكمة فعالية ضمن النظام الرمزي للمجتمع.[2]

وتأسيسا على أحواز هذه الأطروحات ،تؤكد العديد من الاطلاعات التاريخية والكشوفات الاجتماعية ،أن توصيفات المثقف الجزائري أثناء الوجود الاستعماري وخاصة مع عشريته الأخيرة ،لم تكن لها أبعاد تأثيرية على مستوى الواقع المعاش لأفراد المجتمع ،حيث يرى علي كنز أن المثقفون الجزائريون ،قد مارسوا نشاطهم داخل المجتمع الجزائري بنوع من التذليل والشعور بالنقص ،و رغم النكسات العديدة والمتكررة التي عرفها الاستعمار ،فقد كانوا دائما يحطون من قيمة مجتمعهم ويحتقرونه ،لم يؤمنوا أبدا بقدرات مجتمعهم ،ولا

1- زكي العليو ،مرجع سابق ،ص ص 50-51.
2- علي الكنز ،مرجع سابق ،ص36.

بحيوية تطوره ،حيث كان همهم الوحيد المناقشة والمجادلة في الظلام ،وبدلا من البحث عن أدوات ممارستهم محليا خارج مجتمعهم المحلي بحثوا عنها. كانوا ينظرون إلى المجتمع كأنه "هدف" يجب الوصول إليه وإصلاحه وليس كقاعدة أساسية لانطلاق الممارسة. وهم أي المثقفون ،إما متشبثون بالعروبة أو الإسلام وإما بفرنسا أو حتى بأوروبا إلا أنهم لم يكونوا متشبثون "بجزائريتهم"[1] ،وبالتالي يمكننا التنويه ،أن مسألة استظهار مؤشرات موازين القوى ،وميكانيزمات التفاعل بين المثقف والمجتمع وفق حقبها المتعاقبة ،أنها تمثل علاقة الطليعة (الفئة المهيمنة رمزيا) بالفئة الدنيا (التي يسودها فعل التجهيل الذي انتهجته السياسة الفرنسية) ،حيث أن الجدير بالذكر في هذه الحيثيات ،أن براديغمات التواصل من منطلق اجرائية البحث عن المساواتية الجذرية في المجتمع الجزائري ،قد أفشلت المسعى والوجود الحراكي للمثقف ،إذ يرى السوسيوجي –ناصر جابي- أن المساواتية كقيمة مركزية انتصرت بالفعل في التاريخ الجزائري ،من يمثل المثقف والمتعلم أصبح بورجوازي ،وأصبحت هناك عداوة للمثقف والمتعلم ،وهذا المثقف والمتعلم أمام الثقافة المساواتية والشعبوية أصبح معاد لها[2] ،ومن هذا المنظور ،اتضح نوع من الصراع الذاتي والتوتر العلائقي أثناء فترة اندلاع الثورة التحريرية ،وتغيرت مواقع الصدارة والتمركز بين "المثقف" و"العسكري" ،وإذا استثنينا أولئك الذين قضوا أوقاتهم في المناقشات الفارغة ،أي الذين حاولوا تبرير تأخر مشاركة هؤلاء وأولئك في "المغامرة" الوطنية الجزائرية ،فإن الأكثر الموضوعية هم الذين أكدوا على العلاقات الخلافية ،التي صبغت العلاقات بين المثقفين بالحركة الوطنية ،وإذا كان الوطنيون لا يقرَون صراحة بخيانة المثقفين ،فإنهم يلومون ضعف أو عدم مشاركتهم في الكفاح السياسي.[3] وهذا ما جعل الثورة التحريرية تعيش إشكالية مأساوية مع المثقف نتيجة تأخره "غير المفهوم" عن اللحاق بالعمل المسلح وقبله بالنضال السياسي ،وقد تجلت هذه الإشكالية المأساوية رغم الالتحاق المتأخر للمثقف بالعمل المسلح بعد إضراب الطلبة سنة **1956** [...] تجلت في قضيت لابلويت **La bleuite** ...بعد أن طالتهم تهمة الخيانة ،ومن هنا كانت علاقة الثوار بالمثقفين "علاقة متشظية"

1- علي الكنز ،مرجع سابق ،ص56.

2- تصريح مستمد من لقاء حواري مع السوسيولوجي ناصر جابي ،أجراه: احميدة العياشي ،الصادر عن مدونة الخير شوار : chouar.blogspot.com/2012/01/blog-post_23.html

3- علي الكنز ،مرجع سابق ،ص ص58-59.

،فمما لاشك فيه أن المناضلين الثوريين كانوا يقدرون المثقفين بنوع من الحذر وعدم الاندفاع ،بل كانوا يلومونهم ويعيبونهم البرودة في التحليل والتردد في اتخاذ المواقف.[1] ومن باب التسليم بهذه القراءة ،أصبحت دينامية المثقف أثناء هذه الفترة تخضع للسقوط ،وفقدان المكانة الاجتماعية والثقافية داخل "المرواز الاجتماعي" للمجتمع الجزائري ،حيث بدت متغيرات تناظر المركز والهامش ،تتطلع إلى منظار انعكاسي بين ثنائية المهيمن والمهيمن عليه ،ففي الوقت الذي كانت وضعية المحور قابعة تحت سيطرة المثقف ،انقلبت بفعل الشرعية المجتمعية وفي ظل الظروف التي خلفتها معطيات الثورة التي مثلت نقلة نوعية في حياة المجتمع الجزائري على جميع الأصعدة ،انقلبت إلى كفة المناضل الثوري أو الرجل العسكري ،مما جعل من هذا التراجع يشهد ميلاد "الشرعية التاريخية" لحظة الاستقلال وبعدها ،حيث ترجع هذه الأنومية الوظيفية للمثقف حسب ما تذكره -فاطمة الزهراء زيراوي-* إلى طبيعة المثقف في حد ذاته ،فليس كل حدث يمر إلا ويصدر عنه رد فعل مباشر وآني وتلقائي ،في الوقت نفسه نجده عند بعض الفئات الاجتماعية ،كالذي يعيش على الخبر دون تحليله وإعطاء الملابسات التي تنطوي عليها ،والظروف التي جعلته يكون على ذلك المنوال ،ولا نأتي بجديد إذا قلنا أن من خصائص المثقف التروي في اتخاذ المواقف[2] ،ومن ذلك ،فإن دلالات الغياب التثاقفي الذي يمكننا أن نشير إليه في مستجدات العلاقة بين المثقف والرجل العسكري إبان الثورة الجزائرية ،لا تقل أهمية عن ما سينجر عنها من انعكاسات ،داخل ما سيمهد له بعد الاستقلال بمشروع بناء الدولة الوطنية ،وتشكيل المؤسسات التي من ضمنها المؤسسة التربوية ومنظمات المعرفة التي نخص منها الجامعة بشكل أدق ،ومن ثم تبقى بوادر السؤال على ضوء هذه الجدلية القائمة بين ازدواجية المركز والهامش أو المثقف والعسكري –ما قبل الاستقلال- إلى ثنائية المثقف والسياسي –بعد ذلك- تستصيغ بشكل جلي :أي دور سيلعبه أو سيقدم لهذا المثقف بعد ذلك المشهد المتذبذب الذي سبق ذكره؟ وهو الأمر سيستوقفنا في إيضاح فئة المثقفين ،الذين احتلوا مناصب الأستاذية داخل الحقل الجامعي ،فكيف هي مكانة هذه النخبة الجامعية وخاصة في وقتنا الراهن؟ وأي

1- عمار بن طوبال ،المثقف الجزائري وخطاب الأزمة ،مقال صادر عن مدونة الكاتب في الموقع الالكتروني : http://koutama18.blogspot.com/2010/09/blog-post_8935.html

***-باحثة جزائرية وأستاذة بجامعة الجزائر.**

2-فاطمة الزهراء زيراوي ،المثقف والثورة التحريرية ،مجلة البحوث ،العدد2 ،جامعة الجزائر ،الجزائر ،1994 ،ص ص61-75.

نموذج من النخبة الجامعية يمكننا استنتاجها في ظل هذه الأنوميا الوظيفية للمثقف ومشروع إنتاج النخبة الطلابية الجديدة؟ إلى أي مدى تتصل تجليات ومحددات الفعل الممارساتي في المشاركة التثاقفية الناشئة بين الأستاذ والطالب داخل فضاء التدريس مع الدور الجديد الذي أخذه المثقفون بعد الاستقلال داخل مؤسسات الدولة الجزائرية لاسيما في الجامعة بشكل خاص؟ ماذا حدث للمثقف الجزائري بعد الاستقلال؟ هل بقي كتلة واحدة تعبر عن شريحة مجتمعية أم تخللته انقسامات تصنيفية على مستوى البنية؟ ،وما محل الطالب الجامعي من هذه المجابهات في الجامعة الجزائرية اليوم؟

أ- نخبوية الأستاذ الجامعي على ضوء إرهاصات تاريخانية المثقف:

إن القراءة السوسيوتاريخية التي تناولت إعادة ترتيب موقع المثقف في الجزائر مطلع الاستقلال ،وما صاحبه من تحولات وصراعات على مستوى منظومة الحكم ،وأطرها التنظيمية والتسييرية للمؤسسات ،قد خلفت واجهات ضبابية على مكانة النخبة المثقفة ودورها الفكري والتنظيري للأجندة المتعددة ،التي يتفاعل معها أفراد المجتمع الجزائري داخليا وخارجيا. فعلى الرغم من أن فترة الاحتلال الأجنبي شهدت تبلور حركة فعالة لتشكل النخب ،وهي حركة عكست التوجهات السياسية والفكرية والأيديولوجية المختلفة للمجتمع الجزائري ،وهو الوضع الذي كان يبشر بحركية هائلة ومتميزة لهذه النخب لفترة ما بعد الاحتلال ،إلا أن ذلك لم يتحقق. وقد جعلت فكرة توحيد الدولة الجزائرية ،كفكرة شعبوية ،النظام القائم يرفض الاعتراف ،وحتى الوعي ،بالاختلافات والتناقضات الاجتماعية والفكرية والسياسية ،وبالتالي إعطاءها ترجمة سياسية مؤسسية ،بل على العكس من ذلك ،عمل على مقاومة كل من يحاول أن ينتقد أو يعارض من منطلقات مختلفة ،ونعته بأنه عدو للأمة والدولة الجزائرية. لقد اتجه النظام القائم إلى منع أية حركة تجنيد للمجتمع قد تضيَق من مجال سلطته ،وذلك بوضع حواجز أمام الحركات أو النخب التي تهدف إلى تحريك

المجتمع.[1] وهو ما يدفعنا بهذا الخصوص إلى استظهار ملامح النزعة الانتقامية لدى السياسي على الثقافي ،حيث أصبحت مقتضيات التواصل بين الطرفين يسودها الغموض في مداها التشاوري أو الحوار في صناعة القرار ،أين بات السياسي هو من يلعب دور المثقف في إطار سيطرته على مركزية التأثير على المجتمع ،لقد كان المثقفون يشعرون بنقص أمام الشريك الأكبر ،الذي سبقهم مبكرا في النضال المسلح حتى أصبح هو راعيهم وهم رعيته ،وهو الوصي وهم الخدَام العاملين تحت مسؤوليته في التنظيم والتفكير[2] ،وهكذا ظلت ثنائية المثقف والسياسي مبنية على مبدأ القوة والغلبة في مستوياتها المادية ،لاسيما بشكل أدق في الاستحواذ على السلطة الرمزية داخل المخيال الاجتماعي للمجتمع الجزائري ،وهو ما انجر عنه استخفاف أهل الحكم بالإبداع والثقافة في دواخلهم وقناعاتهم الحقيقية ،وقد وصل الغرور بمعظمهم أنهم يعدَون أنفسهم مثقفين أكثر من أي مثقف ،وكثيرا ما يعطي واحدهم درسا للمثقف في جوانب الثقافة المختلفة إذا صادف والتقاه ،ومثلما أوصلهم الغرور إلى الاعتقاد بأنهم سياسيون أفذاذ واقتصاديون أفذاذ ،كذلك أوحى إليهم أنهم مثقفون أفذاذ أيضا ،وهذا ما شهدناه ونشهده دائما خلال لقاءات السياسيين بالمثقفين وحواراتهم معهم. وقد تبدى ذلك في أمرين :أولهما رغبة السياسيين بنشر المؤلفات باسمهم في مختلف أصناف العلم والمعرفة ،وأحيانا الإبداع ،وكانوا (يستأجرون) مثقفين للتأليف لهم وباسمهم ،كم سياسي (وأحيانا رئيس دولة) أصدر روايات وأعمالا إبداعية ،أو دراسات سياسية أو اقتصادية أو غيرها ،وهو لم يكتب منها كلمة ،وأحيانا بالكاد يكون قد قرأها ،والأمر الثاني هو توجه السياسيين إلى الحصول على شهادات أكاديمية عليا (الدكتوراه) من جامعات أجنبية تبيعها ،من دون أن يعرفوا مكان هذه الجامعات ،أو اللغة التي تدرس بها ،ويحرصون على وضع اللقب أمام أسمائهم ،ويعدون أنفسهم مثقفين وأكاديميين ليس كغيرهم فقط ،بل أفضل من غيرهم ،باعتبارهم يملكون منصبا سياسيا مع اللقب العلمي ،ويتحولون بذلك إلى واعظين

1- مراد بن سعيد وصالح زياني ،النخب والسلطة والأيديولوجيا في الجزائر :بين بناء الدولة والتغيير السياسي ،مجلة المستقبل العربي ،الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية ،العدد 430 ،بيروت ،كانون الأول/ديسمبر 2014 ،ص77.
2- علي الكنز ،مرجع سابق ،ص61.

للمثقفين وشركاء لهم ،ومن دون أن يمتلكوا رأس المال اللازم ،واختلط الحابل بالنابل ،والسياسي بالمثقف ،والأبله بالمبدع.[1]

وعلى مبنى هذا الطرح ،انقطعت لغة الخطاب بين المثقف والسلطة ،فوقفت ضد تحقيق مشروعاته ،سواء بتدجينه أو بإرهابه وإبعاده عن ساحة التأثير الاجتماعي ،لكن المشكلة أن المثقف (العربي) رضي أحيانا بهذا الدور المرسوم له ،المثقف الذي نقصده هو ذلك الذي يحمل هما معرفيا يريد به إصلاح العالم ،ونتيجة لذلك لم يغير المثقفون العرب الواقع العربي غالبا ،بقدر ما ساهموا في تثبيت دعائمه وإقامة أوتاده ،وإلا النفي والسجن والاغتراب هو البديل من قبل المجتمع والسلطة المسيطرة عليه[2] ،حيث أثبتت لنا مجريات التحليل التمحيصي في تاريخية المثقف في الجزائر ،أن "النزعة الزعاماتية" و"العقيدة الكاريزماتية" التي احتوت العقل السياسي-العسكري ،قد أثبتت الجذور الثأرية للمكانة المجتمعية ،التي افتقدها قبل نشوء الحركة الوطنية أو لحظة ظهور التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة [1920-1954][3] ،ومن ثم انقسمت النواة الأساسية للمثقف الجزائري ،التي تهدف إلى تعبئة وتحريك الثقافات المجتمعية ،وتطعيمها بالأفكار الخصبة والمعارف الحية ،ولم تقف عدم قدرة المثقف على القيام بدوره عند ذلك ،بل أوصلت المثقف لأزمة حقيقية ،تكمن مثلا في فشل مشاريعه التغييرية أو الإصلاحية أو التنويرية ،التي وجهها للمجتمع والدولة ،فلم تسعفه مؤهلاته الذاتية –سواء كانت معرفية أو أخلاقية أو التزامية- التي من خلالها يتمكن من الإسهام في التغيير والإصلاح والتنوير لتحقيق مشاريعه ،فعدم اجتماع المعرفة الدقيقة للواقع والمؤهلات الذاتية للمثقف والظروف الموضوعية أعاقته عن تحقيق ذلك[4]. ومن هنا ،فإن الأمر الذي ينبغي أن يأخذ حيزا من الانتباه ،على ضوء هذه الدراسة أن هذه الانقسامية التجزيئية التي فرضها السياسي على المثقف في الجزائر ،قد مكنتنا من وضع ثلاث حالات من المثقفون صنفوا داخل المجتمع الجزائري ،خاصة في الفترة الأحادية **(1962-1989)** ،التي تميزت فيها عملية إنتاج وتشكل النخب في الجزائر

1- حسين عويدات ،المثقف العربي والحاكم ،دار الساقي ،ط1 ،بيروت ،2012 ،ص222.
2- أيمن عبد الرسول ،في نقد المثقف والسلطة والإرهاب ،دار رؤيا ،القاهرة ،2004 ،ص95.
3- أنظر كتاب :رابح لونيسي ،التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة –بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954)- ،دار كوكب العلوم ،ط2 ،الجزائر ،2012.
4- زكي العلو ،مرجع سابق ،ص153.

بانتكاسة واضحة[1] ،وكانت هذه الأصناف ،أولا :بانبثاق صورة "المثقف المستلب" ،الذي أخذ قبولا ورضا في تبعية التيار السياسي السلطوي ،واحتل مناصب إدارية وفق علاقات زبائنية تحكمها حتمية الولاء والطاعة وهو ما يصطلح عليه في الكثير من الأدبيات "بمثقف السلطة ،المثقف الموظف ،المثقف الانتهازي ،المثقف التبريري ،المثقف الانتظاري ،...الخ" ،أما الحالة الثانية ،تمثلت في مواصفات "المثقف المغترب" ،والذي اختار العزلة الاجتماعية من جهة ،وذلك من خلال انفصامه عن شؤون المجتمع ،واكتفى بالهامش والابتعاد عن الأضواء أو صناعة الحدث ،ومن جهة أخرى هناك المثقف المغترب ،الذي فضل بلاد المهجر لعدم قدرته على العيش تحت سلطة السياسي ،المقيدة لحرياته الفردية واستقلاليته الفكرية ،أما الحالة الثالثة ،التي أرادت أن تصنع الفاروق أو التميَز عن الحالتين بشكل من التمرَد على المألوف ،وطالبت بالحرية والاستقلالية ،قد كان مصيرها التصفية الجسدية وهو ما يمكننا تسميته "بالمثقف المغتال" ،وهو ذلك المثقف الناقد الذي معوله العقل النقدي البناء الذي يعمله في النظر إلى الأشياء والقضايا ،والذي يمارسه سواء إزاء السلطة أم إزاء المجتمع أو المجموعة التي ينتمي إليها ،وهذا النقد هو وسيلته للمساهمة في تحسين الشرط الاجتماعي والثقافي والسياسي ،الذي تعيش فيه جماعته[2] ،ولخص الكاتب الصحفي "الطاهر جاووت" هذه الوضعية ،بمقولة أصبحت في ما بعد شعاراً شهيراً يؤرخ لمكانة المثقفين في تلك الفترة حيث قال ، "إذا قلت تقتل وإن لم تقل تقتل فلتقل ولتقتل"[3] ،فهذا الثالوث من التلوينات التي أجبر المثقف الجزائري انتهاج سبيلها ،ثم أضحت تمثل شكل من أشكال القابلية للقهر الثقافي أو للركود الاجتماعي أو للجمود الفكري ،لم تكتفي بهذا الدور حكرا عليها ،وإنما عملت على إعادة إنتاجه داخل المؤسسات والهياكل التي انضمت لها ،لاسيما المؤسسة الجامعية تحديدا ،حيث أظهرت لنا تبعيات هذا الغياب التثاقفي ،الذي لمسناه من خلال طبيعة الجزئيات العلائقية للتثاقف داخل الفضاء الجامعي ،أن هذا النوع من المثقف أو عضو هيئة التدريس ،قد دأب على إعادة إنتاج نفسه سواء من منطلق نمطية التفكير وتلقين المعرفة العلمية ،أو من خلال فاعلية التأثير السلوكي داخل المجال الأكاديمي للجامعة ،حيث

1- مراد بين سعيد وصالح زياني ،مرجع سابق ،ص77.
2- زكي العليو ،مرجع سابق ،ص20.
3- مختار مروفل ،الجامعة والسياسة في الجزائر :مشروع المجتمع بين مطرقة السلطة وسندان الايديولوجية لمحة تاريخية ،مجلة إضافات ،الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية ،العددان 26-27 ،بيروت ،(ربيع-صيف 2014) ،ص145.

كان إجماع الطلبة المستجوبين في هذا الصدد منصب عند عبارة :"إن الأستاذ الجامعي عندنا يريد إعادة نفسه وتوريث قناعاته في عقول الطلبة"[1] ،وبالتالي ما يمكننا استظهاره في انتاجات هذا الغياب المثاقفاتي بين الأستاذ والطالب داخل الجامعة الجزائرية ،ينسحب إلى مدى وجود الحالتين المصنفتين للمثقف الجزائري في علاقته بالسياسي ،بمعنى ،مدى تأثير المثقف المستلب والمثقف المغترب على الحقل الجامعي ،حيث أنتجت لنا معطيات البحث أن ثنائية المركز والهامش بين المثقف والسياسي ،وما ترتب عنها من انبثاق ازدواجية جديدة داخل الهامش في الجامعة الجزائرية بين مركزية الهامش –الأستاذ- وهامشية الهامش – الطالب- ،قد طرحت نموذجا جديد من الصراع ،لتحقيق مشروع إعادة الإنتاج ولكن ليس عبر السياسي ،وإنما بين الأستاذ الذي يعتبر (المثقف السابق) ،وذلك من خلال تجريب المشاريع والأفكار والأطروحات الفاشلة –المفصل فيها سابقا- على الذهنية الطلابية الصاعدة ،وهو الأمر الذي بات يأخذ مسميات ما ينعته –علي حرب- "بنخبوية النخبة" أو ما اصطلحنا عليه "نخبوية الأستاذ الجامعي" ،وهذا النقد للمثقف يحمل على تجاوز ثنائية المثقف والسلطة ،على نحو يتيح وضع المثقف والسياسي في سلة واحدة :كلاهما يسعى على طريقته وباستخدام رأسماله إلى احتكار المشروعية ،أي حق تعيين الأمر الجامع والشيء المشترك الذي يجتمع عليه العموم. وكلاهما يصدر عن اعتباط عند أخذ الخيارات وترتيب الأولويات وتقويم الوقائع ،إذ لا تقويم ولا ترتيب من دون استبعاد أو تهميش أو تعتيم. وكلاهما يمارس التلاعب والتمويه في حقله وميدان عمله ،إذ لا سلطة تمارس من دون حجب أو تمويه ،أكانت مادية أم رمزية. وأخيرا كلاهما يمارس التسلط والعنف :التسلط على الأجساد مقابل التسلط على العقول ،والعنف المادي مقابل العنف الرمزي الذي يمارسه المثقفون العقائديون والملتزمون ،بعقليتهم القائمة على الحصر والاستبعاد ،أو على التصنيف والإدانة.[2]

وهذه الوضعية الحرجة التي يعيشها المثقفون في وجودهم الاجتماعي يتسم وعيهم كذلك. فالمثقفون ،الذين يقال عنهم إنهم أقدر الناس على رفض وعلى تعرية الأوهام ،هم أيضا أكثر

1- تصريح اشتركت في مضامينه كل من المقابلات رقم :02-05-06-11-12.
2- علي حرب ،مرجع سابق ،ص59.

قابلية لتصديقها وتوليدها وأكثر قابلية للدغمائية المذهبية وللاستلهام الأيديولوجي[1] ،خاصة وأن ما كشفته لنا الدراسة الميدانية من باب أسلوبية التلقين من النقد المؤسس إلى الجهل المقدس ،أبدى لنا مدى بداهة هذه النخبوية التي ستعمل على ما أسميناه "برحلة البحث" عن المكانة الاجتماعية ،وتحقيق الذات الفاعلة في علاقتها مع الآخر ،وبالتالي لم تبلغ هذه التصنيفات الجديدة لأدوار النخب في الجزائر (النخبة الجامعية) أوجها في صناعة المشهد ،أو إصدار فعل التأثير داخل الوسط الجامعي ،إلا تلافيا مع عقدة الاستقلالية وعقدة الوجود ،فمادام المثقف حسب تعبير –عمار بلحسن- "يفبرك" رؤية أو يسرق "شظايا قيم سائدة. في توفيقية وتلفيقية محدثة ،أو يحوصل "توصيات وتوجيهيات" من هنا وهناك ،ويعجن كل ذلك في خليط من الموافقات والنظرات السائدة المنوعة الخطابات ،المطعمة بـ"توابل" زبائنية وتبعية لمركز أو موضع اجتماعي وسياسي... فسيكون أشبه بذلك الحانوتي العجوز الذي يكسر رأسه متاهية ،لا مخرج منها :"هل المرحلة تقبل هذه الأفكار؟ هل الجهة أو المسؤول الفلاني يرضى على هذه الفقرة؟ هل هذه الصورة الشعرية متفقة مع توصية المؤسسة أو النص الكبير الإيديولوجي؟ هل من مصلحتي أن أقول كل ما أفكر فيه؟ وبهذه الصيغة ،وفي هذا الشكل؟ لا ريب سيلصقون لي بطاقات معينة على ظهري وسأكون مغفلا ،إن جاريت وعيي وضميري...الخ؟[2] ،ومن هنا ،يبقى الجدير بالذكر في تحديد معالم ومؤشرات نموذج النخبة الجامعية في الجزائر راهنا ،أن نخبوية الأستاذ الجامعي قد تأتت نتاجا لصراعه الداخلي بين اختزال دوره الريادي في المجتمع ،وتحقيق مكانته أو الحفاظ على جزء منها في علاقته مع الآخر الذي يأخذ بعده التراتبي ،وعليه ،كيف تمت هذه العملية داخل الحقل الجامعي بين الأستاذ والطالب؟ وإلى أي مدى ستؤثر هذه النمذجة على مشروع إنتاج الطالب المثقف؟ وإلى أي حد يمكننا استنتاج بوادر الاستلاب والاغتراب على ثقافة وسلوك الأستاذ والطالب معا؟ وما هي دلالاتها؟

1- محمد سبيلا ،مدارات الحداثة ،مرجع سابق ،ص87.
2- عمار بلحسن ،أنتلجانسيا أم مثقفون في الجزائر؟ !! ،مرجع سابق ،ص ص180-181.

1. الأستاذ الجامعي المستلب وعقدة الاستقلالية:

استنادا إلى ما تم التنظير له سوسيولوجيا ،من منطلق جملة الإرهاصات التي شكلتها السيرورة التاريخية للتراكمات المعرفية ،التي اتسم بها الفعل الدياليكتيكي والبراكسيس العملي لدور المثقف في الجزائر ،أنتجت لنا اللبنات التوليفية التي اقترنت بالغياب التثاقفي داخل المجتمع الجامعي ،الذي وصفناه "بالوسط المجهض" ،نموذجا من النخبة الجامعية الملتبسة من الناحية التفكيرية والممارساتية على حد سواء ،حيث أكدت لنا مجريات التحليل أن نخبوية الأستاذ الجامعي ،التي انبثقت كامتداد لأنوميا الدور داخل المجتمع الجزائري في بعده الكلياني ،قد قفزت إلى احتكار المجال الأكاديمي كحقل بديل في تنفيذ رغبات السلطة المهيمنة ،وذلك من خلال مدى تأثير الجانب السيكولوجي على قناعات ومؤثرات التركيبة الثقافية للذهنية الجامعية لدى هذا الطرف ،إذ تباينت مسالك وطرق هذه النخبة من الأساتذة والمثقفين في تحديد معالم حراكها الفعلي ،من كونها تعمل تحت وصاية السياسي/السلطة ،إلى كونها تمثل إجرائيا هذه المنظومة أو تتبنى خطها ،فهذا التداخل في استجلاء انتماءات هذه الفئة الطلابية ،وإيضاح طبيعتها ونمطيتها التأثيرية ،قد طرح هو الآخر سلوكا اقصائيا في علاقتها بالفئة الطلابية داخل الحقل الأكاديمي ،حيث أبانت توصيفات الأدلجة عن خلفياتها في إنتاج وتوجيه نموذج النخبة الجديدة ،وذلك بعد أن اتضح بروز نمطين من النخبة الجامعية المستلبة ،فمنها ما كان بفعل الرضا والقبول العادي ،ومنها ما كان نتاجا للعنف الرمزي وعصا التخويف وقانون الترهيب ؛فممارسة فئة من المثقفين العمل السياسي على حساب العمل الثقافي ،حيث كان من المفترض ألا يتجاوز فعل المثقف السياسي فعله الثقافي ،إلا أن كثيرا من المثقفين حمل لعقود صفتي المثقف والسياسي معا ،أو أن بعض المثقفين لم يمارس السياسة ،ولكنه حمل خطابها ،فهو لا يرى أن هناك فصلا حقيقيا بين الثقافة والسياسة فكلاهما مكمل لآخر ،مما أدى بوجود حالات طغى فيها الدور السياسي على الدور الثقافي ،فمارس المثقف خطابين مختلفين وأحيانا يكونان متناقضين في وقت واحد ،عندما رأى أن السياسة أهم من الثقافة ،ولإرث تاريخي تضمن قيام السياسي بمحاولات نجح في بعضها بهدف استلحاق غيره له ،بمن فيهم من تمثل دورا مشابها لدور

المثقفين[1] ،وهو ما جاء على لسان أحد المبحوثين ،حيث قال لنا في هذا الشأن :"من الأساتذة من يحاضرنا بقناعاته الأيديولوجية وتوجهاته السياسوية التي لا تتأسس على نهج علمي أو نقد أكاديمي"[2] ،وعلى هذا النحو ،كان للأسلوب التلقيني ،الذي مورس على الطالب الجامعي داخل القاعة ،والذي نفيت فيه جل أشكال الحوار والمناقشة ،وتبادل الآراء ومحاكاة الثقافات واحتكاك المعارف ،مجموعة من الرواسب الثقافية وكذا مجموعة من الغايات والأهداف ،وإذا كان للجذور بعد تاريخاني –سبق ذكره- ،فإن الأهداف لا نكاد نجانب الحقيقة العلمية ،إذا ما سلمنا أنها تعود إلى إستراتيجية تثبيت ما أسميناه "بالنهاية الحصرية" ،والتي شكلت فيها المنطلقات الذاتية معيارا قيميا لدى الأستاذ الجامعي ،يتمثل بشكل ملفت في الإقرار بلا جدوى وجود مسعى لتفعيل الحراك الثقافي في الجامعة ،والتأكيد على فشل مغزى النضال والالتزام الثقافي من أجل ضمان دينامية المجتمع ،وعلى هذا الأساس أصبح مفعول الحفاظ على الوضع القائم يحكمه متغيرين هما :ضمان المكانة الجديدة التي استلمها من السياسي وحراستها من الضياع إذا ما تصادمت بفئات أخرى من المجتمع ،وثانيا :العمل على إنتاج وتأطير ثقافات لا تتعدى الحجم المعياري الذي يمثل براديغمه ،وهو ما سيحدث في علاقته بالطالب الجامعي داخل الجامعة ،مما يؤكد على أن استناد المثقف على عدد من المقولات ،منها النضال من أجل تحقيق أهداف منشودة ولاسيما المرتبطة بالمشاريع والأهداف السياسية ،حيث لم يعد النضال قادرا على الصمود في مواجهة الأوضاع الحالية كما يرى الكثير ،لأسباب كثيرة ،منها استبداد تسلط أنظمة حاكمة على مجتمعاتها ،والتي في الوقت ذاته تخاف قطبا وحيدا لا يسمح بأي تفكير يزعزع محاولاته المستمرة للسيطرة والهيمنة على العالم ،أجبر كثيرين على التخلي عن الحديث عن النضال ،الذي يعني أن أحد المكونات السابقة لمفهوم المثقف قد بدأ في الاضمحلال[3] ،فكل هذا يؤول بنا إلى الإشارة ،أن الأستاذ الجامعي الحامل لمؤشرات هذا التوصيف قد انسلخ من متطلبات العمل النقدي لمقتضيات وقضايا المجتمع ليس من باب الممارسة التشاركية فحسب ،ولكن حتى من زاوية تبني الأفكار وتزويدها للطالب داخل الحقل الجامعي ،وهو ما يدل على تأثير درجة

1- زكي العليو ،مرجع سابق ،ص ص18-19.
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 07 ،بتاريخ :06-04-2015 ،التوقيت :[10:00-10:45].
3- زكي العليو ،مرجع سابق ،ص18.

الاستلاب والرضا بالواقع المفروض عند هذا النموذج من النخبة ،حيث أظهرت لنا كشوفات البحث الامبريقي أن صيغة السيطرة التي يحتكم لها الجانب الإداري في توجيه هيئة التدريس وفق ما يسمى "بالمقرر الدراسي" قد أبان عن تضاؤل شدة الالتزام لدى هذه الفئة الأستاذية ،حيث أشار لنا أحد أفراد هذه الشريحة قوله :"أنا لا أعلم أن الذين يعدون المقرر هل هم أساتذة مؤهلون أم إداريين"[1] ،في ما ذهب أستاذ آخر إلى التأكيد على استقالة النخبة الجامعية من فعل المشاركة ،في تحديد استراتيجيات التنمية المعرفية في الجزائر ،وانعدام الوعي النقدي والمساءلاتي لديها ،بقوله :"عندما تجتمع وأناس وتجد أن المقررين لا يحتاجون إلى الكفاءة ماذا تنتظر؟"[2] ،فهذا النوع من الأساتذة الذي دخل عنوة إلى قفص الاستلاب ،أعاد إنتاج هذه الخاصية بشكل من النخبوية في تواصله مع الطالب ،وذلك عبر آلية العنف الرمزي الذي سيجبره على الامتثال إلى الأفكار التي أتى بها المقرر من جهة ،وإلى الاعتقاد "بالأفكار الميتة" –حسب تعبير ملك بن نبي- التي تؤمن بها على نحو من الايهامات التفكيرية ،التي تتخذ من الفئة الطلابية "عناصر تجارب" من جهة أخرى،حيث يرى الباحث –إبراهيم محمود-* عند تناوله لإشكالية "المثقف العربي والعنف" ،أن الكثير من المثقفين العرب الذين يعبرون عن ضجرهم مما يجري ،ورفضهم إياه ،يصادرون بكلماتهم ،وكأن لا يد لهم في كل ما يجري. هكذا يمثل المثقف العربي المشرع للمؤسسة العنفية ،والمدافع عنها ،ومادحها ،وفي الوقت نفسه يذمها ،لتأكيد حضور "إبداعي ،ديمقراطي" مزيَف ،وهؤلاء الذين "يتزوجون" مواقع في السلطة ،متقدمة ،ويستلمون "كراسي" منها وفيها ،يكون العنف الصادر عنهم ،أكبر وأكثر إيلاما ،ضد هذا الإنسان في الشارع (أو الهامش) ،والمثقف "المنبوذ" من المؤسسة ،كونه يمارس دورا ازدواجيا ،أي يمثل دور الجلَاد والضحية في الوقت نفسه ! وهذا يمنح المؤسسة الضاغطة القمعية بقاء واستمرارية أكثر[3] ،وهو ما يدل على أن إنتاجات هذا النموذج من النخبة في الجامعة الجزائرية ،قد ارتضى إلى خاصيتين من المثقفين فتارة يحمل سمة المثقف التبريري ،الذي منطقه ووسيلته التبرير للفضاء الذي ينتمي إليه ،أو للشريحة التي يفترض أن يدافع عنها

1 -تصريح مستمد من لقاء حواري مع الأستاذ رقم: 02 ،بتاريخ :2015-02-23 ،التوقيت :[12:00-10:30].
2 -تصريح مستمد من لقاء حواري مع الأستاذ رقم: 04 ،بتاريخ :2015-03-17 ،التوقيت :[14:20-13:00].
* -باحث من سوريا.
3 -الطاهر لبيب ،الثقافة والمثقف في الوطن العربي ،مرجع سابق ،ص110.

ويسوغ أخطاءها. قد يكون مثقف السلطة يدافع عنها دفاعا عن مصالحه ،أو مثقفا أيديولوجيا أو حزبا أو ثقافة يدافع عنها دفاع المستميت مهما كان الانحراف أو الخلل باديا[1] ،وتارة أخرى ينسحب إلى المثقف المتواطئ الذي يشحذ كل همته لتمجيد السلطة ،ويستغرق بذلك حد المغامرة التي تجعله متورطا مع أفعال الحاكم ،فهو المتطوع برغبته لنشر الأفكار التقليدية ضمن وعي زائف ومغلوط ،ولا يترك مجالا لبروز المعارضة والتضاد ،ويسعى بكل جهد إلى إيهام الجماهير في لعبة التعاطف ،وعادة ما يكون مصيره مهزوز تبعا لمصير السلطة ،لكنه قد يبدل قناعه بقناع آخر وحسب الظروف[2] ،فكل هذه النواتج هي صادرة عن افتقاد هذا المثقف المستلب إلى متغير الاستقلالية والتحرر من القيود السلطوية سواء كانت سياسية أو اجتماعية ،مما آل به إلى إعادة إنتاجها كونها تمثل رأسمالا رمزيا اعتباطيا ضمن المخيال الاجتماعي للمجتمع الجزائري ،وإلا كيف سيكون هناك إنتاج لطالب جامعي مستقل معرفيا في ظل وجود أستاذ جامعي مستلب فكريا؟ وهو الأمر الذي أكد عليه أحد المستجوبين قائلا :"توجد عقدة كبيرة لدى الأستاذ في نظرته للطالب"[3] ،حيث أصبح هذا الوهم النخبوي لدى الأستاذ الجامعي في خضم جدلية الاستلاب وعقدة الاستقلالية ،يبلغ أوجه في إطار التقوقع الباطولوجي على الذات ،الذي لا شأن فيه لسبل الإبداع والإنتاج الفكري إلا شرعنة لمكانة الذات الفاعلة والوجود الاجتماعي لهذه النخبة ،إذ شكلت هذه المرجعية على مستوى السياق العام للمعرفة والثقافة ،التباسا عقيما في طبيعة المنتوج الجديد ،الذي سيولد عن هذه الشريحة داخل ما أسميناه "بالمخبر الأولي لإنتاج المثقف" ،غير أن مؤشرات هذا السجال غالبا ما أشارت إلى أن رواج الثقافة الاستلابية داخل أي فضاء معولب ،لا يمكن لها إلا أن تفرز في مخرجاتها عقل الخضوع وفكر الخنوع ،ففي ظل وجود اختلالات في السلوك الثقافي لبعض المثقفين بحسب -د.بلقزيز-* فإن المثقف بحاجة للتحرر الذاتي عند مواجهتها ،ويحصي أربعة منها هي :النخبوية الانعزالية ،الشعبوية ،الطبقية الاختزالية ،الحزبية السياسوية[4] ،وبمجرد عدم اغناء الذهنية الجامعية

1- زكي العليو ،مرجع سابق ،ص20.
2- حسين العودات ،مرجع سابق ،ص62.
3- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 05 ،بتاريخ :25-02-2015 ،التوقيت :[11:00-10:00].
*- "عبد الإله بلقزيز" مفكر وكاتب مغربي.
4- زكي العليو ،مرجع سابق ،ص159.

بمكوناتها الموضوعية والعقلانية والحداثية التجديدية ،والمعرفية الابستيمولوجية والاستقلالية التفكيرية والتحررية الخطابية ،فهذا دون شك ،سيزيد البنية الثقافية تشنجا والعلاقات التواصلية تشظيا ،وهو ما أثبتته لنا الدراسة الإجرائية في هذا الصدد ،لاسيما وأن دلائل هذا النموذج من النخبة الجامعية المستلبة ،قد تبنت فعل الاحتكار والسيطرة ليس لترويج قناعات السياسي وإيديولوجية الإداري وأفكار البنية الفوقية فقط ،بقدر ما أعادت إنتاج آليات الاستلاب وأساليبه الإكراهية ،التي تأخذ خصائص العنف الرمزي ،حيث يبرر المفكر –علي حرب- هذه الدلالة بقوله :" وهكذا يجد المثقف نفسه اليوم أشبه بالمحاصر. وليس السبب في ذلك محاصرة الأنظمة له ،ولا حملات الحركات الأصولية عليه ،كما يتوهم بعض المثقفين. بالعكس ،ما يفسر وضعية الحصار هو نرجسية المثقف وتعامله مع نفسه على نحو نخبوي اصطفائي ،أي اعتقاده بأنه يمثل عقل الأمة أو ضمير المجتمع أو حارس الوعي. إنه صار في المؤخرة بقدر ما اعتقد أنه يقود الأمة ،وتهمش دوره بقدر ما توهم أنه هو الذي يحرر المجتمع من الجهل والتخلف ...ولا عجب :فمن يغرق في أوهامه ،ينفي نفسه عن العالم. ومن يقع أسير أفكاره ،تحاصره الوقائع.[1]

واستنتاجا لما سبق ،طرحت اعتبارات نموذج النخبة الجامعية ذات الصورة الاستلابية ،عملية انتقالية لدى الأستاذ الجامعي في الجزائر ،وذلك من شكل "المثقف المستلب بفعل التأثير الخارجي" أو بتعسفات قوة الآخر (صراع الثقافي والسياسي) ،والتي يعبر عنها المفكر –حسن حنفي-* في موضوع غياب الحرية والديمقراطية عند الإنسان العربي ،حيث تناول في دراسة عنوانها "الجذور التاريخية لأزمة الحرية والديمقراطية في وجداننا المعاصر" –فقال-"هذه الأزمة نراها كل يوم مجسدة في غياب الحوار حيث "نواجه الفكرة بالسيف ،والرأي بالاعتقال ،والعقل بالعضلات ،أو برفع سلاح التفكير عند كل مخالف للرأي ،أو يتهم بالخيانة والعمالة أو العته والجنون"[2] ،لتنتقل إلى ثوب جديد أعمق وفق آلية ذاتية ،والتي يمكننا أن نطلق عليها تسمية "المثقف المستلب داخليا" ،أين تتأسس تخمينات العقدة الاستقلالية لتخلق الهاجس الوهمي في إنتاج الأفكار الجديدة ،والتميز عن ما هو

1- علي حرب ،أوهام النخبة أو نقد المثقف ،مرجع سابق ،ص98.

*- مفكر مصري.

2- عبد الغاني بودبوز ،الجذور الاجتماعية للديمقراطية ،دار قرطبة ،ط1 ،الجزائر ،2009 ،ص100.

متداول ،وهو ما التمسناه لدى الأستاذ الجامعي ،أخيرا ،حيث بيَن –عمار بلحسن- هذه النمذجة عندما قال :"لنقلها صراحة ،إن هناك زلزال مرعبة وشرسة وسجون كبيرة داخل كل كتَاب ومثقفي بلادنا [...]. فجرس الرقابة الذاتية وأزرارها الخارجية يرن بعد كل فقرة من نصوصهم الثقافية. ومادام المثقف قد سجن نفسه بنفسه ،ولم يتعلم كيف يكافح ضد قضبان سجنه وذاته ،فمن الجنون أن يستنجد بطرف آخر. إن الحرية وحرية الكتابة أو كتابة الحرية عملية داخلية تفترض بدءا إرادة التعبير وتسجيل الكلمة في التاريخ.[1] ومنه ،إذا كانت انتاجات هذا الغياب التثاقفي ،قد مهدَت لوجود نموذج من النخب الجامعية المستلبة ليعاد إنتاجها في نموذج الطالب الجامعي الجديد ،فإن هذا المدلول لا يمكننا التأشير إليه إلا كعامل فعلي في إعاقة الجامعة الجزائرية على إنتاج الطالب المثقف ،وعليه تبقى مستجدات الطرح السوسيولوجي الكامنة وراء هذه الإرهاصات تستصيغ إشكالية البحث في :أين يكمن النموذج الآخر من النخبة التي أفرزتها جدلية الصراع بين الثقافي والسياسي داخل الجامعة الجزائرية؟ هل بات يحتوي الحقل الجامعي في الجزائر إلا نموذج الأستاذ الجامعي المستلب؟ أم هناك ما يشكل ظلا له في هذه الجدلية؟ وهل كان لأسلوب التلقين إلا البعد الاستلابي أم تجاوزته بذلك مخرجات أخرى لها تلويناتها وتوصيفاتها المغايرة؟

2. الأستاذ الجامعي المغترب وعقدة الحضور:

من المفارقات الثقافية-الاجتماعية التي صنعتها اللحظة التاريخية في توجيه المثقف الجزائري داخل المجتمع وموضعته في دواليب المؤسسات التعبئوية ،أن ميلاد نموذج الأستاذ الجامعي بعد الاستقلال ،لم ترتكز ثناياه على التبعية المطلقة أو الضمنية للسياسي أو الولاء الاضطراري للسلطة وفق نموذج المثقف المستلب فحسب ،وإنما أكدت لنا الأدبيات السوسيوتاريخية والدراسات العلمية ،أن هناك شريحة من المثقفون قد لجأت إلى الهامش ،إما اختياراً أم إقصاءً ،حيث أثبتت لنا معطيات التحليل من خلال قراءاتنا العلمية واستطلاعاتنا الامبريقية ،أن فقدان التوازن وانعدام التوافق بين أفكار هذه الشريحة

1- عمار بلحسن ،مرجع سابق ،ص181.

،وإيديولوجية البنى الفوقية من حيث الرؤى والتطلعات ،ومن حيث السلطويات والمصالح ،قد وضعتها ضمن خانة العزلة الاجتماعية ،التي لم تكن على ضوء ابتعادها عن امتيازات السلطة فقط ،ولكنها انعزلت عن المجتمع وشؤونه كذلك ،إلا أن القاسم المشترك بين مدارات الاستلاب ومرئيات الاغتراب،انحصر بشكل جلي في درجة النخبوية الوهمية ،التي تبنتها الذهنية الثقافية عند عضو هيئة التدريس داخل الجامعة ،حيث أنتجت لنا الدراسة وفقا لما كشفنا عنه في تجليات الفعل الممارساتي للمشاركة التثاقفية ،وانطلاقا من لقاءاتنا الحوارية مع عينة من الأساتذة ،أن سطوة الحالة الاغترابية بين هذا المثقف والشأن العام ،إما بفعل الإقالة أو الاستقالة ،قد تخللتها جوانب عدَة على نطاق مساحة التأثير المجتمعية ،لعل أبرزها عقدة الحضور أو الوجود ضمن هذه الرقعة ،لاسيما وأن انحباس المثقف في دائرته الضيقة لا يمكنه من ممارسة أدواره بموضوعية ،ولكنه عندما يندرج من إطاره الذاتي للتفكير إلى الإطار الاجتماعي ،فإنه يستطيع ممارسة أدواره بموضوعية –فمن خلال الإطار الاجتماعي للتفكير يتطور تفكير المثقف لأنه ينظر للواقع كما هو لا كما يريد المثقف أن يراه- ويتمكن من التعرف على المشاكل الحقيقية ،التي يعاني منها المجتمع لا التي يتصور أن المجتمع يعاني منها ،فهذا الإطار يمنح المثقف نظرة شمولية لا نظرة تجزيئية للمجتمع ،وبالتالي يستطيع من خلال الإطار الاجتماعي للتفكير أن يثمر ما توصل إليه من معرفة ،وهذا سبب معاناة بعض النخب العربية من أنها غير قادرة على التواصل مع المجتمع ،لأنها ترى أن المجتمع لا يريد فهمها كنخب ،وهي مصيبة جزئيا في ذلك ،ولكن الحقيقة أن هناك جانبا أخر في هذه المسألة ،وهي أن بعض النخب هي التي لم تفهم المجتمع على حقيقته ،بل أرادت مطابقة المجتمع على ذاتها ،فأوقعها ذلك في أخطاء في تعاملها مع مشكلات هذا المجتمع ،وهذا لا يعني أن المجتمع أصبح على حق في كل ما يراه مقارنة بالنخبة التي أصبحت على خطأ في كل ما تراه[1] ،ومن ثم أصبح هذا الدور التراجعي للمثقف أو الأستاذ الجامعي داخل المجتمع يلقي بمرآة انعكاسية يرجى إحداثها داخل الجامعة وإعادة مطابقتها على مستوى الذهنية الطلابية كإثبات تعسفي على مصداقيتها أو أحقيتها في

1- زكي العليو ،مرجع سابق ،ص156.

الوجود ،فهذا الشعور السيكولوجي بالاغتراب الذي ميَز فيه (سيمان **seeman**)* خمسة استخدامات تتجلى في :انعدام القوة الذي يعني شعور الفرد بأنه ليس لديه القدرة على التأثير في المواقف الاجتماعية المحيطة به ،وفقدان المعنى الذي يتضمن عجز الفرد عن الوصول إلى قرار أو معرفة ما ينبغي أن يفعله ،أو إدراك ما يجب أن يعتقده موجها لسلوكه ،وفقدان المعايير وهو لجوء الفرد إلى استخدام أساليب غير مشروعة وغير موافق عليها اجتماعيا لتحقيق أهدافه ،وكذا العزلة التي معناها انفصال الفرد عن تيار الثقافة السائد ،وتبني مبادئ أو مفهومات مخالفة ،مما يجعله غير قادر على مسايرة الأوضاع القائمة ،وأخيرا غربة الذات التي يقصد بها إدراك الفرد بأنه أصبح مغتربا حتى عن ذاته[1] ،فشتى هذه الاستخدامات المرضية قد مهدت لانفجار بينذاتي بين الأستاذ والطالب داخل الجامعة ،كتدليل عن رحلة البحث عن الذات في قوالب الاندفاعات الوظيفية التي تميز كل طرف ،فمهمة الإصرار عن إنجاز المشاريع البالية ،والأفكار الدغمائية والمعارف الطوباوية على مستوى الواقع ،في ظل انعدام آليات التشريح والتجديد والنقد الجذري ،دفعت بالطالب الجامعي إلى تلقي بوادر ما أسميناه "باليأس المعرفي" داخل الجامعة ،بعد أن أصبح لسان حال النخبة الجامعية المغتربة يقول في مخاطبته له :"كيف ستصبح مثقفا له وجود في الوقت الذي فشلت فيه كل مآربي لتحقيق ذلك؟؟"[2] ،حيث ثُبت لنا أن هذا المثقف بات ينظر إلى المجتمع بمنظار فوقي ،يجعله يصنف مجمل التعاملات الاجتماعية في خانة البساطة والسذاجة. فالمجتمع في نظر بعض المثقفين –وخاصة هذه الفئة المغتربة- غالبا ما يتعاطى مع بعضه البعض بشيء من البساطة ،ليس في حدود التعامل الاجتماعي العام فحسب وإنما حتى في التعاملات الفكرية الخاصة ،فهو يتعاطى مع شؤونه الفكرية ببساطة تامة. وبعبارة إن المجتمع في تعاملاته الاجتماعية العامة تسوده الروح العفوية ،فلا يتقيد في تصرفاته كثيرا."[3] ،وعلى أية حال ،فإن هذا المنظار الذي بات يحمله الأستاذ الجامعي هو الآخر اتجاه الطلبة داخل حقل التدريس لم يتعدى المنطق الاستعلائي النخبوي ،الذي يقر بالسيطرة على الفضاء والخطاب والتفكير ،ومن ثم أبرزت لنا نواتج هذا الغياب المثاقفاتي الناجمة عن

---

*- "Seeman Melvin" سوسيولوجي أمريكي.

1- محمد السويدي ،مرجع سابق ،ص ص215-216.

2- تصريح مستمد من المقابلة رقم : 05 ،بتاريخ :25-02-2015 ،التوقيت :[11:00-10:00].

3- فيصل العوامي ،مرجع سابق ،ص131.

أسلوب التلقين ،الذي يؤسس لتشكل الجهل المقدس داخل العقل الآداتي عند الطالب ،أن أوجه هذا النمط من الاغتراب داخل ذات الأستاذ الجامعي ،قد تباينت بين كون العزلة شأن تمايزي عن المجتمع ومكوناته وأجزائه من جهة ،وبمثابتها تهميش مفتعل من قبل قوى خارجية كعقاب ردعي لتصرفاته وتوجهاته الفكرية والإيديولوجية من جهة أخرى ،وعلى هذا النحو ،تبيَن لنا أن مشروع الإنتاج النخبوي على مستوى الذهنية الثقافية والنزعة العلمية لدى الطالب الجزائري ،بات يشير إلى فعل المطابقة أو ما يسميه بيير بورديو "بالورثة" ،وذلك من خلال إعادة إنتاج نفس النموذج الانعزالي الذي سوف يبحث عن مركز مهيمن له في موازين قوى أخرى عبر الجسور التواصلية التي ستربطه بالآخر الذي سيندرج تحت إمرته بنوع من التراتبية الجديدة ،حيث يصف –فؤاد إبراهيم-* حال بعض النخب التي تعزل نفسها عن المجتمع "إن عقيدة النخبة تقوم على أساس أن (التميَز النخبوي) يتحقق عن طريق (العزلة الاجتماعية) ،وكانت العزلة الطوعية هذه تستوفي مبرراتها كلَما ساءت الأحوال الاجتماعية وتدهورت الأوضاع السياسية. وازداد طغيان الظاهرة الانعزالية لدى النخبة حين بدأت النخبة وجهتها ومقاصدها فأصبح شغل النخبة الشاغل تفسير الأحداث عوضا عن تغييرها ،ولما استسلمت إلى هذا النمط من الثقافة وصرفت النظر عن التحول إلى قوة تغيير راحت النخبة تقيَم الأوضاع الاجتماعية بمنطق استعلائي ،لتضيف إلى أسوار عزلتها سورا أخرى ،وفي نفس الوقت تضيف إلى جهلها بالواقع الاجتماعي جهلا آخر ،فالمجتمع هو الجامعة الكبرى التي يمكن فيها تحصيل العلوم والمعارف"[1] ،وهو ما ظل يضطلع إليه الأستاذ الجامعي اليوم كلَما أتيحت له فرصة إثبات الذات المغتربة ،على ضوء متغيَرات الواقع وتأزماته البنيوية بغية التشهير أو الترويج لسلعه الفكرية التي نفاها المقرر الدراسي تارة و استعداها الضمير الجمعي للمجتمع تارة أخرى ،وإن كان لا يعتبر عيبا ثقافيا ولا أخلاقيا قيام المثقف بالتراجع عن أفكار كان يتصور أنها عملية أو مناسبة أو حقيقية ،بتغييرها أو تطويرها لتصبح لديه أفكار أخرى ،لأن المثقف يتعامل مع أفكار من طبيعتها قبول التطور التطوَر والتغير والموت والازدهار ،بل من الأجدى والأجدر بالمثقف ممارسة المراجعة لا عدم المراجعة ،فبهذه المراجعة التي تعتبر مصداقا لممارسة النقد

*- باحث وكاتب سعودي.

1- زكي العليو ،مرجع سابق ،ص100.

الذاتي للذات المثقفة يتقدم المثقف[1] ،إلا أن واقع الحال على مستوى الذهنية النخبوية المغتربة ،يؤكد أن اتخاذ هذا المسلك من الرؤية الموضوعية داخل الجامعة ،التي يمثل فيها الأستاذ على أنه هو المؤطر والموجَه ،لن تثبت وجوده التأثيري إلا بالقدر الذي ستزيد من ضآلة وزنه المعرفي وفشله الاجتماعي في الاستحواذ على المكانة المركزية ،وعلى هذا الأساس ،أصبحت حتمية البحث عن الاعتراف داخل الحقل الجامعي يعبَر عن تخطيطية تبريرية بمفهوم –بيير بورديو- فباختيار المثقفون العرب أسلوب "العزف المنفرد" حسب منظور الباحث –محمود عبد الفضيل-*...انتشرت بينهم أمراض "الفردية" و"الشللية"...وحفلت المنطقة العربية بنموذج "المثقف الطاووس" يختال عجبا بنفسه الذي لا يرى إلا نفسه في المرآة ولا يرجع سوى إلى أعماله...". ويضيف قائلا :"إن تلك "النرجسية" المفرطة للمثقف العربي هي نتاج التخلف"[2] ؛هذا المحيط المهترئ الذي سيصبح الأرضية البنائية ،لتشكل اللبنات الأساسية لثقافة الطالب الجامعي بنوع من "التوريث الفكري للاغتراب" والتي تأكدت لنا ميدانيا من خلال ملاحظاتنا المباشرة ،في ابتعاد الطالب الجامعي عن العمل الإمبريقي في أبحاثه الاختبارية ،خاصة في ميدان العلوم الاجتماعية لاسيما –السوسيولوجيا- على وجه التحديد ،حيث أظهر لنا أحد الأساتذة المستجوبين في هذا الإطار قائلا :"إننا لا ننتج المعرفة من الواقع وأصبح الطالب لا يحتك بالمعاش"[3] ،وهو ما التمسناه من خلال أقوال أحد المقابلين مستطردا :"شخصيا بعد تخرجي بشهادة إجازة لم أعرف المهام الموكلة إلي في المجتمع فما درسناه شيء وما نعيشه أمر آخر"[4] ،ومن هنا ،ينطلق الدكتور –تركي الحمد-* في دراسة له بعنوان "فكر الوصاية ووصاية الفكر :إشكالية النخبة" من الإشكالية نفسها في معالجته لموضوعه فيقول :"إن المثقف يشتكي دائما من الانفصام بينه وبين الجماهير والسلطة ثم يقرر أن يعتزل ويرمي باللوم على كل ما حوله دون أن يلتفت إلى دائه ...وإن هيمنة هذا النمط من النخبوية الثقافية (وهم الوصاية ،وهم المثل المطلقة ،تسامي المثقف) أدى إلى شل فاعلية المثقف في الحياة

1- زكي العليو ،مرجع سابق ،ص162.
*- كاتب وباحث اقتصادي مصري.
2- فيصل العوامي ،مرجع سابق ،ص135.
3- تصريح مستمد من لقاء حواري مع الأستاذ رقم: 02 ،بتاريخ :2015-02-23 ،التوقيت :[12:00-10:30].
4- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 05 ،بتاريخ :2015-02-25 ،التوقيت :[11:00-10:00].
*- كاتب سعودي.

العامة"[1] ،وهو المعيار نفسه الذي شل به دور الطالب داخل فضاء التدريس وبعده على مستوى الواقع الاجتماعي الذي يعيشه راهنا ،وهكذا فالآية تنقلب الآن :فبعد أن كان المثقف يركز نقده على السلطات ،أصبح يُرى إليه كحارس للنظام أو كشرطي للأفكار ؛وبعد أن كان يقَدم نفسه بوصفه الشاهد والقيَم الذي يصف ويعيَن ويحكم ،شاهرا دوما نقده دفاعا عن حريات التعبير ومصالح الجماهير ،أصبح هو نفسه مادة لنشوء خطاب نقدي يتناول بالتشريح والتحليل نمط وجوده ومشروعيته ،سلطته وموقعه ،رأسماله ومصالحه ،فاعليته وأدوات تأثيره ،أي كل ما يتصل ببداهته المحتجبة وإزاء الخطابات والممارسات.[2] وبالتالي فإن استنطاقنا لما هو مقيَد في المعطى التاريخي الذي يجسَد مرحليات المثقف في السيرورة الجزائرية من خلال ثنائية المثقف المستلب والمثقف المغترب ،لم تكن له أي دلالة رمزية سوى أن المحرك الفعلي في هذه الإشكالية يعود إلى غياب الاستقلالية الخصوصية للأستاذ الجامعي داخل المجتمع وفقدان حضوره الدياليكتيكي في الاهتمام بالشأن العام معا ،ومن هذا المنطلق تم انتهاج آلية إعادة الإنتاج وفق نظرية التراتب وجدلية المركز والهامش ،إلا أن هذه الوجهة من التحليل لم تتوقف عند النخبوية الثقافية والمعرفية للعقل الجامعي فقط ،وإنما يستظهر بشكل من اللااهتمام الطوعي من قبل فرع آخر من الأساتذة ،لطالما أن الأسلوب التشاركي الذي طبع تواصل الأستاذ والطالب داخل فضاء القاعة ،لم يكن من جراء التلقين فحسب ،وإنما كان له بعد ايهامي في الإنتاج ،توقف بشكل جلي عند خاصية الأسلوب الترميقي والتوليفي للمادة العلمية الموجهة للذهنية الطلابية ،وعليه يمكننا البحث عن نموذج هذا النوع من النخب الجامعية بالسؤال عن :أي إنتاجات ترتبت عن الغياب التثاقفي في خضم هيمنة الترميق على البراديغم النقدي؟ ماذا خلفت الجامعة الجزائرية من نماذج بعد انتهاجها للمنهاج الدراسي الإحصائي في ظل غياب الفلسفة التربوية النوعية؟ وإذا نوَهنا آنفا أن المرحلة الأحادية **[1962-1989]** قد تميَزت بالانتكاسة في تشكيل النخب وإنتاجها ،فما طبيعة النخب التي تولدت عن فترة ما بعد الأحادية **[1989-** إلى يومنا هذا**]**؟ أي نموذج من النخبة تمثلت على ضوء أسلوبية الترميق بين التحفيز والتدليس؟ ما هي تلويناتها الظاهراتية؟ وأي دلالات ستحملها ضمنيا؟.

1- فيصل العوامي ،مرجع سابق ،ص ص135-136.
2- علي حرب ،مرجع سابق ،41.

ب- قاعدة الأستاذ الجامعي الشائع على ضوء إستراتيجية العدد :

انطلاقا من التنظير السوسيوثقافي الذي طرحته التجربة التاريخية لتشكل نموذج المثقف في الجزائر ،كان لبزوغ الألفية الثانية وما طبعتها من تحولات وتغيَرات على مستوى الإطار العام لبنية المجتمع الجزائري على جميع الأصعدة ،ميلاد شكل متجدد من النخبة تحكمه قيم ثقافية وأطر اجتماعية مغايرة ،لمواكبة جل المعطيات والأجندة التي تستدعيها الظروف المحيطة والمرحلة المعاشة داخل قوالب الغلاف الأيديولوجي للدولة ،وما تشتمل عليه من استراتيجيات وسياسات عامة في مختلف المجالات والميادين ،حيث خلفت الفترة المأساوية التي شهدتها الجزائر مطلع التسعينيات (أو ما يسمى بالعشرية السوداء) عقما في الإنتاج وتفتتا مأساويا في صلب النسيج الثقافي والاجتماعي للمجتمع ،خاصة بعدما أفرغت الساحة الثقافية من نخبها (هجرة الآلاف من الأساتذة الجامعيين والأطباء والمهندسين والتقنيين ...الخ). وهو ما مهد لزوال الفئة الوسطى في الجزائر ،فأمام تنوع المعضلات المادية والديمغرافية ،وحالة الاحتقار والتذمر الاجتماعيين التي عرفتها البلاد في الثمانينيات مع استفحال أزمتي البطالة والسكن ،لم يكن لدى القائمين على الشأن الجامعي من تدبير ،"سوى الاهتمام والتركيز على ضمان مقاعد بيداغوجية للطلبة الجدد ،كحد أدنى يمكن للسلطات العمومية أن توفره لمواطنيها ،مقابل الحصول على السلم الاجتماعي داخل الجامعة ...حيث أن التسيير الإداري للجامعة في مثل هذا المناخ أعطى الأولوية للكم على حساب الكيف ،فاستبدلت مقاييس الكفاءة والاستحقاق في التفوق والتكوين الجامعي الذي يمنح الأولوية للبعد العلمي والبيداغوجي ،بمقاييس ومعايير تعطي الأسبقية للأحجام والأعداد التي يحتاج إليها في الواقع الخطاب السياسي الرسمي في المناسبات. وأفقدت هذه الظروف المتراكمة المؤسسة صدقيتها وقيميتها ؛إذ لم يكن يعني المسؤولين سوى الأرقام والأعداد ،التي أفرغت المؤسسة من محتواها وحولتها إلى مجرد واجهة مقطوعة الصلة بالحياة الاجتماعية ككل.[1] وإزاء هذه الحوائل المتعددة والمتنوعة ولدت "نخبة الخواء المعرفي" ،التي ستتشبع بالسياق الشعبوي المتداول في الوسط المجتمعي التقليدي وتتخذه

1- مختار مروفل ،مرجع سابق ،ص144.

منهجا في انبعاث ما أسميناه –في فصل التجليات- "بإيهامات الإنتاج" ،التي ربطت علاقة الأستاذ الجامعي بالطلبة داخل الفضاء الأكاديمي ،فبغياب المعنى العلمي لهذه الذهنية النخبوية ،التي اتسمت بتشتت المرجعيات الفكرية –أو ما لقبناه بالتيه العلمي- ،قد دفع بعضو هيئة التدريس إلى ترويض العقل الطلابي لممارسة السهل الممتنع في استعماله لمتغيرات المعرفة ،وكيفيات التعامل مع منتقداتها في عملية الارتقاء التدريجي للسلم الجامعي "من سلم النظام الكلاسيكي (ليسانس-ماجستير-دكتوراه) إلى النظام الجديد (ليسانس-ماستير-دكتوراه)" ؛وهو ما يدل على أن الجامعة التي عُهد إليها تحديث المجتمع ،بحسب –غريد- ،تقف اليوم في حالة دفاع بسبب سياسة الهيمنة والاستئثار "الدولتي" ،الذي أمَم القطاع التربوي مثلما يؤمم قطاع التصنيع والمحروقات ،فلم يرى في الجامعة سوى مجرَد قطاع من القطاع الصناعي والتقني البحث الذي يجب عليه الاعتناء ببناء الطالب المنتج فقط ،وليس الطالب المثقف المبدع في المجتمع.[1]

ومن الملاحظات البارزة التي يجب التنبيه إليها في هذا السجال ،أن إشكالية الأسلوب الترميقي الذي بات يمثل رابطة تواصلية داخل الجامعة بين الطالب والأستاذ ،لم تتأتى إلا بصياغة نموذج "النخبة الجامعية الجامدة" أو ما يسميه الباحث –جمال غريد- بالأنموذج الشائع[2] ،حيث كان لمفعول الفعل التكراري بعدا إجرائيا في جذور الأزمة التي عرفها العقل العربي في حركته التكرارية المغلقة عن طريق صراع الأسس والأنظمة المعرفية المؤسسة للعقل العربي ،فبين –الجابري- أن الاصطدامات التي عرفتها هذه الأنظمة (اصطدام البيان بالبرهان واصطدام البرهان بالكشف ،ثم أشكال الهدنة التي مورست في الثقافة العربية بين هذه الأنظمة خلال مراحل حركتها "الاعتمادية" التكرارية) أدت إلى خلل في غياب التقدم حيث يشكل تاريخ الثقافة العربية لحظة تكرارية ،لحظة تكتفي داخل زمانيتها المغلقة باستعادة الأولويات القديمة بدون أدنى تشكك في أسسها أو تحاول تكسير قوالبها[3] ،وكانت توصيفات هذه الجدلية هي الأخرى قائمة على مستوى الجامعة الجزائرية ،فالأستاذ الذي عيَن بدون تحقيق شروط الكفاية والقدرة ،وساعده على الولوج للجامعة مجتمع لا يفرق بين

1- مختار مروفل ،مرجع سابق ،ص147.

2- Djamel GUERID ,L’exption Algérienne. IBID.p288.

3- عمر الزاوي ،النقل ونقد العقل ،مرجع سابق ،ص ص48-49.

النث والسمين ،هذا الأستاذ –يقول الدكتور وليد المعاني-* لن يكون قادرا على الانتقال بالوعي الطلابي الأكاديمي والمجتمعي إلى آفاق أعلى لا يعرفها هو. لا يمكن مطالبة هؤلاء بإنتاج طلبة أحسن منهم ؛ففاقد الشيء لا يعطيه. لقد عبثت الإدارات الجامعية بالأنظمة الحاكمة للتعيين ،وطوعتها لخدمة أغراضها ،وبالتالي انعكس هذا مردودا سيئا على مستوى الطلبة. لقد قلت وفي أكثر من مرَة أنه قد ولج إلى الجامعات أشخاص ما كان يجب أن يدخلوا من بواباتها ،ناهيك عن التعيين فيها. وبالتالي ،فإن طالب الجامعة لا يختلف كثيرا عن طالب المدرسة. وهناك من يقول ،إن جامعاتنا ليست إلا مدارس كبيرة.[1] فهذا النموذج من النخبة التي أضحت تتوارثها فواعل الجامعة من الأستاذ إلى الطالب ،قد صنع من هذه الشائعية الهشة للعقل الجامعي "مثقفا مقلدا" لما هو سائد ثقافيا واجتماعيا ،وهو ما أصبح يصطلح عليه تمويها بـــ:"رداءة المناهج التربوية لا رداءة الذهنية الاستيعابية للمناهج ،وخطاب تأثير العولمة الثقافية على المجتمع لا خطاب نقد الذات المتفاعلة مع متغيرات العصر ،والتباهي بالاندفاع إلى بناء مجتمع المعرفة لا بالتعمق لفهم تركيبات المجتمع الأهلي المحلي أولاً ..الخ" ،ومن ثم فإن غياب التثاقف بين الأستاذ الجامعي والطلبة ،لاسيما الذين سجلنا درجة ميلهم إلى تنمية القدرات التفكيرية في فهم المعرفة ،والتشبع بالعلوم والتعلق بالثقافة والشأن العام ،قدَم على ضوء الفعل الممارساتي للترميق دلالات الحفاظ على تقاليد المثقفين وإعادة إنتاج نفس النمط من التفكير إن لم نقل نموذجا أكثر سوءً ،حيث بينت لنا إفرازات البحث في هذا الجانب أن الطالب الجامعي اليوم ،بات لا يرتبط بالأعمال الميدانية التجريبية في انجاز البحوث ،ولا يندفع إلى تجسير علاقته بالمصادر والمراجع العلمية ،التي تزخر بها المكتبات الجامعية في إطارها النظري (الاندفاع إلى المقروئية) ،وهو ما جعله فردا اتكاليا وعاجزا على تقصي وتمثل المعارف الجديدة التي تطرح خارج الجامعة ،بل ويصبح ذو بنية ثقافية استهلاكية لا منتجة ،وهو ما يعني أننا اليوم أمام فاعلين جدد ،علاقتهم بالجامعة ليست طموحة جدا ،فالعصر ليس عصر "أمثولة النخب العارفة" المعوَل عليها في قيادة قاطرة المجتمع ،لقد حيَدت الجامعة كما من ذي قبل في العشرية

*- أكاديمي وكاتب أردني.

1- تصريح مستمد من لقاء حواري مع الدكتور وليد المعاني ،أجرته :منى شكري ،الصادر عن المجلة الالكترونية "تذاوت" عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث ،العدد12 ،الرباط ،2015 ،ص62.

الأخيرة عن أداء أي دور مجتمعي أو تنموي ،فعهد إليها تكريس الرتابة وتجميد الوضع والاكتفاء بإنتاج الشهادات على حساب النوعية إنه عصر التصحر المعرفي والإبداعي الذي ينطبق على الجامعة اليوم.[1] الأمر الذي أدى إلى وجود خليط من "المثقفين" :شغيل مثقف ،مثقف موظف ومقلد ،ميداني ،مزيَف ،انتهازي ،بيروقراطي ،تابع ،زبون ،مستلب ،متعلم ،مأدب ،قارئ ،"فاهم" ،"شخصية" ،"مقلاة" ،...ولكن ..ليس هناك مثقف عضوي ،ليست هناك أنتليجنسيا نقدية ![2] فكل هذا الاستشكال يستوقفنا لمساءلة الطرح الموضوعي :هل يمكننا إنتاج المثقف النقدي عبر جامعة يشرف عليها نخبة شائعة؟.

والجدير بالذكر في هذا السياق ،أن معظم جامعاتنا العربية تفتقد لروح البنية التحتية لأن مناخها العلمي لا ينتج منتوجات علمية حقيقية [...] إنما وللأسف –يضيف البروفيسور معن خليل العمر- ،نحن في مجتمعنا العربي نفتقر لمثل هذه الأجواء العلمية الجادة لأن الأجواء الحالية الموجودة في مجتمعنا مازالت ملوثة [...] كل ذلك يجعلنا نقول بأن جميع معلوماتنا العربية هي كارتونية –إعلامية تسطع الثقافة عند طلبتها ولا تغرس عندهم روح التفكير بل تكرس عندهم آلية التحفيظ والترديد عن غيب ،لا تسمح لهم بالتفكير واستخدام عقولهم للاستنتاج والاستدلال. والمصيبة أن هذا العمل الذي يقوم به أصحاب الشهادات العليا والألقاب العلمية الرفيعة إنما يوضح لنا بأن هؤلاء المسؤولين من أصحاب الشهادات الرفيعة والألقاب العلمية الراقية وصلوا إلى ما وصلوا إليه بنفس الأسلوب الذي يقومون به ،أي أنهم يكررون ما قد تعلموه ،وهذه أكبر كارثة تفرضها المؤسسات الجامعية في الوطن العربي.[3] ومن هذا المنطلق فإن هذا الثالوث من النماذج النخبوية الكائنة داخل الحقل الجامعي في الجزائر ،بين ما هو مستلب ومغترب وشائع تعبر عن وجود معالم ومؤشرات التأزم الفعلي لإنتاج الطالب الملتزم ثقافيا ،وبذلك تؤكد على إحدى سمات وجزئيات المعضلة الأساسية للجامعة في إنتاج الجامعي المثقف الذي يمتلك وعيا نقديا للمجتمع ،فبفقدان الاستقلالية لدى "الأستاذ الجامعي" افتقد الالتزام عند "الطالب الجامعي" ،وبغياب ميكانيزمات الحظور التأثيري عند "الأول" غاب الاهتمام بالشأن العام عند "الثاني"

1- مختار مروفل ،مرجع سابق ،ص152.
2- عمار بلحسن ،مرجع سابق ،ص168.
3- معن خليل العمر ،علم اجتماع المثقفين ،مرجع سابق ،ص167.

،وبانعدام المرجعية الفكرية عند "المثقف السابق" ،تولد انعدام العطاء المعرفي والإبداع الثقافي عند "المثقف المشروع" ،وعلى مبنى هذا الطرح ،فلا محالة من التأشير أن تعدد صيغ هذا النموذج من الإنتاج التعسفي للوعي الجامعي ،وحسب ما تشير إليه تزايدات النسب الإحصائية للحركات الاحتجاجية داخل المجتمع ،لن تكون فيه هذه النمذجة إلا كتغذية لارتفاع درجة تأثيرها وفق آليات العنف المادي ،وإلا كيف يمكننا تفسير تعرض النخب الجامعية في فترة التسعينيات إلى القمع وإلى الاغتيال والتهجير مثلما وسبق أن رأينا؟ أليس ذلك نوعا من العقاب المجتمعي لهذه المؤسسة ،التي فشلت في بلورة ما يسمح للكل أن يحيا وفق قناعاته بشكل ديمقراطي تداولي يضبط فيه التمايز ،في ما بين الحيَز العام والحيَز الخاص بشكل مفكر فيه جيداً؟[1] ،وهو الأمر الذي يدفعنا إلى البحث في :أي نموذج من العلاقة المعرفية والاجتماعية تجمع هذين الطرفين على ضوء هذه الظروف وفي ظل التأثير التقليدي على الوعي الجامعي؟ وإذا كانت الأداة التواصلية القائمة بين الأستاذ والطالب داخل الجامعة هي مبنية على لغة المثل البدائية والرواسب الثقافية البيدولوجية ،فأي انتاجات ستفرزها هذه التخمينات في إطارها الارتباطي؟ ماهي أوجه تشكل هذه العلاقات في ظل اختلاف الدافعيات والمنطلقات المصلحية عند كل طرف؟ ماهي خصائصها؟ وماذا يُعنى بها في السياق الدلائلي الذي يكتنفها؟

1- مختار مروفل ،مرجع سابق ،ص148.

2- نموذج العلاقات الجامعية في ظل النسيج التقليدي للمجتمع :

تكتسي شبكة العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع ،محورا رئيسيا في تفعيل خصوصيات التركيبة الثقافية ،التي ينبني عليها رأسمال كل فرد بصوره المادية والرمزية ،كما تعز إلى تنميط مستوى التواصل الوظيفي ،الذي يتم نسجه مع بنية أفراد المجتمع ،وذلك من خلال تسيير وتنظيم أشكال التفاعل عبر معايير قيمية ،تشكل نقطة التقاطع على مستوى المثل ،وتنطوي ضمن مرئيات الحس المشترك عن طريق الترميز السلوكي ،الذي يتخذه كل عنصر داخل هذه الوتيرة ؛إلا أن عملية ابتذال المسار المعياري لهذه المكونات داخل أي جماعة يعد إخلال بالنظام العام في أساسه هو الآخر ،إذا لجأت كيفيات التسيير والتنظيم هذه إلى مبادئ خارجة عن المعقولية المسطرة بين الأفراد –بنوع من التعاقد الاجتماعي- ،والتي تتمثل بشكل جلي في العودة إلى النعرات الشخصية والاقبالات الذاتية ،التي تهدف إلى تبلور معالم الحرمان والسيطرة ،والإقصاء ،والعنف ،والتراتبيات والفوضوية ...الخ ،ولعل وجود هذه المؤشرات داخل هذا البعد العلائقي ،سيخرج فاعليته من إطارها الموضوعي العقلاني إلى جانبها الذاتي التقليدي ،خاصة إذا ما أمعنا النظر في محددات هذه العلاقات داخل الفضاء المؤسساتي ،الذي يفترض أن تحكمه الشروط التنظيمية والقانونية التعاقدية ،لاسيما ذلك الفضاء الذي تمثل جل خطاباته ومرجعياته وغاياته ،وجه من أوجه البناء الحضاري للمجتمع بشكل عام ؛وإذا كانت مؤسسات المعرفة (الجامعة تحديدا) كذلك ،فإن انطواء فواعل هذه الحقول على نفسها ،وتغذية تفريقاتها الكائنة بين مثلها ووقائعها ،قد يجعل من المجتمع الجامع لها يتخذ آلياته الخصوصية في توجيه بوصلة السلوكيات والثقافات الخاصة بالأفراد ،وهذا ما دفعنا في دراستنا لإشكالية إنتاج الطالب المثقف في الوسط الجامعي ،إلى التأكيد عن طبيعة الأدوات التواصلية التي تربط أفراد الأسرة الجامعية في الجزائر ،هل هي مرتكزة على متغيرات المعرفة العلمية المنشودة أم هي مبنية على المعطى المعرفي العامي كبقايا ثقافية؟

وعلى هذا الأساس ،أثبتت لنا مجريات الدراسة الاستكشافية ،أن دافعية كل من الأستاذ والطالب إلى ما أسميناه "بأداة التقويم" ،قد أزاغ المنظور الرمزي للمعرفة والبحث العلمي داخل الجامعة ،وأثار عمليات الخلخلة داخل النسيج الثقافي للحقل الأكاديمي بشكل أدق ،وعليه أظهرت حتميات الغياب التثاقفي الموضوعي بين هذه الفواعل بزوغ أطر اجتماعية تقليدانية للمعرفة الجامعية ،نظرا لاستحواذ منطق المحاباة على عقلانية التكافؤ عند الأستاذ من جهة ،وهيمنة العقل الريعي على النزعة الإنتاجية لدى الطالب من جهة أخرى ،وهو الأمر الذي يدفعنا في ظل هذه الجدلية القائمة بين الموضوعية والذاتية ،وبين العقلانية الحضارية والعقلانية التقليدية ،إلى استبيان نموذج العلاقات الجامعية على ضوء النسيج التقليدي الذي يحكم المجتمع ،سواء كان ذلك عبر طبيعة الحقل المعرفي أو من خلال نموذج الهوية الجامعية أو انطلاقا من أصناف النخبة الأستاذية ،التي مهدت إلى تطبيق مشاريع إعادة إنتاج نفسها ،وإعادة إنتاج نمط حياتها العام ،وبالتالي فإن التمييع القيمي للجامعة الذي كشفت عنه مرحليات البحث الميداني ،من خلال ماهية الأدوات التواصلية للتثاقف الجامعي في الجزائر ،والذي تبدت من خلاله عملية ما أسميناها "باستعارة الواجهة" ،قد ترتبت عنه نوع من السيماءات أو ما يسميه بورديو بمفهوم "الهابيتوس" حيث سلط هذا الأخير الضوء على ميكانيزمات اللامساواة الاجتماعية وظاهرة التمايز Distination في المراتب بين الشرائح الاجتماعية والشخصيات الفاعلة ويفسر تلك الظاهرة بالرأسمال الرمزي و ما يسببه من مظاهر التكيَف الاجتماعي للأفراد مع عادات وتقاليد شعب معيَن في إطار نسق من الاستعدادات الموجهة والمضبوطة [...] لاسيما وأن الخصائص العامة للهابيتوس يمكن أن تتوفر في القدرة على الاستمرارية والديمومة والبقاء والجاذبية والتأثير والتوجيه والمغناطيسية ،حيث يتم تقمصه والانخراط فيه من طرف الأفراد والمجموعات وتنتقل ملكيته وقابليته للاستعمال من طرف لآخر حسب تغير المهنة وعلاقات القرابة والمصاهرة والتجارة وإخضاع الفعل الذاتي والاعتقادات الشخصية إلى جملة من القواعد والتحديدات الموضوعية.[1] ومن ثم أرجعت لنا دافعيات التقويم لدى كل من الطالب والأستاذ اعتبارات

1- زهير الخويلدي ،نظرية الهابيتوس والرأسمال الرمزي عند بيير بورديو ،مقال صادر عن الموقع الالكتروني : www.arabtimes.com

الولاءات الشخصية ،التي تسيَر أفراد المجتمع الجزائري في قاعدته الشعبية التقليدية ،وهذا ما تؤكده مقولات المبحوثين التي مفادها: (في الجامعة هناك ولاء للشخص وليس للعلم ..إن طلبة الطرق الملتوية هم رواد الدفعات ..إن التقييم في الجامعة بات ينجح الفاشل ويفشل الناجح...الخ)[1] ،فهذه التغريدات الإجرائية التي بات يعيشها الطالب الجامعي في الكثير من الحالات ،قد خلقت لديه مؤشر من مؤشرات الحرمان ،الذي يمكن أن يمهد إلى اللجوء إلى العنف الجسدي أو المادي ،كرد فعل لهذا العنف المطبق عليه رمزيا ،حيث حدد عالم السياسة –تيودر قارتTudor GURT-* الحرمان ،على أنه قصور وتعارض بين توقعات الأفراد عن الأشياء وشروط الحياة التي يعتقدون أنهم يستحقونها وبين قدرات بيئتهم الاجتماعية ،فالحرمان في أبسط معانيه هو التفاوت السلبي بين التوقع المشروع للواقع والذي يؤدي إلى سيطرة ما يسميه (قارت) بالموقف الإحباطي[2] ،ومن هذه الزاوية ،يمكننا الإشارة إلى أن احتكار النسيج التقليدي للمجتمع للذهنية الأكاديمية في الجامعة ،هو تعبير عن إعادة إنتاج الفروقات التقليدية والتفاوتات الرمزية بين شرائح المجتمع ،مما يعني تبلور صفة "الأمية المستحدثة" ،التي تدل على إحدى انعكاسات اتخاذ الفرد نهج الأفكار الميتة ،وسلك الطرق التفكيرية الهشة على الرغم من درايته المعرفية المسبقة ببديهياتها الشكلية ومدلولاتها الضمنية ،حيث يعتقد بورديو أن فهم التباين الاجتماعي المتمثل في الفروق القائمة بين الناس والطبقات في المجتمع ،يشكل شرطا أساسيا لفهم اللامساواة القائمة في النظام المدرسي ،فالتفاوت في المستويات الاجتماعية والاقتصادية ،ينتج تفاوتا مجانيا في مستويات التحصيل المدرسي والتربوي. والمجتمع –كما يراه بورديو- يمثل فضاءً اجتماعيا فسيحا مبنيا على أساس العلاقات القائمة بين مكونات المجتمع ،والمجسدة في العلاقة بين أفراد المجتمع ومؤسساته ؛والأفراد في المجتمع يمتثلون للتوجهات الأساسية التي رسختها تنشئتهم الاجتماعية ،فالأوضاع الاجتماعية للأفراد ومواقعهم في السلم الاجتماعي –سواءً كانوا في مركز السيطرة أو الخضوع- تتحدد على تقاطيع الرأسمال الثقافي الاقتصادي والاجتماعي الذي يمتلكونه ،ويمكن القول بعبارة أخرى :يرتهن وضعهم الاجتماعي

1- مجموعة من المقولات المشتركة في السياق والمعنى مستمدة من المقابلات رقم: 03-05-14.
***- عالم سياسة بريطاني.**
2- علي سموك ،مرجع سابق ،ص52.

برأسمالهم الاقتصادي من جهة وبرأسمالهم التربوي الثقافي من جهة أخرى ،أي بمستويات تحصيلهم المدرسي وتأهيلهم الثقافي.[1]

وعلى مبنى هذا الطرح ،فإن الصنافة الداخلية المحايثة للحقل الثقافي في الجامعة الجزائرية ،تبرز مدى تأثير الثقافة التقليدية على العلاقات الاجتماعية والمعرفية بين الأستاذ والطالب داخل البيئة الأكاديمية ،حيث أبانت لنا معطيات التواصل أن حيثيات العودة إلى الموروث ،قد رسمل وجودهم الفعلي داخل المجتمع على أكثر من صعيد ،وعلى هذا النحو ،فإن كثير من المثقفين والمفكرين العرب المعاصرين يرى أن ثقافتنا العربية الحديثة والراهنة هي ثقافة تقليدية في جل مكوناتها. فيقول –فؤاد زكريا-* في هذا الصدد :الناس في عالمنا وبحكم العقلية التقليدية التي توجه خطاهم يدعون إلى التشبث بأكثر عناصر الماضي جمودا وتحجرا ،إنهم يلونون الماضي ويشكلونه على هواهم. إن التيار الغالب في كثير من الأقطار العربية في الوقت الراهن هو ذلك الذي يختار من التراث إلا أكثر عناصره جمودا. ويشير أدونيس في أكثر من مناسبة ،إلى هذا الأمر وخاصة في كتابه "الثابت والمتحول" حيث يرى أن العقل العربي عقل متبع لا مبدع ،وأن الثقافة العربية ثقافة إتباع لا إبداع. أما محمد عابد الجابري فكان قد توصل إلى أن العقل العربي استقال منذ مدة ،وأن مشاكل الحاضر في ساحتنا الثقافية الراهنة ترجع في جزء كبير منها –إن لم يكن في معظمها- إلى مشاكل الماضي.[2] وعلى هذا الأساس ،فإن اتخاذ الأستاذ الجامعي للحقل الأكاديمي كفضاء لاحتكار سلطة الفكر وسلطة التفاعل ،واستملاكه للهويات الوصائية المتمظهرة بين المركزية والأبوية والقبلية ،هو في الشأن ذاته استثمار طبيعي في الحفاظ على شرعية الوجود التأثيري داخل الجامعة ،ولا يتأتى هذا الاستحواذ المشهدي إلا بنسج علاقات تطعم هذه الرواسب الثقافية والأطر الاجتماعية للمعرفة ،ومن هنا ،يبقى الجدير بالذكر حسب رأي مالك بن نبي ،أن العلم يعطي امتلاك القيم التقنية التي تولد الأشياء ...والثقافة تعطي امتلاك القيم الإنسانية التي تخلق الحضارة ...فالثقافة تولد العلم دائما

1- علي أسعد وطفة ،الأداء الأيديولوجي للمدرسة في منظور بيير برديو ،مرجع سابق ،ص07.

***- مفكر وأكاديمي مصري.**

2- سمير إبراهيم حسن ،الثقافة والمجتمع ،مرجع سابق ،ص63.

،والعلم لا يولَد الثقافة دوما ...[1] ،إلا أن السمة الفارقة التي تصنع الاستثناء في هذا السجال ،هو توغل المادة التقليدانية في تحديد مواضع هذه التنمية المعرفية والارتقاء العلمي ،وهو ما بات واقعا معاشا في الحقل الجامعي محليا ،وفي هذا السياق لا يمكننا استظهار بوادر هذه الروابط الاجتماعية إلا بالبحث في أي نماذج ترتكز عليها هذه الأبعاد العلائقية؟ وما هي دلالاتها السوسيوثقافية؟

أ- العلاقة الشخصانية كتجسيد لقيم العصبية :

من خلال تحليلنا للواقع المأزوم الذي أضحت تعيشه الجامعة الجزائرية اليوم ،بين متغيرات الحقل الأكاديمي المجهض وتوصيفات الهوية الجامعية ،ومعطيات صراع الأضداد الرمزية بين الفواعل المكونة لأرضيتها ،ناهيك عن تلوينات النخبة المؤطرة المهترئة بتشوهات الفعل الوظيفي الذي يسيرها ،أنتجت لنا هذه الثلاثية من النماذج شكالة ملتبسة ،تتمحور عليها العلاقات الاجتماعية الجامعية ،والتي تفعَل الهيمنة التقليدية لهذه الجوانب أضحت إفرازاتها الواقعية ،تلعب دورا جوهريا في تأشير تمظهراتها ،حيث كانت أولى هذه البوادر متمثلة في نموذج العلاقات الشخصانية ،التي أظهر فيها الأستاذ الجامعي عملا مؤثرا ،كتعبير عن مولدات دافعيته للتقويم ضمن طبيعة اللغة التواصلية في علاقته بالطالب داخل فضاء التدريس ،حيث أكدت لنا سياقات التحليل أن عضو هيئة التدريس ونتاجا لنمطية الهوية التي بات يتسم بمقتضياتها الوصائية ،وانطلاقا من خصوصيته النخبوية تارة والشائعية تارة أخرى ،ظل يركز على تجسير منابع ارتباطاته على مغزى المحاباة والمحسوبية والعصبيات البدائية المتجذرة في العقل والثقافة العربيتين ،إذ بينت لنا لحظة الانزلاق القائمة من مستوى التقويم كأداة بيداغوجية إلى اتخاذها كتقنية اجتماعية تقليدية ،أن النمط الفوضوي يكون في الغالب وبالضرورة تعبيرا عن السلوك المركز حول الذات ،إذ فيه نجد أن كل فرد يحاول أن يحقق أهدافه الخاصة بطريقته الخاصة دون أي

1- مالك بن نبي ،من أجل التغيير ،دار الوعي ،ط1 ،الجزائر ،2013 ،ص54.

اعتبار للآخرين[1] ،مما يعني أن هذه الدافعية ضيقة الأفق في توصيل الكفايات التفاعلية بين الأستاذ والطالب كأطر اجتماعية للمعرفة ،هي في واقع الحال ،ممارسة لشخصنة العلوم وفق منطلقات الانتماء التقليدي الذي يحدد شخصية كل فاعل ،إذ أفرزت لنا تجليات الكشف عن الظاهرة سوسيولوجيا ،أن مفعول العصبية –بمفهوم ابن خلدون-* داخل الذهنية الذاتية للأستاذ الجامعي ،قد وضعه في صراع ضمني بين مدلول ما يصرح به علنا في سياق أطروحاته المعرفية التي تشرعن سلطته العلمية ،وبين مدلول ما يمارس إجرائيا بنوع من الرمزيات غير المنطوق بها ،أو هو جدل متناقض بين تمويهات الأستاذ الفكرية ومؤثراته المجتمعية ؛وبالتالي فإن معايير الإنتاج والتفوق الجامعي تختلف باختلاف القيم الثقافية والرمزية ،التي تنشأ عليها أجزاء العلاقات التفاعلية التي تحكمها ،ذلك أن قيم العصبية هذه لم تعد في الوقت الراهن حالة شادة في الإطار البيداغوجي للجامعة ،وإنما أصبحت أسلوبا في الحياة الذي تتسم فيه بيئته المعرفية بالنكوصية والثبات ،حيث يضطر المدرس أو المشرف بالنظر لازدحام الفصول وقلة الوسائل ،والسياسات الديماغوجية الشعبوية للوزارات الوصية التي تصب في محاباة الطلبة الأضعف والأقل جدية وانضباطا ،إلى التمشي مع العنصر الأضعف على حساب الأقوى ،أما الطلبة المتفوقون والأكثر جدية وتقدَما فقلَما يجدون العناية اللازمة ،فتخور عزائمهم وتخبوا مواهبهم ،وتكون النتيجة هي أن مستوى تكوين الطالب المتوسط يميل باستمرار نحو الانحدار والتقهقر.[2] ولم يتردد كل من بورديو وباسيرون في التأكيد على دور النظام المدرسي (الجامعة) في إعادة إنتاج اللامساواة الاجتماعية ،باعتباره نظاما يضفي الشرعية على اللامساواة الاجتماعية بين الطبقات ،بحيث يكون النجاح المدرسي في علاقة تفسير سببي واسعة مع الانحدار الاجتماعي. فآلية العنف الرمزي تجعل كل واحد مقتنعا بأن المكانة التي هو عليها إنما هي نتاج فقط لجدارته بشكل ينفي –تحت غطاء وخطاب جيداروقراطي**- آليات الإقصاء التي

1- الجمعية الأمريكية للصحة والتربية الرياضية والترويح بواشنطن ،تنمية العلاقات الإنسانية الديمقراطية ،تر:إبراهيم حافظ ،مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ،1969 ،ص68.

***- علامة تونسي المولد وأندلسي اشبيلي الأصل.**

2- محمد رفيق الطيب ،مرجع سابق ،ص291.

****- جداروقراطي (méritocratique) صفة تطلق على النموذج الذي يتم في إطار إسناد المكانة الاجتماعية والموقع المهني تبعا لأهلية كل فرد جدارته بالنظر إلى معايير موضوعية يمكن أن تشمل العديد من الفئات الاجتماعية من دون إقصاء بينهما لحساب البعض الآخر وهو ما يحاول أن يبرهن وجوده سكورين انطلاقا من دراسته للظاهرة البيروقراطية عامة.**

يتم إعادة إنتاجها داخل الحقل المدرسي بشكل يجعل دور المدرسة يتمثل أيضا في تكريس امتيازات الفئات المهنية[1] ،وهو ما يثبت مدى سيطرة العلاقات الشخصانية التي يشكل فيها الفرد المؤثر تقليديا داخل المجتمع ،عنصرا فاعلا في ترشيد التواصل العلمي (ظاهريا) ،كقرينة من قرائن المطابقة الحتمية القائلة :"أن السائد تقليديا في المجتمع هو سائد رمزيا في الجامعة" ؛فلا يخلق العقل وعيا مدنيا يضع المصلحة العليا قبل الفردية ،ويطرح المسألة العليا على صعيد الأمة ،قبل المصير الفردي أو الفئوي أو الطائفي –يقول برهان غليون- إلا بقدر ما يستطيع جهاز التعليم وإنتاج المعرفة أن يخلق هيئة مثقفة مستقلة عن السلطة وعن الطوائف والعشائر والأقطار والمناطق ،والتواريخ التي نشأت منها ،وقادرة على أن تفكر من زاوية المصلحة العليا العامة.[2]

ومن هذا المستوى ،يجدر بنا القول :أن ارتكاز الأستاذ الجامعي في تفاعلاته على معطى الرغبات الشخصية والوجدانيات الانفعالية ،لم يقدم للطالب الجامعي الجدي إلا جزئيات ما أسميناه "باليأس المعرفي" الذي ارتطم به هذا الأستاذ (المثقف السابق) تاريخيا ،حيث تبدى لنا ميدانيا ،أن المعضلة الإنتاجية للجامعة لكل ما هو عمق أكاديمي وموضوعي ،وتدليل بيداغوجي وإبداع علمي ،وتحرر ذاتي واستقلال فكري ،لم تؤتى نتائجها إلا بالقدر الذي تعمل فيه النخبة المكونة على التشبع الذاتي بهذه القيم ،فتسليطنا الضوء على صورة الأستاذ الشائع مثلا ،هي في واقع الأمر ،تأكيد على الجدل التنظيمي الذي غالبا ما يحدث في ما أسماه الباحث -جمال غريد- "بالعامل الشائع" ،حيث أنه في غياب المتابعة والمراقبة والمساءلة من جهة ،والحرص على السرية وهيمنة أجواء التكتم والتعتيم من جهة أخرى ،لا يمكن أصلا إرساء نظام موضوعي لتحفيز العاملين. الأمر يعود إلى التقدير الشخصي للمدير ،فإذا كان هذا الأخير من الجارين وراء الريوع فإنه سيشجع ويقوي ويقرب إليه من يساعده في ذلك ،في الوقت الذي يهمش فيه المنتج أو صاحب الأداء الجيَد ،الذي يصبح بعيدا عن الأضواء قلَما يلتفت إليه أحد ،هذا إذا أتيحت له النجاة من المضايقة والعقاب باعتباره يخل بالتوازن المعهود لنظام احتكار السلطة. هكذا يصبح نظام التحفيز عكسيا أي

1- عبد الرحيم حافظ ،الزبونية السياسية في المجتمع العربي –قراءة اجتماعية-سياسية في تجربة البناء الوطني بتونس- ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 ،بيروت ،2006 ،ص121.
2- برهان غليون ،مجتمع النخبة ،مرجع سابق ،ص20.

موجها ضد الإنتاجية[1] ؛وهو ما يمكن اسقاطه إجرائيا على وقائعية الطالب الجامعي داخل فضاء التدريس ،حيث أشار لنا أحد المبحوثين قوله في هذا الصدد :"بقدر ما تخلى الطالب عن مبادئه العلمية وأبرم علاقات ضيقة مع الأستاذ سيكون له نجاح أوفر"[2] ،فإذا كان من المعلوم ،أن الصالح العام له دواليبه التي لا يمكن أن تتعطل إلا أن المحسوبية تعرقل هذه الدواليب عندما تمكن من لا يستحق من التسلل إليها ليعمل عكس سير هذه الدواليب المحركة لعجلة الصالح العام الضخمة[3] ،وهو ما يقر عليه الكاتب –عدنان الصالحي-* في مقال له بعنوان –المحسوبية وإنتاج المأزومة- "لا نجانب الصواب إذا ما قلنا إن (المحسوبية) اليوم تعيش عصرها الذهبي".[4] وإزاء هذه النمذجة هناك حوائل عديدة ومتنوعة ،تؤكد مدى تجذرية هذا الشكل من البعد العلائقي داخل الحقل الجامعي. فما هي طبيعة هذه التفريعات؟ وفي ما يتمثل منزعها التفكيكي؟

1. العلاقة القرابية :من العائلة الطبيعية إلى العائلة الجامعية

مما تراءى لنا في هذه التغيرات والتبدَلات السلوكية ،التي شخصنة العلاقة الاجتماعية بين الفواعل الأكاديمية داخل الحقل الجامعي ،وهو أن الهيمنة التقليدية التي أزاحت الإطار العقلاني للمعرفة من موضعها الطبيعي أو الموضوعي ،إلى موضع آخر يحدده القانون الرمزي للمجتمع البدائي ،قد جعلت الخطاب التفاعلي بين الأستاذ والطالب يحتكم إلى المنطق القرابي ،الذي لا يقل خطورة عن السيطرة الوصائية التي فرضتها الذهنية الأبوية على الهوية الجامعية اليوم ،حيث أنتجت لنا انعكاسات الغياب التثاقفي صورة من صور البناء الاجتماعي المغلق ،الذي يحكم نمط الثقافة المجتمعية المشتركة بين الأفراد ،ومن ثم أضحت ضمنيات هذه العلاقة تحيل إلى العودة إلى الأصل الاجتماعي بمنطلقات عاطفية

1- محمد رفيق الطيب ،مرجع سابق ،ص262.
2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 14 ،بتاريخ :18-05-2015 ،التوقيت :[14:00-15:15].
3- محمد شركي ،المحسوبية والزبونية تدمير للمصلحة العامة ،مقال صادر عن الموقع الالكتروني :
http://www.oujdacity.net/national-article-29267-ar/national-article-29267-ar.html
*-كاتب وأكاديمي من العراق.
4- عدنان الصالحي ،المحسوبية وإنتاج المأزومة ،مقال صادر عن الموقع الالكتروني :
http://annabaa.org/nbanews/2012/02/141.htm

كشكل من أشكال العصبية ،التي بقدر ما كانت قرابة الطالب بالأستاذ موجودة سواء كانت دموية أو نسبية أو شرفية ،بقدر ما تكون امتيازات النجاح والتفوق الدراسي أكثر حضورا على المستوى الإجرائي ،وذلك عبر ما يسمى "بورثة الرأسمال الرمزي" أين تتمحور الصيغة العلمية لهذا الأخير ،في ما يرثه الأبناء على الأب "المؤسس" وأحيانا "الجد المؤسس" ،الذي يشق طريقه نحو أحد عوالم إنتاج المعاني [...] فيرثون العلاقات النافذة والأمان والثقة في أجواء العظماء ويرثون التقدير المسبق من تقدير محيطهم المسبق.[1] وبالتالي فإن إقبال الأستاذ لتمتين رأسماله الرمزي من جهة وإعادة إنتاجه على مستوى اللبنة الثقافية للطالب من جهة أخرى ،كتعبير عن تأثير الجذور الأنثربولوجية لكلاهما ،قد أشار عن لحظة انتقال تقليدانية في هذا الحقل الجامعي المجهض ،وذلك من خلال تجسيد فعل المطابقة من العائلة الطبيعية إلى العائلة الجامعية ،تختلف معالمها ظاهريا وتتقاطع باطنيا ،إذ أبان لنا أحد المستجوبين قوله في هذا الشأن ما مفاده :"إن الرداءة التي وقعنا فيها اليوم بالجامعة تكمن في أن كل المعطيات الخاصة بها أصبحت مرتبطة (ببني عميس)*"[2] ،فهذه المرتكزات التقليدية التي باتت أسلوبا في الحياة ،قد اقترنت في أوسع معانيها بالإطار السوسيوتاريخي ،الذي أثرت تراكماته المعرفية على الثقافة الفردية للفرد الجزائري ،فالتعاملات اليومية التي أصبح جلها مرتبط بمفاهيم عامية مثل :"الكتاف*" ،بني عميس ،هذا لينا**" ،...الخ" ،لم تستطع الجامعة بمبادئها التنظيمية وشروطها المؤسساتية وغطاءها القانوني ،أن تزيل هذه المخلفات الباطولوجية التي ما فتئت تشكل المغزى الفعلي لبناء أي علاقة رسمية ،وعلى هذا الاعتبار ،يقول –جاك بيركJAQUES BERQUE-***- كان حقل العلاقات الاجتماعية يتكون في الجزائر من القبيلة والفروع والعائلة. ومع انهيار القرابة الجماعية ،ارتفعت قيمة القرابة الفردية (القرابة الدموية المباشرة) وأضحت العائلة الموسعة ،بؤرة تتجمع فيها القيم الاجتماعية التقليدية ،وصارت من جراء ذلك منفذ المكونات

1- دلال اليرزي ،...فيما يخص توريث رأس المال الرمزي ،مقال صادر عن الموقع الالكتروني :
www.metrans parent.com

*- عبارة عامية :تدل على عصبية القرابة والمحاباة بين أفراد المجتمع على حساب الشروط التعاقدية داخل الفضاء المعيش.

2- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 09 ،بتاريخ :06-04-2015 ،التوقيت :[13:30-14:45].

**- كلمة عامية :تطلق على استعمال الطرق الملتوية والمحسوبية لتحقيق المطالب والحاجات الخاصة للفرد داخل المجتمع.

***- كلمة عامية: تبين مدى اعتماد الافراد على ذوي القربى واستعمالهم للعصبيات التقليدية في تحقيق الرغبات المصلحية.

****- عالم سوسيولوجي وانثربولوجي فرنسي [1910-1995].

الأخلاقية والدينية في المجتمع ،تلك المكونات التي أدت بالعائلة إلى القيام إلى حد ما بنفس المهام التي كانت منوطة بها في مرحلة ما قبل الاستعمار[1] ،ولا نكاد نعدو الحقيقة ،إذا ما سلمنا أنها تشكل اليوم حجر أساس في نسج مختلف العلاقات الفردية والجماعية ،التي تجمع أفراد المجتمع سواء كان ذلك بين الأشخاص أو بين المؤسسات ،ومنه ،تعد حيثيات هذه الشخصنة القرابية في تحديد أنماط التفاعل بين الأستاذ والطالب إلا عملية لإعادة إنتاج نفس النموذج من العلاقة في ظل سيادة التراتبية التواصلية كقيمة رمزية داخل الذهنية الثقافية لكل طرف.

وانطلاقا مما سبق ،يمكن القول إن آليات الحراك والأشكال التي يتخذها ترتبط بمستويات عدَة لعلَ أهمَها :[...] أن أنماط التنظيم الاجتماعي –في ثقافتنا- متمثلة أساسا في علاقات القرابة بمعناها الواسع ،إذ المكانة الاجتماعية تتحدد من خلال الانتماء إلى المجموعة التي إليها ينتمي الفرد ومنها ينحدر ،وانطلاقا منها أيضا ينظر إليه فكأننا بالنسب يلعب دور المسوَغ لمهاجمة الفرد المنافس في الصعود (ابن فلان...) أو دور المسوَغ للثناء على الفرد ودعم حظه في الصعود بمدحه :ذو نسب ،ابن عائلة (ولْدْ عايْله...) ...فكأنما تتخفَى علاقة ،ولو نسبية ،بين الأصل والوضعية الاجتماعية من دون أن نسلَم بأنَ الأوَل (الأصل) يحدد الثانية (الوضعية) ،لكن فقط تبقى الثانية غير منفصلة عن الأوَل في تمثَل المكانة وتوزيع الأدوار وحظوظ الصعود ،فالعائلة التي منها ينحدر الفرد في عنصرا مهما في تكوين الانطباع الاجتماعي عنه ،لكن يبقى بين أفراد العائلة الواحدة ترتيب (Classement) اجتماعي يميَز بينهم [...] وهذا يسمح بالقول بأنه يبدو وكأن هناك قرابة "معيشة" أي فاعلة في الواقع وفي الممارسة اليومية ،وقرابة "نظرية" يهتم لها النَسَابون في تسلسلها.[2] فهذه الثنائية التي أصبحت معتمدة في تبلور العلاقة الاجتماعية الجامعية بين الأستاذ والطالب تتجلى بشيء من الدقة ،في أن اعتبارات التقييم وحظوظ الصعود وتوفير فرص النجاح ،لم ترتكز على قرابته الطبيعية بالطالب فحسب ،وإنما تجاوزت طبيعتها إلى نسج "قرابة مصطنعة" تعود توصيفاتها إلى الطالب وأصله الاجتماعي واسمه العائلي أيضا

1- علي سموك ،مرجع سابق ،ص198.
2- عبد الرحيم حافظ ،مرجع سابق ،ص124.

،ففي ظل شيوع مؤشرات مجتمع الفرجة داخل الحقل الجامعي ،ظلت العلاقات التقليدية المبنية بهذا الشكل المطابق أو التقليداني ،تتأسس على واجهة اللقب بغض النظر عن المضمون المعرفي والعلمي الذي يطبع أدائه الأكاديمي داخل القاعة ،وهذا ما يدل على أن العائلة العربية بمختلف أشكالها من قبلية وعشائرية ،تقليديا وحتى الوقت الحاضر إلى حد بعيد ،هي نواة التنظيم الاجتماعي والاقتصادي ،فتكون بالتالي وحدة اجتماعية اقتصادية أساسية تتوقع من أعضائها ،كل بحسب طاقاته ونظام توزيع العمل المعتمد ،التعاون معاً والاعتماد على بعضهم البعض في جميع المجالات ،وذلك بالدرجة الأولى من أجل تأمين المعيشة ورفع مستوياتها وتحسين أوضاعها ومكانتها في المجتمع والدفاع عنها ضد أعدائها ،كما في تعزيز علاقاتها بأقاربها وأصدقائها وحلفائها من العائلات الأخرى.[1] وهذه الحالة العلية التي ترتبت عن غياب المثاقفة والتواصل المعرفي بين الفواعل الجامعية ،لم ترقى إلى استظهار الإرادة الجماعية والاستعدادات الذاتية ،التي تهدف إلى إنتاج معالم ومؤشرات الطالب المثقف ،الذي يجعل من المعرفة حلقة وصل بينه وبين المؤسسات التنظيمية من جهة ،وفي علاقته بأفراد المجتمع الكلي من جهة أخرى ،فمن باب انغلاق الحقل الجامعي وتغلغل تقنيات السيطرة والدكترة الرمزية للمخيال الأكاديمي ،وتجذر مواطن الاستلاب والاغتراب والشائعية في أكثر من صعيد ،تبقى اعتبارات الرجوع إلى الموروث والاستنجاد بالتقاليد والممارسات العرفية الميتة ،أمرا إلزاميا لضمان سيرورة التفاعل والتواصل الشخصي ،على حساب الانفتاح المؤسساتي والترابط العقلاني ،فكل بوادر هذه العلاقات الشخصانية القرابية ستتشكل بؤر أخرى أكثر اتساعا في مجال الروابط الاجتماعية ،وتحمل وعاء أكبر في فهم وتحليل مضامين هذا الغياب التثاقفي ،والتأكيد على مدى دافعية الأستاذ الجامعي إلى آليات المحاباة وتغييب فرص التكافؤ والمنافسة العلمية الجادة. وبهذه الكيفية يستوجب فحص هذه المسألة الشخصانية في أوجه عدَة ،فما هي خصائصها؟ وإذا كانت انعكاسات الدافعية المحاباتية لدى الأستاذ الجامعي تنطوي إلى العلاقة الشخصانية في أضيق مفاهيمها ،فأي إفرازات يمكننا استنتاجها حول المعاني العامة لهذا البناء الدينامي العلائقي؟ هل انحصرت الروابط الاجتماعية الجامعية بين الأستاذ والطالب إلا على العلاقة القرابية

1- حليم بركات ،الاغتراب في الثقافة العربية –متاهات الإنسان بين الحلم والواقع- ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 ،بيروت ،2001 ،ص70.

العائلية بوجهيها الطبيعي والمصطنع أم تعدَت هذا المجال التقليدي إلى ما هو أشمل ابيستيمولوجيا واجتماعيا؟ وإلى أي مدى يمكننا تفسير مدلولها العلمي في السياق السوسيولوجي؟

2. العلاقة العشائرية المستحدثة أو الرابطة الجهوية:

على اعتبار أن العائلة يمكن أن تمثل فعلا الحقل الحي الأكثر تمثيلية لتجسيدات النمط العلائقي السائد داخل المجتمع العربي...في إطار شبكة العلاقات القائمة بين العائلة والمجتمع ،وبالنظر إلى متغير توزيع الأدوار داخل العائلة وداخل المجتمع ،وطبيعة العلاقات التي تربط الفاعلين لكل منهما (العائلة والمجتمع على حد سواء) ،فإن نظام القرابة العربي يقوم أساسا على مفهوم القبيلة ،وهي ليست قرابة دموية فقط بل ممكن أن تستند إلى معيار الانتماء لجهة أو طائفة أو مدينة أو حزب ،فالقرابة هي أقرب إلى ما يمكن تسميته اليوم (بالعشائرية) حيث أن طريقة السلوك الاجتماعي [...] يعتمد على ذوي القربى بدلا من ذوي الكفاءة والخبرة ممن يتمتعون بثقة الناس واحترامهم[1] ،وهو الأمر الذي تم استنتاجه من خلال التأثير القيمي الذي ترتَب عن الغياب التثاقفي داخل الحقل الجامعي ،حيث أكَدت لنا مجريات الدراسة الكشفية للظاهرة سوسيولوجيا ،أن اندفاع الأستاذ الجامعي إلى اعتماد مؤشرات الانتماء التقليدي للفرد كمعيار للتقييم والتواصل المعرفي ،قد شكَل بوادر انبثاق معالم العنف الرمزي لدى فئة الطلبة الذين لا يمتلكون هذا الرأسمال الرمزي داخل الجامعة ،حيث أظهرت لنا تجليات البحث الميداني أن هذا التشبث بالرواسب الثقافية ،لم يتأتى إلا من باب العصبية القبلية التي تقترن بالشجرة الأصلية أو الأصل الاجتماعي للطالب ومدة علاقته بعضو هيئة التدريس ،وإنما ظهر هذا الاختزال في نموذج العلاقة الجامعية العشائرية المستحدثة ،والتي يمكن اعتبارها بذلك الحد من الانتماء والارتباط الذي يجمع الفرد بالمكان الجغرافي رمزيا ،واشتراكه قيميا مع الجماعة التي تحمل نفس الوجدان اتجاه هذه التبيئة

1- عقبة صالح طه ،دور المؤسسات التقليدية العربية في تقمص روح المؤسسة الحديثة –العائلة نموذجا- ،مقال صادر عن الموقع الالكتروني :
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=338731

،أما الآخر الذي يعد وافدا أو دخيلا عن هذه الرقعة ،فتعد ارتباطاته متلاشية أو هشة لضمان فرص الارتقاء القيمي داخل السلم الاجتماعي للمجتمع ،وهو الأمر الذي تأكد لنا من خلال أجوبة بعض الطلبة المستجوبين حيث أردف لنا أحدهم بنوع من الأسف والحسرة تعبَر عن حالة الضغوطات الرمزية المتداولة في الجامعة اليوم قائلا :"أنا الأستاذ ما يمدليش نقطة مليحة لابال مانيش ولد المدينة*"[1] ،فيما ذكر مقابل آخر جانبا أكثر تفصيلا في تحديد جزئية هذه الظاهرة بقوله :"بقدر ما كانت لك جذور بالمنطقة ستضمن نجاحك ،أما إذا كنت غريبا وتنتمي إلى ولاية أخرى فمستواك العلمي وعطاؤك البحثي لا يغيرون في الأمر شيئا"[2] ،فمثل هذه السلوكيات التلقائية هي باختصار ،امتداد لقيم بدوية تحضُ على تكافل ذوي القرابة في وجه الغير وتكريس مفهوم المشيخة كمصدر للحكمة [...] وهي قيم تتعارض مع ثقافة وآليات الدولة الحديثة [...] ودون استطراد يمكننا التعميم بأن السلطة (بأشكالها السياسية والثقافية والاجتماعية والرمزية...الخ) في الدولة العربية ظلت خلال نصف القرن الماضي أسيرة الولاءات العشيرية.[3]

وبالتالي ،فإن هذه الأمية الجديدة الناشئة على أنقاض المؤسسات المعرفية ،التي يفترض أن يتوافر فيها الطابع المؤسساتي بمعقولياته الإدارية والقانونية ،قد فتحت المجال لصعود درجات العنف واشتداد حالات الصراع الفعلي داخل الجامعة ،إن لم نقل ارتفاع نسب الجريمة على يد ما يمكن أن نسميهم "بالشريحة الواعية والفئة المتعلمة في المجتمع" ،مما يدل على أن ظهور هذا النموذج من العلاقات الشخصانية العشائرية بأوسع معانيها الطبيعية ،لم يكن وليد التقويم المباشر لما أسميناه "بمتغير الامتحان" فقط ،وإنما أصبح عبءً كذلك على مختلف المشاركات العلمية في الملتقيات ،التي باتت تعزل الطالب الجامعي عنها ،وإن كان هذا المؤشر يمس بشكل ضمني أولئك الطلبة الذين لهم مثل هذا الرأسمال الرمزي العشائري الجديد ،وكذا من زاوية أخرى ،ظل يمثل حاجزاً لهذه الفئة الطلابية الغريبة عن المنطقة في النجاح ضمن المسابقات الأكاديمية في مقاعد الدراسة ضمن مرحليات ما بعد

---

*- معناها باللغة العربية: "في ما يخصني فإن الأستاذ لا يمنحني علامة جيدة لأنني لست سليل المنطقة أو ابن المدينة".

1- تصريح مستمد من المقابلة رقم:01 ،بتاريخ :2015-01-22 ،التوقيت :[12:50-11:15].

2- تصريح مستمد من المقابلة رقم:05 ،بتاريخ :2015-02-25 ،التوقيت :[11:00-10:00].

3- محمد محمد المفتي ،بنية الثقافة وأزمة التحديث ،مجلي الثقافة العام ،د ط ،سرت ليبيا ،2008 ،ص61.

التدرج ،حيث بقيت هذه الطفيليات العلائقية تعبر عن مواصفات كثيرة ترمز لأصناف الطلبة داخل الحقل الجامعي الواحد مثل :(ولد البلاد* ،الجهوية ،القطاعية ...الخ) ؛وعليه ،تأكد لنا ميدانيا أن تمثلات التواصل في تجسير هذه العلاقة داخل الحقل الأكاديمي ،قد مهدت إلى معالم العودة إلى المفهوم الضيق للانتماء الذي ينفي المدارات الفكرية لمفهوم "المواطنة" أو "المواطنة الاجتماعية داخل حقل المعرفة" ،وهذا ما يحيلنا إلى الإقرار بتأثير باطولوجيات الفضاء الجامعي على سائر الجزئيات التوليفية المشتركة من جهة ،ومدى القصور الذي شهده المثقف في التاريخ الثقافي الجزائري من جهة أخرى ،أين يرى الباحث –ناصر جابي- أن الجزائر لم تنتج مثقفا مرجعيا واحدا وإنما أنتجت مثقف القطاع[1] ،فهذه الهالة التي أخذتها الخطابات المتعددة حول تشكل صورة المثقف ،جعلت الأستاذ الجامعي في الوقت الراهن يحتكم إلى الجهة أو القطاع على حساب مفهوم الوطن و المواطنية أو الجانب الكلياني في علاقته مع الآخر (الطالب تحديدا) ،وهو ما أدى إلى تنامي الأزمات والتوترات في إحداث بدايات التغيير ،على مستوى البنية التركيبية للمجتمع الجزائري عموما ،مادام أن مفاعيل الحراك الاجتماعي غير موجهة بالأساس إلى الصالح العام ،وإنما هي على النقيض من ذلك ،تستوفي دلالات كل ما هو مشخصن داخل الدائرة المجتمعية ،التي تجعل من الشأن العام يعبَر عن واجهة وليس عن حقيقة ،مما يعني أن غياب الإطار المؤسساتي القانوني عن تسيير وتنظيم العلاقات والتناقضات الفردية المتصلة في ما بينها ،يعزَ إلى انعدام ما أسماه –مونتيسكيو-Montesquieu** "بروح القوانين"[2] ،التي يعبر من خلالها عن مراعاة الخصوصيات المجتمعية التي ينبني عليها أي اجتماع بشري بالأساس لتحقيق أي فعل تواصلي بكيفيات علائقية منتظمة ،وفي هذا السياق المعرفي نفسه ،يشير –ش.ثيلوتC.Thelot-*** أن الحراك الاجتماعي هو الدراسة الوصفية التحليلية للعلاقات التي تشدَ مواقع الأفراد أو العائلات ،إلى البنى الاجتماعية مقارنة بما كان عليه السابقون وخاصة أن المراتبية داخل البنية الاجتماعية للجيل نفسه أو بين الأجيال لا يتم بصورة

*- معناه اللغة العربية "ابن المنطقة" وليس بمفهوم الانتماء الى الوطن وإنما الانتماء إلى الجهة أو القطاع.

1- تصريح مستمد من لقاء حواري مع السوسيولوجي ناصر جابي ،أجراه: احميدة العياشي ،الصادر عن مدونة الخير شوار : chouar.blogspot.com/2012/01/blog-post_23.html

**- مفكر ومنظر وفيلسوف فرنسي [1689-1755].

2- أنظر كتاب: مونتيسكيو ،روح الشرائع ،تر:عادل زعيتر ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة ،2013.

***- كاتب فرنسي.

عفوية. بل على العكس تماما ،حيث إن الموقع أو المكانة التي يدركها الفرد إنما هي في جانب مهم منها رهينة البنية الأصلية. لذلك تغدو دراسة الحراك الاجتماعي لديه هي "إثبات كيف تتحول المكانة الاجتماعية من السابقين إلى اللاحقين".[1]

ومن هذا المنطلق ،فإن اتخاذ الأستاذ الجامعي لآلية المحاباة ضمن خطاب التواصل ،هو في حقيقة الأمر دليل على هيمنة كفايات النكوصية على السلوك العلمي المتزَن داخل الجامعة ،وهو ما يمكن اقترانه بمدى احتكار السلطة الرمزية القبلية على الذهنية الثقافية عند هذا الفاعل ،ذلك أن سيطرة شيخ القبيلة على مجريات الفضاء ،كفيل بوجود حرية الاندفاع إلى المقرب من شخصه بخلفيات عاطفية وليست عقلانية ،وذلك بسبب فشل الفواعل الرئيسية للجامعة الجزائرية ،في بناء حيَز الحس المشترك أو العالم المعيش ،الذي تتوافر ضمنه أساسيات المعرفة والعقل العلمي ،والمناقشة وضمان حق الاختلاف ووجود صيغ التعاقد ،وتقبل الرؤى والتعارضات وفق دلائل الفضاء العمومي ،حيث منعها من الانتقال إلى تحقيق التنمية والتقدَم الإبداعي ؛وبالتالي أصبح إحدى المعيقات التي تمنع الجامعة من إنتاج الطالب المثقف ،الذي يمتلك وعيا نقديا للمجتمع ،لطالما أن فعل النقد داخل العلاقات الشخصانية ،يُدان صاحبه ليُقذف به خارج دواليب الحراك والتأثير داخل المجتمع أو ينعت بأنه مذموما قيميا على مستوى ضمير الجماعة ،ومن ثم ليس بالعسير على الملاحظ الحصيف أن يقر إجرائيا ،بأن سيادة هذه الإكراهات العشائرية المستحدثة ،وشيوع هذه الرابطة الجهوية داخل المخيال الاجتماعي الجامعي ،هو تمهيد لوجود قوى الصراع العصبي بين الكتل ،وعلى هذا النحو ،تبيَن لنا امبريقيا أن استناد الأستاذ إلى الصلات المشخصنة ذاتيا مع الآخر ،قد أدى بتشعَب الشبكات العلائقية من إطارها الطبيعي إلى بعدها الاصطناعي ،والتي تتشكل فيها هذه الروابط بفعل المصالح أو ببسط السيطرة على المركز أو إثبات شرعية الوجود داخل الفضاء ....الخ ،ومن هنا ،تبقى أحواز التساؤل في هذا الصدد مرتكزة على البحث حول: ما هي طبيعة هذه العلاقات الاجتماعية المصطنعة؟ وكيف ساهمت هذه الرابطة الذاتية في تغذية العلاقات الشخصانية الجامعية بين الأستاذ والطالب على وجه الخصوص؟ ما هي توصيفاتها السلوكية؟ وأي دلالات تستشفها؟

1- عبد الرحيم حافظ ،مرجع سابق ،ص118.

3. العلاقة التكتلية لتوسيع دائرة النفوذ الرمزي:

إتباعا لما تم التطرق إليه في تحليلنا السوسيولوجي لنموذج العلاقات الاجتماعية الجامعية ،التي أخذت طابع الأفكار البيدولوجية والممارسات التقليدانية ،نتاجا لما أعقب واقع المثاقفة بين الأستاذ والطالب ،جسدت لنا إستراتيجية الفهم الاستيعابي لهذه الظاهرة ،ميلاد طفرة جديدة من الروابط العصبية ،اختلفت صورتها من نمطها الذي يشكل معطى طبيعي –مثل ما ذكر آنفا- ،إلى شكلها المفتعل بمنطلقات شخصانية تحددها النزعات الوهمية الإيديولوجية ،أو الصراعات المصلحية ،أو النعرات البطولية المركزية بين الأساتذة الجامعيين أنفسهم ،حيث أظهرت لنا مؤشرات هذا الاستشكال من خلال ملاحظاتنا المباشرة ،أن العمق الإجرائي الذي بات يمثل طابوهات الجامعة الجزائرية اليوم ،قد اقتصرت مستجداتها الجزئية في صراع الكتل أو تشبك التكتلات ،التي لا تعبر في أساسياتها عن اختلاف فكري أو تعارض أيديولوجي ممنهج ،ولكن هي في الغالب تحتكم إلى سجال من الجدل ضمن ما أسميناه "بصراع الرغبات الشخصية" ،فهذه الشخصنيات المنتهجة في إطار هذا السياق المعرفي ،قد أعيد إنتاجه من خلال نموذج الروابط المعرفية ،والتواصليات الاجتماعية داخل صفوف الطلبة بنوع من التقوقع على الذات ،في إحداث ميكانيزمات التفاعل تحت طائلة ما يسمى "بتصفية الحسابات" بين الكتل ،وهو ما قدَم لنا ميزة أخرى من الإفرازات المعرفية-الاجتماعية ،التي تولدت عن فعل المحاباة والمحسوبية ،التي تمظهرت في دافعية الأستاذ الجامعي للتقويم بشكل أدق ،فهذا الانسياق المصطنع لبناء مرتكزات الرابطة العلائقية بين الأستاذ والطالب ،أثبتت لنا سوسيولوجيا مدى إقبال عضو هيئة التدريس لتوسيع دائرة النفوذ الرمزي داخل الحقل العام للجامعة ،من خلال استملاكه لشريحة الطلبة التي يعتقد أنها تعكس ميولاته الذاتية في شرعنة الصراع الشخصي ،بين المركزيات السلطوية التي تنبثق وسط الأساتذة ،فإذا كان المدرسون ،والجامعيون بشكل أكثر دقة :هم "النواة الأقسى" في تركيبة الأنتلجانسيا ،فإن ممارسة الوظيفة التربوية على ما يبدو ،هي أحد شروط الانتماء لهذه المجموعة. إن "كتلة المثقفين" ولتستحق هذا الاسم هي كتلة مؤلفة من مدرسين-باحثين هم رسميا من الجامعيين. ولكن ،وحتى في هذه المجموعة

المتجانسة والمتساوية ظاهرا (ألا نتكلم عن "أقران وأزواج"؟) فإن ثمة تراتبية قانونية أو انتظامية تحدد المجموعات الأدنى ،والشرائح والامتياز والوظيفة.[1] وعليه ،فإن هذه النمطية من التراتبيات إذا ما أدرجت تحت ضالة العصبيات التقليدية ،فإنها دون شك تحمل وجود أزمات في التعامل العقلاني بين الذهنيات التفكيرية ،التي يظهر بها المثقفون والجامعيون وصولا إلى الطلبة خصوصا ،بحكم أن ظاهرتي التقديس والإقصاء أفرزت العديد من الإشكالات الثقافية والمعرفية ،مثل ظاهرة التماثل في الفعاليات الثقافية وظاهرة الشللية الثقافية وظاهرة اللاتعددية في الفكر العربي ،وظواهر التناحر والتباغض التي لا تليق بالثلَة المثقفة أو النخبة والصفوة –التي هي كافتراض حتمي معرفي- هي لسان حل الأمة وضميرها الواعي ...بل وقضت على أبرز الملامح الثقافية ،وهي التعددية بالضرورة ولذَة التباين المعرفي وبهاء الاختلاف الثقافي ،في حين تفقد الثقافة قيمتها وروعتها ووهجها بانطفاء تعدديتها واشتعال اختلافاتها[2] ،من هنا ،يظهر لنا جليا أن هيمنة النسيج التقليدي للمجتمع ،وفق هذا البعد العلائقي التكتلي ،لم يتسنى فيه للأستاذ الجامعي إثارة أي حراك اجتماعي على مستوى منتوجاته العلمية ،في ظل عدم انعتاقه من البقايا الثقافية الميتة والأوهام الفكرية ،والطوباويات الثقافية الصادرة عن المجتمع. وبالتالي ،فإن استثمار النخبة المثقفة في هكذا مقتضيات ،لم تتضح دلالاته السوسيولوجية إلا من باب الاضمحلال ،الذي طبع العمل الإبداعي لديها ضمن السياقات الموضوعية ،ذلك أن البحث عن "الاعتراف" باعتباره ظاهرة ما "بين شخصية" سيسهم بتأمين الوساطة بين فردانية (وبعضهم يقول النرجسية والانسحاب) المثقف وبين سمة العمل الجماعية وظهور المثقفين في المجتمع الشامل بوصفهم مجموعة. وهكذا تتكون الجماعة الفكرية من شبكات تعارف وتبادل وشبكات تعامل وتبادل.[3]

وعلى مبنى هذا الطرح ،تم إعادة تشكيل نفس اللبنات التحتية ،في العلاقة الشخصانية التكتلية بين الأستاذ والطالب ،ليتم في الوقت ذاته مطابقة نفس الأفكار والسلوكيات التقليدية على ذهنية الطالب في علاقته ببقية الطلبة ،وهو ما دفع بهذا الفاعل إلى السقوط في جدل

1- جيرار ليكلرك ،سوسيولوجيا المثقفين ،مرجع سابق ،ص80.
2- سمير ابراهيم حسن ،مرجع سابق ،ص66.
3- جيرار ليكلرك ،مرجع سابق ،ص ص75-76.

الانتماء إلى نوع وطبيعة الكتلة ،التي يضمن من خلالها فرص النجاح والارتقاء العلمي والصعود الاجتماعي الرمزي داخل الجامعة ،وفق جدلية "توريث المنطق التقليداني" في مختلف حيثيات التواصل سواء مع الفرد أو مع الجماعة ،فإذا كان التعامل الواعي مع الثقافة والمعرفة والفكر ينبغي أن ينطلق من لا محدودية المعرفة ولا ثباتها ولا نمطيتها ...بل ينطلق من اتساع الثقافة لتشمل كل التيارات والتوجهات والمذاهب والتعدديات الثقافية والأيديولوجية[1] ،فإن قضايا التكتل على مرأى هذه الحتمية سيفعل لا محالة من آليات الإبداع والعطاء العلمي والزخم المعرفي ،ولكن اشتداده بالعواطف الزعاماتية الضيقة والكاريزمات السلطوية المركزية ،سيجعل من الانفتاح انغلاقا ومن التقدم تخلفا ومن الإبداع تحجرا ،وفيها يزحف الماضي إلى الحاضر كما يقول –ألفين توفلر-* حيث يكون التراث والتقاليد والجماعة مرجعية مجانية مسلَم بها[2] ،والدليل أن عالم المثقفين–يضيف عبد السلام حيمر*- عالم نفعي مغرض ،عالم صراع لا هوادة فيه من أجل الربح والمصلحة والمنفعة ،هو المفارقة التي يلاحظها بورديو في سلوكاتهم ومواقفهم بين كونهم يتخذون بكل يسر موقف تقدمية في ما يتعلق بالسياسة العامة لبلدانهم والعالم ،في حين يميلون إلى اتخاذ مواقف محافظة في كل ما يتعلق بالسياسة الثقافية عموما ،وبالسياسة التعليمية والجامعية على وجه الخصوص.[3] ومن هنا ،يظهر المنزع التمحيصي في فهم مخرجات هذه الظاهرة ،أنه من البديهي أن تكون دافعية الطالب إلى التقويم ،قائمة على فكرة العقل الريعي وازاحة الحس الإنتاجي في علاقته بالهيئة التدريسية ،ولهذا يمكننا اظهار حلقة الارتباط بين ثنائية عنصر المحاباة وإفرازاته الشخصانية –التي لعب فيها الأستاذ دور القائد وحاشيته أو مقربيه- ،وبين ازدواجية متغيرات البراغماتية والاستغلالية والانتهازية وما سينجر عنها من مؤشرات زبائنية –التي سيلعب فيها الطالب دور الزليم داخل الحقل الجامعي المجهض- ،وعليه يمكننا الإقرار بأن خصوصيات العلاقات الشخصانية وما تحمله من اعتبارات قرابية عائلية وعصبيات عشائرية جهوية وايهامات تكتلية ذاتية ،قد أعاقت الجامعة

1- سمير ابراهيم حسن ،مرجع سابق ،ص67.

***- سوسيولوجي وعالم مستقبلي أمريكي.**

2- المرجع نفسه ،ص62.

****- كاتب وسوسيولوجي مغربي [1952-2008].**

3- عبد السلام حيمر ،في سوسيولوجيا الثقافة والمثقفين –من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل الاجتماعي ومن منطق العقل إلى منطق الجسد (أو التطبيع)- ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،ط1 ،بيروت ،2009 ،ص256.

الجزائرية من إنتاج الطالب المثقف ،الذي يؤمن بعالم الأفكار وينفي عالم الأشياء وعالم الأشخاص –حسب تعبير مالك بن نبي- وعليه سيؤول بنا هذا السجال إلى التفصيل في استفهامات هذه النماذج العلائقية داخل الجامعة اليوم والتي مفادها :ما هي نوعية المضامين والسرديات التي خلفتها دافعية الطالب الجزائري للتقويم إذا ما تم حصرها داخل ما أسميناه بالنموذج العلائقي الاستزلامي؟ وكيف تبلورت هذه النظرة الزبائنية من طابعها التجاري إلى طابعها القيمي الرمزي داخل ذهنية الطالب الجامعي اليوم؟.

ب-العلاقة الزبونية كتجسيد لدعائم الندرة:

ارتبطت قرائن التقاطعات البينية ،التي استوحتها أزمة التثاقف بجل مولداتها النظرية والعملية ،بين القوى الدينامية المحركة لدواليب المعرفة والبحث العلمي في الحقل الجامعي ،بجدلية الندرة والقيمة لتثبيت مراكز السيطرة وتنميط مداخل الصراع ،حيث تمثلت أطوار هذه العملية في طبيعة الروابط الضمنية ،التي شكلتها دافعيات الطالب الجامعي لما أسميناه بـ :"فرص النجاح ،متغير التقويم ،محطات الصعود العلمي ،أشكال الارتقاء الاجتماعي ،ضمان المكانة الجامعية ،...الخ" ،وكانت لتمظهرات الولاء الشخصي والانسياق القيمي والتبعية المصلحية ،تأثير معياري في تنمية القدرات التفكيرية وتنوير الوعي الثقافي لدى الشاب الجامعي –لاسيما الذي يمتلك من الاستعدادات ما يؤهله لذلك- ،إذ بينت لنا الخلفيات التحليلية للدراسة أن المدبر في الاختيارات الذاتية ،التي أضحى يتبعها الطالب في مجاراته للأستاذ داخل الفضاء الأكاديمي للجامعة أو خارجه ،لم يكن نتيجة الاحتكاك المعرفي والمحاكاة الفكرية لتطوير الذات المتعلمة وتحريكها إجرائيا ،بقدر ما التمسنا أنه يعبَر عن فعل تقليدي تقترن مسالكه الباطنية بنموذج السلطة الرمزية الوصائية على مستوى المخيال القبلي بين الشيخ والمريد –ذكر آنفا- أين أصبح إقبال الطالب إلى الأستاذ مبنيا على باب المصلحة الخاصة ،التي أنتجتها تبعات العلاقة الشخصانية كتجسيد لقيم العصبية من جهة ،وشرعنتها اعتبارات الحياة اليومية المعاشة لدى الطالب الجزائري كفرد عادي في المجتمع ،التي أضحت فيها تجليات المنفعة والانتهازية والاستغلال ،تصوَر الدولة في الجزائر

بمسميات متنوعة مثل :"دولة الحانوت ،دولة الغنيمة ،دولة الريع ،دولة البقرة الحلوب ،...الخ" ،ومن هذا المنطلق ،اقتصرت مُثل السيطرة المركزية عند الأستاذ الجامعي ،في الاستثمار الرمزي في دعائم الندرة ،التي تزيد من تفعيل قيميته الوجودية المتزعزعة ،وتستمد مشروعية استمراريتها من مدى اتساع الوعاء الطلابي التابع لشخصه داخل الجامعة بشكل عام ،أين طرحت مقتضيات هذه التقاطعات البينية نموذجا آخرا من تفريعات التقليدانية ،الناجمة عن المتوارثات المتحجرة للنسيج الثقافي والاجتماعي للمجتمع الجزائري ،والمتمثلة أساسا في العلاقة الجامعية الزبونية (الاستزلامية) ،وهو ما يؤكد عليه –خليل أحمد خليل-* ،حيث يعرف الاستزلام بأنه نمط علاقات التبعية الشخصية ،التي تربط الزليم **"Le client"** بالمعزَب **"Le patron"** باعتباره سادنا يصبغ نعمته على من يشاء ،فالزليم سيقتطع لنفسه ليمنع على غيره في تقديم الخدمة بموجب الولاء الشخصي ،بحكم مصلحة متبادلة ليتحول الولاء لاحتواء كامل استنادا إلى ضرورة الطاعة المطلقة بحثا عن مرتبة ووجاهة جديدة وصعود اجتماعي[1] ،وهي ظاهرة –في السياق ذاته- تستند إلى مبدأ تبادل الامتيازات بين شخصين أو طرفين هما المعزَب والزَليم ،بما هما طرفان يتحكمان في مصادر ومصالح غير متكافئة ،يعد الأوَل مالكا لها ،والثاني طالبها في مقابل سلعة هي بمثابة مصلحة يمكن للثاني أن يوفرَها للأوَل. إلا أن أهم ما يميَز عملية التبادل هذه هو أنَها لا تتم بصورة عقلانية ،بل إنها على العكس من ذلك تستند إلى الأبعاد الشخصية العاطفية لإجراء عملية التبادل غير المتكافئ بشكل يحوَلها إلى علاقة تبعية ذات بنية أفقية بالنظر إلى المنفعة المتبادلة ،يقول كيني (Kenney) في ذلك :"الزليم هو ذلك الشخص الذي يضع نفسه في خدمة معزَب يكون على ذمَته ويقيم معه علاقة متبادلة" ،ولا يرتكز الاستزلام من حيث هو علاقة على العامل الشعوري كعامل محرك في إقامة علاقات تبعية ،بل إنه يرتكز أساسا إلى العامل الأداتي أي المنفعة المحققة والمتبادلة بين الفاعلين[2] ،ولعل المدبر في تمحيصنا لهذا الاستشكال داخل الحقل الجامعي ،يثبت محاصيل هذه التبدلات في كون أن الطالب (الزليم) انحصر طلبه الأساسي في أخذ التقديرات الجيَدة ،والعلامات التقييمية العالية

---

*- كاتب وأكاديمي لبناني.

1- خليل أحمد خليل ،العرب والقيادة ،دار الهدى للطباعة والنشر ،ط1 ،1999 ،ص43.

2- عبد الرحيم حافظ ،مرجع سابق ،ص262.

لضمان هدف اعتلاء السلم المعرفي أو تحقيق الإيجابي في تحصيله الدراسي كمعيار أوَلي ،أما نتائج هذه الدافعية على صعيد الأستاذ الجامعي فهي عملية ضفر لرأسمال رمزي متنازع حوله في موازين صراع القوى ،حيث أكَدت لنا تحليلات الإطار الاستقرائي والاستطلاعي لإشكالية البحث ،أن فكرة ترسيخ جزئيات العقل الريعي داخل المجتمع الجزائري ولدى الطالب الجامعي داخل الجامعة على سبيل الحصر ،قد انبثقت من جرَاء تشعيباتها من العمق التاريخي ،الذي تأسَست عليه الثقافة المجتمعية بعد الاستقلال ،حيث اقترنت التجربة الجزائرية –أثناء هذه المرحلة- بمفهوم دولة الغنيمة. بعد أن ترك المستوطنون الفرنسيون السابقون عشرات إذا لم نقل مئات الألوف من المساكن والعقارات التي آلت إلى الجزائريين ،إما عن طريق الشراء بثمن رمزي أو عن طريق الاستحواذ أو التوزيع المجاني من قبل الدولة ،ثم جاءت الاشتراكية فأحكمت الدولة قبضتها على موارد الانتاج ووسائله وفتحت في حقبة السبعينات من القرن الماضي للجميع باب الشغل –وغيره- على مصراعيه حتى أصبحت المصدر الوحيد تقريبا لدخول المواطنين الذين تحوَلوا إلى مستخدمين لديها[1] ،وهكذا أضحى معيار الامتياز وتدعيم رؤوس الأموال الطبيعية من قبل السلطة الحاكمة مرتبط بدرجة ولاء ومريدية كل فرد ،وبات مفهوم دولة الحانوت أو الدولة الزبائنية وثيق الصلة بدولة احتكار السلطة ،ذلك الاحتكار الذي لم يستثن المجالات الاقتصادية والاجتماعية ،كما أن مفهوم دولة الغنيمة لم يميَز بين الثورة والثروة أو بين الاستقلال والغنيمة ،فإن مفهوم دولة الحانوت لم يميَز بين الإدارة والملكية [...] أما المؤسسات العامة ومؤسسات الدولة فتتحوَل إلى مؤسسات يُغلَب فيها منطق الريعية الإدارية على منطق الخدمة العامة [...] وعلى الأساس نفسه تتم الترقيات كما يتم تبادل توزيع الامتيازات[2] ،هذا الشكل من التفاعل على مستوى الأجهزة العليا للدولة في الجزائر ،وعبر مراتب هياكلها الكبرى ،قد أعيد إنتاجه بشكل ثقافي رمزي على مستوى الذهنية العلمية لدى أفراد الأسرة التربوية والجامعية تحديدا ،ومما أقرَته لما الدراسة السوسيولوجية ميدانيا حسب متابعاتنا الملاحظاتية ،وهو أن منطق الولاء لمؤسسة الدولة أو ما سمي في فترة

1- محمد رفيق الطيب ،مرجع سابق ،ص333.
2- المرجع نفسه ،ص331.

الاشتراكية "بدولة البايلك"* ،والذي كان يتصارع فيه أفراد المجتمع لضمان أكبر قدر من الأرباح ورؤوس الأموال سواء كانت مادية أم رمزية ،كما كان طلبة الجامعة يتضاربون ويتجابهون من أجل أخذ مباركات الجهاز الأيديولوجي آنذاك ،هذا المنطق لم يعد اليوم في مختلف المجالات المتفرَعة عن المجتمع الجزائري ،يشكل أي تأثير في ظل غياب مفهوم الدولة حتى بواجهته (السلبية) أو تعريفه الشعبوي ،حيث أن ما بات موجودا راهنا هو شيوع منطق الولاء بمفهوم "حقي من الدولة" ،فلم تعد التبعية تعبَر عن ارتباط الفرد بالدَولة لامتصاص الريع ،بقدر ما أصبح يمثَل "قرصنة رمزية آنوية" ،إذ أبرزت لنا مقابلات البحث أن استزلام الفرد داخل الجامعة (اختياريا أم اضطراريا) ،لم يتأتى من باب الصراع الفكري بغية أخذ المعلومة أو التشبع بجديد المعرفة العلمية ،التي يفترض أن تسهر عليها هيئة التدريس ،وإنما هو صراع اتكالي وتناقض استهلاكي من أجل اختصار طريق الحصول على الشهادة وما تحمله من واجهة الامتياز العلمي والألقاب الإبداعية ،حيث عبَر لنا أحد الأساتذة المقابلين جانبا من هذا السياق بقوله :"هناك العديد من الطلبة لا نكاد نسجل لهم أي حضور في مقاعد الدراسة وأثناء الامتحانات نجد علاماتهم تفوق الجيَد !!"[1] ،فيما ذكر لنا أستاذ آخر من مستوى مختلف قائلا :"نعم هناك طلبة لا يقدَمون أي مجهود وبعد ذلك تراهم يقتربون من الأستاذ (باه يبلعلهم العام)"[2] ،أما أحد الطلبة المبحوثين فقد قدَم لنا وجهة أخرى في معايير التقييم أثناء مناقشات التخرج مستطردا :"مع الأسف إننا نرى أعضاء لجنة المناقشة وعلى الرغم من معرفتهم بأن الطالب لم ينجز تلك المذكرة أو الرسالة وقد يكون استجلبها من جامعات أخرى إلا أننا نصطدم بالعلامة الممتازة التي يتحصل عليها"[3] ،وعلى هذا الأساس ،يقول الباحث –فلاديمير ماكسيمنكو **VLADIMIR MAXIMENKO**-:"من الصعب رسم حدود اجتماعية دقيقة للأنتيلجانسيا الجماهيرية في البلدان المغاربية بسبب ما يحدث دوما من تآكل للأنتيلجانسيا من "فوق" ومن "تحت" [...] أما تآكل الأنتيلجانسيا من "تحت" فيتمثل في استيظاف العمل الفكري المرتبط بالاستعمال المنفعي للمهن "الأنتيلجانسية" بتحويلها إلى ميادين مربحة ،وبتدني مستوى النشاط

*- كلمة عامية روجت في الخطاب الشعبي الجزائري منذ الثمانينات تدل على التسيير العشوائي للشأن العام.

1- تصريح مستمد من لقاء حواري مع الأستاذ رقم: 01 ،بتاريخ :17-02-2015 ،التوقيت :[10:00-11:15].

2- تصريح مستمد من لقاء حواري مع الأستاذ رقم: 04 ،بتاريخ :17-03-2015 ،التوقيت :[13:00-14:20].

3- تصريح مستمد من المقابلة رقم: 11 ،بتاريخ :30-04-2015 ،التوقيت :[16:30-17:30].

الفكري.[1] ويشير بورديو في هذا الإطار ،إلى أنَ المصلحة أو الفائدة العلمية لا يمكن الحصول عليها. إلا بشرط أن نتخلى عن المصلحة أو الفائدة الاجتماعية ،وأن نحذر من مغبة استعمال العلم أو نتائج العلم في محاولة تحقيق النجاح الاجتماعي ،في الحقل العلمي[2] ،لاسيما وأنه في دائرة هذا الفضاء المفعم بالصراع الاجتماعي ،يمتلك النظام المدرسي منطقه الخاص في عملية إنتاج وإعادة إنتاج الأوضاع الاجتماعية القائمة حيث يعمل على توزيع الأفراد وتصنيفهم وفقا لرأسمالهم الثقافي. فكل نظام تعليمي مؤسساتي يمتلك سمات خاصة تتعلق ببنيته ووظيفته ،بحيث يكون قادرا –بما يمتلكه من وسائل وأدوات- على إنتاج وإعادة إنتاج الشروط الأساسية لوجوده ،وهذه العملية تمكنه من تحقيق مبدأ الاستمرارية الذاتية في عملية إنتاج نفسه كمؤسسة قادرة على أداء وظيفة التطبيع الثقافي والتربوي في المجتمع ،وتأسيسا على هذه الصورة فإن عملية إعادة الإنتاج هذه تسهم في تشكيل وتوليد العلاقات الاجتماعية القائمة بين الطبقات والفئات الاجتماعية (إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية)[3] ،ومن هذا المستوى تبيَن انتاجات هذه الدافعيَات المتضاربة بين الأستاذ والطالب لمتغيَر التقويم كعتبة أولية في تحقيق غايات "الصعود الواجهاتي المعرفي" (عند الطالب) و"الصعود الواجهاتي الاجتماعي" (عند الأستاذ) ،أن الغياب الفعلي للتثاقف الجامعي بما أفرزته من نماذج علائقية تقليدانية محوصلة من النسيج الماضوي للمجتمع الجزائري ،يتمثَل في شقَه الآخر في "انعدام الثقافة المؤسساتية" كصفة مثُلية على مستوى الذهنيات الثقافية للفواعل الأكاديمية ،وكذا بمثابتها فعل دياليكتيكي في تحقيق الحراك الثقافي داخل المجتمع بشكل عام ،بحكم أن المؤسساتية منطقيا تفترض الدخول إلى العلاقات التقليدية وفرض قيود عليها وتبرز بصفتها الوسيلة الأولى للتغيير الاجتماعي التقدمي[4] ،وفي هذا الصدد يقول –جون لوك-* منذ القرن السابع عشر :"حينما ينتهي القانون يبدأ الطغيان وذلك عندما يتجاوز القانون إنسانا ليؤذي إنسانا آخر".[5]

1- فلاديمير ماكسيمنكو ،مرجع سابق ،ص93.
2- نسيمة مخداني ،الجامعة الجزائرية بين الأصالة والمعاصرة ،مرجع سابق ،ص59.
3- علي أسعد وطفة ،الأداء الأيديولوجي للمدرسة.. ،مرجع سابق ،ص08.
4- سمير إبراهيم حسن ،مرجع سابق ،ص304.
*- "John Locke" فيلسوف انجليزي [1632-1704].
5- المرجع نفسه ،ص305.

وفي خضم هذا التحليل ،يمكننا القول :أنه إذا كان التعليم العالي يخضع بطبيعته للمعايير العلمية ،وهي الموضوعية لا مجال فيها للمحاباة والتدخلات الإدارية. فإنَ المس بمعايير الصدق والجدية والعمل الدؤوب وعدم التحيَز والاعتراف بالخطأ وما أشبه ،لا يعني مجرد الإساءة إلى التعليم العالي فقط ،بل يعني تدمير نواته التقنية ومصادرة مصداقيته وإخراجه عن جادته (ليس هناك على سبيل المثال بحث علمي شكلي أو شعبوي أو متحيَز). المعايير التي أخضع لها التعليم العالي سواء كانت إدارية أم تجارية تفتقر إلى الموضوعية ولا تصب في الغالب في مصلحة التنمية. بدلا من أن يلعب التعليم المذكور دوره الطبيعي في ترسيخ وحراسة قيم الصدق والموضوعية والمصداقية ،فقد أسهم اقترانه بالمعايير الوصائية والإدارية السائدة في تقويض ذلك كله[1] ،مما جعل الجامعة الجزائرية بشيء من الدقة تمثل –مثلما أشرنا سابقا- واجهة مؤسساتية بصورتها التحديثية وتتعيَش بنمط تقليدي بيدولوجي ضمنيا بطابعها النكوصي ،فمما أقرته طيات "مجتمع الفرجة" يعبر في أساسياته ،أن العلاقة الجامعية بين الأستاذ والطالب في الجزائر راهنا ،أثبت فشله في تنمية وتطوير الذهنيات الفردية لأفراد المجتمع ،وفشل كذلك في بناء المؤسسات التي تستند إليها الأطر العقلانية القانونية والثقافات الخصوصية المعاصرة والعلاقات الاجتماعية التعاقدية ،فهذا الهاجس الفكري الذي بات يعيق العقل الجزائري بشكل خاص ،والعقل العربي عموما ،لم يتحرر من أفكار تجسيد المشاريع الأسطورية داخل الواقع المعاش في الوقت الحاضر ،وهو ما عجل في تنفيذ بوادر الحتمية الاجتماعية ،التي أشار إليها الباحث –جمال غريد- حيث قال :"إن لم نساهم في تغيير وتفعيل متغيرات المجتمع سيسير المجتمع من تلقاء نفسه ويفرض علينا شروطه"[2] ،وهو ما يعزز رأي -زكي العليو- عندما يقول :"...فمثلا في المجتمعات العربية نجد أن المثقف ينتقد العائلية /القبلية /العشائرية /الطائفية /ولكن قد تمارس عليه ضغوطا من مجتمعه فيتماهي معها ،أو أنه يرى أن مصلحته تتطلب هذا التماهي ،أو أن ينتقد أحدها بينما يتماهى مع غيرها ،وأحيانا يقع المثقف في فخ "عدم الصدق مع النفس" فكلامه ينبئ أنه ضد المحسوبيات والوساطات والرشا ولكنه يمارسها واقعا ،بل أحيانا لا يستطيع الاستغناء عنها

1- محمد رفيق الطيب ،مرجع سابق ،ص354.
2-عبارة مقتبسة من محاضرة : جمال غريد ،مقياس الأسس الثقافية للمجتمع الجزائري ،السنة الأولى ماجستير ،مشروع :ثقافات ومجتمعات ،بتاريخ:04-06-2013 ،كلية العلوم الاجتماعية ،جامعة وهران ،الجزائر.

ولاسيما إن كان من أصحاب العلاقات في المجتمع وأصحاب المصالح التي لا يستطيع الاستغناء عنها ،بل قد تكون حياته العملية قائمة عليها ،وبالتالي لا يمكن لمثقفين يتمثلون هذه الصورة تحريك مياه المجتمع الراكدة بهدف القضاء على جراثيم أو مُمرضات تشغل هذا الركود كي تنتشر"[1] ،مما جعلهم حسب تعبير –عمار بلحسن- (أي المثقفين) يمارسون نشاطهم الفكري-الثقافي في ظروف اجتماعية ومؤسسات ثقافية تحكمها علاقات وقيم الرداءة والاستلاب والتبعية وانعدام التفكير الحر والديمقراطية ،والمصلحة والانتهازية ،وسيطرة المجتمع السياسي والدولة على الحياة الاجتماعية والثقافية والمجتمع المدني. إن ما يوجد في الجزائر هو مثقفون في وضعية متحجرة تاريخيا نتيجة للتدمير الثقافي الاستعماري للبنيات الاجتماعية والثقافية ،ومتشظية حاضرا ،لعدم وجود نسيج ثقافي-فكري متبلور ومنسجم ،ومتفتتة لعدم اكتمال ونضج التركيب الاجتماعي والطبقي في المجتمع الجزائري ،وفاسدة لسيطرة قيم البيروقراطية ،المصلحة الشخصية ،الاستعلاء ،الصمت ،الانتهازية ،البزنسة الزبائنية ،التبعية المبنية على قيم الجهوية والتكتل القبلي...الخ.[2]

فأمام هذه الحالة العلية المنبثقة داخل الذهنية الجامعية الجديدة ،يحسن بنا أن نطرح في هذا الموطن حقيقة مفادها :أن هذا النموذج من العلاقات الجامعية المتوارثة اجتماعيا في ثنايا النسيج التقليدي للمجتمع الجزائري ،يمثل إحدى أهم اللبنات الرئيسية المتحكمة في إعاقة إنتاج الطالب المثقف ،الذي يمتلك وعيا نقديا للمجتمع ،ويمتلك إلتزاما ثقافيا في ظل مختلف التحديات والظروف المجتمعية المحيطة به ،ويمتلك كذلك حس أكاديمي واجتماعي للاهتمام بالشأن العام الذي يكونه أفراد المجتمع عموما ،فغياب الحراك الثقافي والمعرفي داخل الحقل الجامعي بين الأستاذ والطالب ،هو غياب حتمي للحراك الاجتماعي داخل الحقل المجتمعي بين الشاب الجزائري وباقي جزئيات المحيط أفرادا ومؤسسات ،بنى ومنظمات ،مثُل وممارسات ،...الخ ،ومن هنا ،تكمن معضلة الجامعة في إنتاج المثقف المجتمعي ،وتكمن معضلة المجتمع في استيعاب الفكر الجامعي.

1- زكي العليو ،مرجع سابق ،ص ص101-102.
2- عمار بلحسن ،مرجع سابق ،ص168.

- **خاتمة:**

من جملة ما تم إبرازه إجرائيا ،على ضوء ما جاء في مسارات هذا الفصل التحليلي ،الذي استحضرنا فيه مختلف اللامنطوقات المعرفية والاجتماعية ،التي تمخضت عن المولَدات الدينامية لأزمة التثاقف داخل الجامعة الجزائرية ،هو ذلك "الفراغ الحصري" "le vide de bricolage" ،الذي مهَد لتحديد بارومتر الحراك الفكري على مستوى المجال الأكاديمي تحديدا ،حيث أوجدت لنا حيثيات الدراسة السوسيولوجية نقدا وتحليلا ،حالة من الأنوميا الوظيفية للنخبة الجامعية المؤطرة ،نتاجا لطبيعة السياقات التاريخانية التي نشأت عليها في ظل الانتكاسات المتعاقبة ،التي شهدتها مسألة البناء الحضاري والمؤسساتي لمشروع المجتمع في الجزائر منذ ما قبل الاستقلال ،لاسيما من خلال نمطيات التواصل التصارعي التي استلهمتها ثنائية السياسي والمثقف في التاريخ الثقافي الحديث والمعاصر ،حيث كان لهذه الإرهاصات تأثير اعتباطي على شكل وطبيعة الإنتاج النخبوي للطالب الجامعي اليوم ،أين كشفت لنا مستجدات التحليل الجزئية ،أن انحصار عضو هيئة التدريس ضمن اشتغال اللعب الاجتماعي ،في نوع من النمذجة المستلبة تارة والمغتربة تارة أخرى ،قد قيَد مهمة التفكير المستقل الذي يحرر الذات الفاعلة لدى الطالب بشكل خاص ،كما ولَد لديه حالة من العزلة الاجتماعية في اهتمامه بالشأن العام للمجتمع بشكل عام ،ذلك أن الوصاية السلطوية التي شكلت نموذج النخبة الجامعية اليوم ،استدرجت الشاب الجامعي إلى بناء نوع من "السجن المعنوي" ،بصورة اعتيادية من الحقل الجامعي إلى الحقل المجتمعي ،ولم تكتفي هذه النخبوية الوهمية بفكرة الاستلاب والاغتراب ،وإنما أثبتت لنا إستراتيجية انتهاج الخرافة العددية على حساب التنمية العلمية النوعية ،نموذجا مختلفا من النخبة المترتبة -من خلال أسلوبية تواصلها مع الطالب على فعل الترميق- عن دلائل الحقل الشائع ،فأنتجت بالنمط ذاته أستاذا شائعا ،ومن تم بقيت مهمة الشرعنة التأثيرية في توريث هذا المشهد الجامعي ،مقترنة بمدى إنتاجيات الأداة التداولية ،التي تفعل علاقة هذه الذهنيات ببعضها البعض ،حيث خلفت الارتباطات التواصلية الجامعية على ضوء هذا النسيج التقليدي للمجتمع الجزائري عدة نماذج تقليدانية ،تباينت بين خصوصيات كل دافعية فردية مستوعبة للغة التقويم عند الأستاذ والطالب على حد سواء ،أين تجسَدت حالات العلاقات الجامعية

الصادرة عن عضو هيئة التدريس ،في تأثير الحس العصبي التقليدي على الممارسة العلمية للعمل الأكاديمي ،مما انجر عنه انبثاق ثالوث من الشخصانيات العلائقية ،انتقلت من معطياتها الطبيعية البدائية إلى كفاياتها الاصطناعية المستحدثة تقليديا ،أين ظهرت بشكل جلي في العلاقات القرابية والروابط الجهوية والتكتلات الوهمية ؛هذه الاجرائيات التي خلفت دلائل "اليأس العلمي والركود الثقافي والجود الفكري" لدى البنيات المبنية للذهنية الطلابية ،أفرزت هي الأخرى ردودا فعلية في تنسيج هذه العلاقات المأثورة ،وذلك من منطلق انتهاج الطالب الجامعي لآليات الرابط الاستزلامي كتجسيد لقيم الندرة ،التي فصلناها في (النجاح العلمي والصعود الاجتماعي والتمركز المكاناتي ...الخ) ،فكل هذه الحيثيات النموذجية المتفرقة توحي إلى مدى إعاقة العملية التثاقفية المغيَبة للحراك المعرفي في الجامعة الجزائرية ،والمستوحى أساسا من المعضلات التي ألمت بهذا الحقل في إنتاج الطالب الأكاديمي المثقف الذي سيزيد هو الآخر من ضآلة الحراك المجتمعي التغييري في الجزائر بشكل عام.

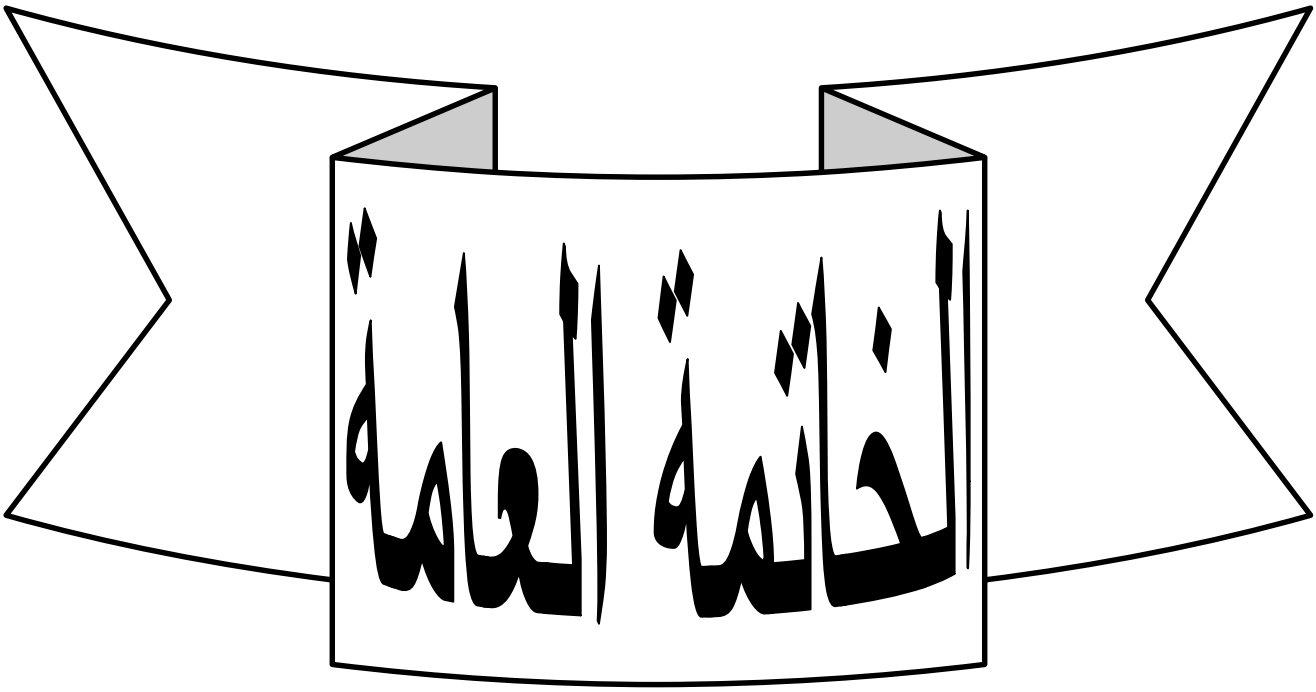
الخاتمة العامة

الخاتمة العامة:

إن التحدَيات الكبرى التي أصبحت تواجه الجامعة الجزائرية راهنا ،تتمثل في قوة الأرضية الثقافية ،وتسارع العملية التعليمية عالميا ،ومدى تلاشي الاستراتيجيات التوافقية في رسم الخطط التنموية ،والمشاريع الفكرية والبرامج والمناهج المعرفية بغية اللحاق بهذا الرَكب الحضاري ،الذي باتت تظهره أحدث الدول نهوضا من براثن التخلف ،وتحررا من قيود الاستعمار والامبريالية ،وتبدوا المشكلة الأكبر لو تطلَعنا إلى متغيَرات المستقبل ،وما يمكن أن تؤول إليه الأجيال الصاعدة ،في ظل تزايد أزمات الصراع والتوتر بين أنظمة العالم ،من أجل بسط السيطرة على نفوذ المجتمعات ،من تقوية جبهاتها الدَاخلية إلى تحصين عوالمها الخارجية ،ولا بأس أن نشير ،أنه لا يكاد يختلف اثنان على أن حالات السَبات ،التي بات يعيشها المجتمع الجزائري اليوم ،وتردَي ماكيناته المعرفية والعلمية على مستوى المنظومات التربوية والجامعية ،قد خلقت فهما عقيما بمختلف المؤثرات والصدمات ،التي أضحى يتلقَاها في تفاعله مع متغيَرات العصر بمطبَاته وطفيليَاته ،وبالتالي فإن المتأمل لأزمة الجامعة الجزائرية في الوقت الحاضر ،يتيقن أن شدَة الانقساميات التي أصبحت تهدد البنية المتصلة بين الباحث والمعرفة ،وبين النخبة والمجتمع ،قد اتسعت هوتها المتشظية لتزعزع جل المؤسسات الفاعلة في تحريك دواليب المجتمع ،بشتى منتوجاتها سواء كانت بشرية ،ثقافية ،سياسية ،اجتماعية أو اقتصادية ...أو غيرها من القطاعات ،التي يمكن أن تسلط الضوء على طبيعة المشروع المجتمعي المنتهج في تحقيق النقلة النوعية ،وهو ما يدفعنا إلى تصويب المنظور العام للمهام الموكلة بالجامعة المعاصرة اليوم ،من الرأي المستفيض في العمل على تخريج أكبر عدد من الطلبة النظريين وفق عامل الإنتاج الكمي ،إلى توسيع منطق الفهم الجذري لدلالات المثاقفة وعمليات التواصل العلائقي ،بين الذهنيات والذَوات الفاعلة في مجالاتها المحلية لتطوير توليداتها على نطاق شامل ،ومن هنا يجدر بنا القول ،أن الطرائق التي تقتضيها تجربة البناء الحضاري في المجتمع الجزائري ،لن تنجح تطبيقاتها العملية إلا بالقدر الذي تحققه في مشروعها الأنسني ،بين أفرادها ومؤسساتها وبين ثقافاتها ومجتمعاتها المصغَرة ،ذلك أن متابعة التطور الفكري والثقافي الساري في جل المجتمعات ،لا يمكن أن يكون له أي تأثير إلا نظير ما تفرزه مؤسساته العلمية والجامعية

،من حقول وفضاءات لتفعيل مصادر الإنتاج ،وتقوية الطاقات البشرية لتمحيصها بالنقديات الإبداعية المتنوعة.

إن مطلب إعادة النظر والتفكير في متون ومقتضيات الجامعة في الجزائر ،بالموازاة مع ما تلعبه من دور في وجود أعداد هائلة من الطلبة -سواء أولئك الذين ما فتئوا على مقاعدها ،أو الذين أصبحوا أحد مخرجاتها- ،قوامه التشريح العلمي وقياس مستويات النقاش العام ،حول مدى إرادة وتطلعات قوى المجتمع إلى بناء ما يسمى بالمجتمع الجديد ،بغض النظر عن التجربة الحديثة التي اتخذتها هياكل التعليم العالي والبحث العلمي ،في سبيل ما يسمى بتشكيل مجتمع المعرفة ،ووفق مناهج ونظم حديثة التي تسمى "بمشروع **LMD**" ،فالواقع الفعلي الذي يظهر لدينا على مستوى الممارسة ،يؤكد على أن أزمة الجامعة في الجزائر هي أزمة بنيوية توليدية ،فلا هي تداركت لبس الذهنية التفكيرية التي تسعى إلى تكوينها ،ولا هي أيقنت ضرورة فهم حتميات التَذاوت ،التي يفترض أن تستلهم بعدها العلائقي مع من يكوَنها ،كمنطق مفصلي في تحضيرها لدخول غمار المجتمع ،بجل اختلافاته وتناقضاته المتعددة والمتنوعة ،من خلال رصيدها العلمي والاجتماعي والرمزي ،وبالتالي ،فإن نزوع الرؤى المثالية المرتسمة في المخيال الشعبي حول الجامعة الجزائرية ،وخاصة في ما مضى ،لا مناص من القيام بتجسيده على نطاق السلوك أو تغييره بالحس العملي ،إلا بالقدر الذي تباشر فيه حتميات المثاقفة والمثاقفة النقدية المغيبة ،داخل فصول الحقل الأكاديمي اليوم بين الأستاذ والطالب الجامعيين ،حيث تأتي خلاصة هذه الدراسة كمجهود علمي يروم الإسهام –إلى جانب الدراسات السوسيولوجية الأخرى التي تناولت ظاهرة الجامعة والمثقف في الجزائر- إلى أن اعتمادنا على الرباعية الشرطية للتثاقف الجامعي ،على مبنى مرجعيات التواصل الهابرماسية ،والتي تجلَت في خصوصيات الفضاء المعرفي ،وكينونة الموقع الجامعي ،ومحددات البراديغم التشاركي ،وآليات التواصل التداولي ،قد شكَلت متونها الامبريقية نوع من التقهقر في سياقات المثل والوقائع ،التي تتبنَاها الفواعل الرئيسية للجامعة بيداغوجيا ،أين بيَنت تجارب المثاقفة داخل ما أسميناه "بالمخبر الأولي لإنتاج المثقف" عجزها عن تسيير مداخل الارتباط بين الأستاذ والطالب ،لا من حيث اجماعهما على طبيعة المعرفة وكيفيات تشغيلها ،ولا من حيث التكامل العلائقي الاجتماعي الذي يصل ذهنياتهما

ببعضها البعض ،وهو ما طرح ثالوث من الصدمات الكونية بين ثنائية الجديد والتقليد ،وبين العلم والأدلوجة ،وبين الانفتاح العمومي والانغلاق المتحجر ،وفي هذه المعالجة أثبتت التجليات الكشفية للظاهرة ،أن خاصية الموقع الجامعي في هذه الحالة ،قدَم وجهين من الازدواجيات التموضعية ،من طابعها الشكلي إلى منزعها الضمنى ،حيث أكدت لنا مدارات التواصل أن مقامات هذه الفواعل انقسمت داخل الهامش ،الذي أضحت تمثله الجامعة بالمقارنة مع باقي المؤسسات الرسمية ،المؤثرة في السياسات العامة للمجتمع الجزائري ،والتي تماهت مرئياتها بين مركزية الهامش وهامشية الهامش ،بصورة من التراتبية والصراع الرغباتي ،الذي كيَفته مضامين هذا التمازج بين ثنائية مالك الحقيقة ومستهلك الخطاب لدى الأستاذ والطالب.

ومن هنا ،أنتجت هذه الاعتبارات التفصيلية في كشوفات هابرماس ،مناقشات تحليلية أمام النزعة النقدية البنائية البوردوية ،أين كان لنمطية البنْينة للفضاء والموقع افرازات سوسيوثقافية ،تؤكد على غياب التثاقف بين الفواعل الجامعية ،إذ عكست هذه الجدلية جملة من البنيات البانية ،تمثَلت أساسا في صيغ النموذج الإجرائي لمنتجات الجامعة الجزائرية اليوم ،حيث كانت أولى الانعكاسات البنيوية لهذا التأزم المثاقفاتي ،في نموذج الحقل الجامعي المجهض ،الذي غلبت فيه توصيفات الواجهة على عوالم الحقيقة الواقعية ،حيث باتت تشتغل الجامعة اليوم على طابوهات الأسطرة التحديثية وتتشبع بالنكوصية التقليدانية ،وظلت تضطلع إلى الاحصائيات الكمية الشائعية بنتائج متذيَلة علميا وتنمويا ،وأضحت تستمد مشروعيتها الوجودية من طوباوية الدمقرطة التعليمية ،وتجسد على أركانها الدكترة الرمزية على المخيال الأكاديمي للباحث أو الطالب الجامعي ،مما فتح لهذه الثلاثية البنيوية لحقل البين بين ،أبواب من الهويات الجامعية متشعبة النماذج المتناصة برواسبها البيدولوجية ،حيث أصبحت الجدليات الفكرية والثقافية المتجابهة على نطاق المثل العليا للمجتمعات الافتراضية داخل المجتمع الطبيعي ،وكذلك انكفاء العقل الإنساني على القول الكلياني دون التعمق في جزئياته التركيبية ،جعل من كينونة المعارف المتعددة أيلة إلى الإذابة (العمدية) ،إذا ما تحولت إلى مضمار الأفكار الاجترارية والقيم التقليدوية المتصلبة ،وإن استمرت على إنتاج واستهلاك نص التمركز الميتوسي وممارساته ،الذي حمل في

طياته الكثير من أحقيات التصنيع للحقيقة والوجود والقيمة ،حيث صُوَرت هذه النمذجة الهوياتية للفواعل الجامعية ،قابعة على صراع الأضداد الرمزية التي اختلفت أشكالها الظاهراتية ،بينما تقاطعت أعماقها الباطنية في ثالوث من السلطويات ،تكشَفت لنا ميدانيا بين الهيمنة المركزية ،والسيطرة الأبوية ،والقوة القبلية ،أعادت إنتاج نموذج المجتمع الجامعي المهيمن داخل أسوار المجتمع الجزائري بشكل عام.

وعلى ذكر أن تكريس العبثية المفضية إلى حد الإنبجاس ،لكل محاجات الحس المشترك وتحقيق فن التعايش في الحقل المجتمعي الجزائري ،وما يضم من بنى ومؤسسات ،لاسيما مؤسسة الجامعة بشكل أدق ،قد أفشلت مسعى الوصول إلى انشاء فكرة "المواطنية المعرفية داخل الوسط الأكاديمي" لتستوقفنا أمام نموذج "الرعية الجامعية" ،وهو ما جعلنا نسجَل مستوى الانحراف الخطابي والسلوكي ،الذي باتت تتبنَاه القوى الفاعلى به في شتى المجالات والميادين المقترنة بالفكر والثقافة والاجتماع ،حيث كان لاستحضار الفعل الممارساتي للعملية التثاقفية في الجامعة ازدواجية باطولوجية ،انتقلت من دورها التلقيني للمادة العلمية ،إلى عتامتها الترميقية ،مما استبدل متغيَرات الإنتاج الفعلي للأفكار والمعارف ،بإيهامات الإنتاج المتوارثة داخل العقل الجامعي المؤدلج ،خاصة وأن مزايا اللغة التداولية في ترشيد آليات التواصل بين الأستاذ والطالب ،قد شكَلت حالة انزلاق من عقلانية التكافؤ إلى منطق المحاباة –عند الأول- ،ومن النزعة الإنتاجية إلى العقل الريعي –عند الثاني- ،وهو ما أدى إلى تبلور مجموعة من المولدات الحراكية للأزمة التثاقفية ببنياتها المبنية ديناميا ،حيث انحرفت مسارات التحليل في فهم تجليات الأسلوبية ،إلى ظهور نموذج النخبة الجامعية المؤطرة على ضوء ارهاصات تاريخانية المثقف في الجزائر ،وفي ظل تبني استراتيجية العدد كنهج في التخطيط الثقافي لمؤسسات المجتمع الجزائري ،من أنوميا الدور إلى مشروع إعادة الإنتاج ،أين تبدَت ملامح هذه التوليدات الأسلوبية في صُورة النخبوية المتضاربة بين نمذجة الذات المستلبة وعقدة الاستقلالية من جهة وبين نمذجة الذات المغتربة وعقدة الوجود (الحضور) من جهة أخرى ،فيما كان لأسلوبية الترميق نموذج من النخبة الجامعية لمثل أساسا في نمطية الأستاذ الجامعي الشائع ،مما وضع احتمالات انتاج الطاقات البشرية والمخرجات العلمية في الجامعة الجزائرية اليوم ،بين ثلاثية حتمية لا

يمكننا القفز عليها رسميا وهي "الطالب المستلب والطالب المغترب والطالب الشائع" وهذا ما آل بنا إلى تبيان حراكات الخطاب التداولي في ظل هذه التحيينات ،ضمن نموذج العلاقات الجامعية من منطلق احتكار النسيج التقليدي للمجتمع على الحياة البيداغوجية في جزئياتها وعمومياتها ،حيث تماثل لنا أن دافعية الأستاذ إلى هذه الآلية التداولية قد ولَد في هذه الارتباط طابعا شخصانيا كتجسيد لقيم العصبية ،والتي تعددت تسمياتها وتلويناتها حسب ما أفادتنا به اجرائيات البحث ،من غطائها القرابي العائلي إلى مدلولها العشائلي الجهوي لتستحدث في معناها المصطنع في شكلها التكتلي ،وهو ما جعل بلوغ الطالب إلى مصاف التعامل الموضوعي في الجامعة عبر مبدأ المنافسة ،التي تجسرها قنوات المعرفة والعلوم أمرا عسيرا ،مما خلق في دافعيته التواصلية نموذج العلاقة الجامعية الزبائنية كتجسيد لدعائم الندرة.

واستنتاجا لهذه التراكمات العلمية المتشعبة في طيات هذه الدراسة ،أمكننا الاقرار بصحة الافتراض العلمي الذي تفضلنا به سابقا في تحليل وفهم احدى أهم المؤشرات والمعالم المتحكمة في معضلة الجامعة على إنتاج الطالب المثقف الذي يمتلك وعيا نقديا للمجتمع ،فغياب المثاقفة بين الجزئيات المتحركة داخل القاعة او الفصل الأكاديمي ليس بمقدورها ان تشكل نقلة نوعية على نطاق واسع ،فجهل هذه الفواعل بتقنيات الحوار والمناقشة ،وإبداء الرأي والرأي الآخر ،وتقبل الاختلاف واستقلالية الأفكار ،وتحرر الذات المفكرة وتفتح الذهنيات على العالم الخارجي ،هو في واقع الحال تثبيت لعجلة التنمية البشرية والفكرية والمجتمعية بشكل عام ،فإذا كانت المركزية الهامشية للأستاذ الجامعي في الجزائر راهنا ،قد أعاقت وتيرة هذه الإنتاجية لافتقاده لاستعدادات وأفكار المثاقفة ،ومن ثم منعت الطالب من الاهتمام بالشأن العام وجعلت خواءه المعرفي يركن إلى انعدام التزامه الثقافي ،فإن وجود نوع استعدادات التثقف والتفكر لدى القليل من الطلبة في جامعاتنا اليوم ،قد شكل فعلا استثنائيا في تفعيل ماكينات الذهنية الثقافية خارج جدران الجامعة وبعيدا عن احتكارات الاستاذ الجامعي ،حيث تحدد ذلك عبر انتهاج تقنيات ما يسمى "بالتعلم الذاتي" أو ما يمكننا ان نطلق عليه تسمية "نموذج الأستاذ الجامعي الرمزي" ،وهو النمط الذي شكل نوع من التمرد على السياق العام المتداول آليا ،وعلى هذا الأساس فلو افترضنا أن هذه العملية هي

ما ستنتج مواصفات النخبة المثقفة عمليا في الوسط الشباني ،على ضوء الاهتمام المتزايد بمواضيع الشباب ،وقضاياه المتفرقة بين اللغط الاعلامي والتباهي الاداري الرسمي ،وبين الدراسات العلمية الكثيرة لدى العديد من الدارسين في شتى العلوم ،فإن أحواز التساؤل التي تفرض طرحها علينا في هذا الإطار ،ما مضمونها: هل النخبة الشبانية المثقفة في الجزائر تعبر عن مطلب مجتمعي أم هي تخطيط ثقافي يجسد مرحلة ظرفية معينة؟.

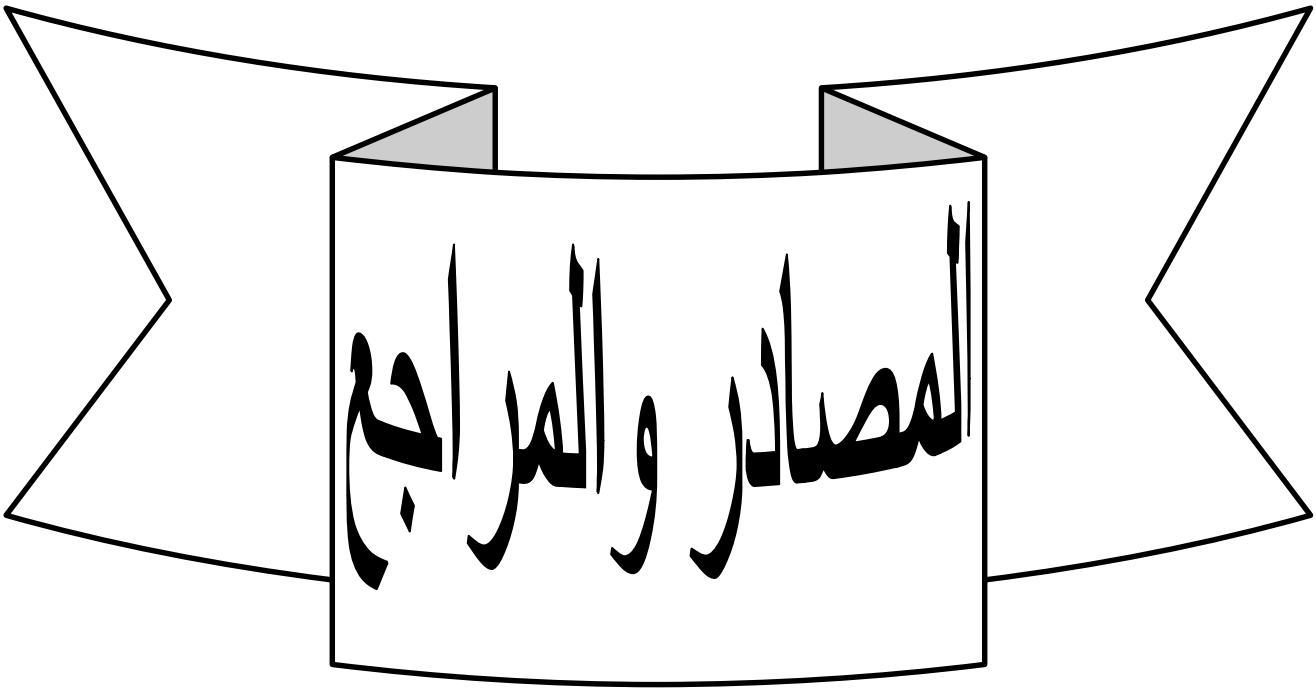
المصادر والمراجع

1) الكتب والمؤلفات:

1- المراجع باللغة العربية:

1. أبو النور حمدي أبو النور حسن ،يورجين هابرماس الأخلاق والتواصل ،دار التنوير ،بيروت ،2012.
2. اسماعيل زروخي ،دراسات في الفكر العربي المعاصر ،دار الهدى ،الجزائر ،2002.
3. إسماعيل علي سعد ،الشباب والتنمية في المجتمع السعودي ،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ،1989.
4. السيد سلامة الخميسي ،المعلم العربي: بعض قضايا التكوين ومشكلات الممارسة المهنية ،درا الوفاء ،الإسكندرية ،2003.
5. السيد عبد العاطي السيد ،صراع الأجيال (دراسة في ثقافة الشباب) ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1987.
6. أنتوني غدنز ،علم الاجتماع ،تر: فايز الصياغ ، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط4 ،بيروت ،2005.
7. إيريك فروم ،الخوف من الحرية ،تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،1982.
8. أيمن عبد الرسول ،في نقد المثقف والسلطة والإرهاب ،دار رؤيا ،القاهرة ،2004.
9. برهان غليون ،إغتيال العقل ،موفم للنشر ،الجزائر ،1990.
10. برهان غليون ،مجتمع النخبة ،معهد الإنماء العربي ،ط1 ،بيروت ،1986.
11. بيار بورديو ،أسباب عملية –إعادة النظر بالفلسفة- ،تر: أنور مغيث ،دار الأزمنة الحديثة ،ط1 ،بيروت ،1998.
12. بيير بورديو ،الرمز والسلطة ،تر:عبد السلام بن عبد العالي ،دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء ،1990.
13. حافظ عبد الرحيم ،الزبونية السياسية في المجتمع العربي –قراءة إجتماعية-سياسية في تجربة البناء الوطني بتونس- ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 ،بيروت ،2006.
14. حبيب البيلاوي وآخرون ،إدارة المعرفة في التعليم ،دار الوفاء ،ط1 ،الإسكندرية ،2007.

15. حسن مصدق ،يورغان هابرماس ومدرسة فرانكفورت: النظرية النقدية التواصلية ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب ،وبيروت ،لبنان ،ط1 ،2005.
16. حسين عويدات ،المثقف العربي والحاكم ،دار الساقي ،ط1 ،بيروت ،2012.
17. حليم بركات ،الاغتراب في الثقافة العربية –متاهات الإنسان بين الحلم والواقع- ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 ،بيروت ،2001.
18. حليم بركات ،المجتمع العربي في القرن العشرين –بحث في تغيير الأحوال والعلاقات- ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 ،بيروت ،2000.
19. خالد حامد ،المدخل إلى علم الإجتماع ،دار جسور للنشر والتوزيع ،ط1 ،الجزائر ،2008.
20. خليل أحمد خليل ،العرب والقيادة ،دار الهدى للطباعة والنشر ،ط1 ،1999.
21. خليل أحمد خليل ،المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع ،دار الحداثة ،ط1 ،بيروت ،1983.
22. جاك دريدا ،الصوت والظاهرة -مدخل إلى مسألة العلامة في فينومينولوجيا هوسَرل- ،تر: فتحي إنقزَو ،المركز الثقافي العربي ،ط1 ،المغرب ،2005.
23. جاكلين روس ،الفكر الأخلاقي المعاصر ،تر: عادل العوا ،عويدات للنشر والطباعة ،ط1 ،بيروت ،2001.
24. جان بول سارتر ،دفاعا عن المثقفين ،تر: جورج طرابيشي ،درا العلم للملايين ،بيروت.
25. جمال غريد ،الجامعة اليوم (أعمال ندوة) ،منشورات CRASC ،الجزائر ،1998.
26. جمال غريد وآخرون ،النخب الاجتماعية –حالة الجزائر ومصر- ،مركز البحوث العربية والافريقية ،مصر ،2004.
27. الجمعية الأمريكية للصحة والتربية الرياضية والترويح بواشنطن ،تنمية العلاقات الانسانية الديمقراطية ،تر:ابراهيم حافظ ،مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ،1969.
28. جورج غورفيتش ،الأطر الإجتماعية للمعرفة ،تر:خليل أحمد خليل ،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ط3 ،بيروت ،2008.
29. جون سكوت ،علم الاجتماع :المفاهيم الأساسية ،تر: محمد عثمان ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،ط1 ،بيروت ،2009.
30. جيرار ليكلرك ،سوسيولوجيا المثقفين ،تر: جورج كتوره ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط1 ،بيروت ،2008.

31. دنيس كوش ،مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ،تر: منير السعيداني ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 ،بيروت ،2007.
32. رابح لونيسي ،التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة –بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954)- ،دار كوكب العلوم ،ط2 ،الجزائر ،2012.
33. رجاء محمود أبو علام ،مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية ،ط4 ،دار النشر للجامعات ،القاهرة ،2004.
34. زكي العليو ،المثقف..مداخل التعريف والأدوار ،دار الانتشار العربي ،ط1 ،بيروت ،2009.
35. سمير إبراهيم حسن ،الثقافة والمجتمع ،دار الفكر ،ط1 ،دمشق ،2007.
36. سعيد سبعون ،الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع ،دار القصبة للنشر ،الجزائر ،2012 .
37. الطاهر لبيب وآخ ،الثقافة والمثقف في الوطن العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط2 ،بيروت ،2002.
38. عامر مصباح ،علم الاجتماع الرواد والنظريات ،دار الأمة ،ط1 ،الجزائر ،2010.
39. عبد الحميد قرفي ،بناء المعرفة السوسيولوجية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2010.
40. عبد الرزاق جلبي ،الإبداع والمجتمع-دراسة في النقد الاجتماعي- ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،2007.
41. عبد السلام حيمر ،في سوسيولوجيا الثقافة والمثقفين –من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل الاجتماعي ومن منطق العقل إلى منطق الجسد (أو التطبيع)- ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،ط1 ،بيروت ،2009.
42. عبد السلام مصطفى عبد السلام ،أساسيات التدريس والتطوير المهني للمعلم ،دار الجامعة الجديدة ،ط2 ،الإسكندرية ،2006.
43. عبد العالي دبلة ،مدخل إلى التحليل السوسيولوجي ،دار الخلدونية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011.
44. عبد الغاني بودبوز ،الجذور الاجتماعية للديمقراطية ،دار قرطبة ،ط1 ،الجزائر ،2009.
45. عبد الغني عماد ،منهجية البحث في علم الاجتماع (الإشكاليات ،التقنيات ،المقاربات) ،دار الطليعة ،ط1 ،بيروت ،2007.
46. عبد الكريم غريب ،التواصل والتثاقف ،منشورات عالم التربية ،الدار البيضاء ،2010.

47. عبد الله حمادي، مساءلات في الفكر والأدب (محاضرات)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.
48. عبد الله محمد عبد الرحمن ،النظرية في علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،2006.
49. عبد المجيد دهوم وآخرون ،قراءات في مشروع محمد أركون (أعمال ندوة) ،دار الخلدونية ،الجزائر ،2011.
50. علي أسعد وطفة ،بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط2 ،بيروت ،2000.
51. علي أسعد وطفة ،الجمود والتجديد في العقلية العربية –مكاشفات نقدية- ،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ،دمشق ،2007.
52. علي أسعد وطفة ومها زحلوق ،الشباب –قيم واتجاهات ومواقف- ،دون دار نشر ،ط1 ،دمشق ،د ت.
53. علي حرب ،أوهام النخبة أو نقد المثقف ،المركز الثقافي العربي ،ط3 ،الدار البيضاء ،2004.
54. علي حرب ،حديث النهايات-فتوحات العولمة ومآزق الهوية- ،المركز الثقافي العربي ،ط2 ،المغرب ،2004.
55. علي سموك ،إشكالية العنف في المجتمع الجزائري –من أجل مقاربة سوسيولوجية- ،مخبر التربية ،الانحراف والجريمة في المجتمع ،جامعة عنابة ،الجزائر ،2006.
56. علي عبود المحمداوي ،الإشكالية السياسية للحداثة: من فلسفة الذَات إلى فلسفة التواصل –هابرماس أنموذجا- ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،ودار الأمان ،الرباط ،ط1 ،2011.
57. علي عبود المحمداوي وآخرون ،الفلسفة السياسية المعاصرة-من الشموليات إلى السرديات الصغرى- ،دار ابن النديم(الجزائر) ودار الروافد الثقافية(بيروت) ،ط1 ،2012.
58. علي الكنز ،حول الأزمة -5 دراسات حول الجزائر والعالم العربي- ،دار ذاكرة الأمة ،الجزائر ،2015.
59. عمار بلحسن ،أنتلجانسيا أم مثقفون في الجزائر؟ !! ،دار الحداثة ،ط1 ،بيروت ،1987.
60. عمار بوحوش ومحمود الذنيبات ،مناهج البحث العلمي وطرق اعداد البحوث ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1995.
61. عمار حمداش ،تقنيات البحث السوسيولوجي ،جامعة ابن طفيل ،ط1 ،المغرب ،2006.

62. عمر الزاوي ،النقل ونقد العقل ـتأملات في الخطاب الفكري عند أركون والجابري- ،دار رياض العلوم ،ط1 ،الجزائر ،2006.

63. عياش زيتون ،أساليب التدريس الجامعي ،دار الشروق للنشر والتوزيع ،ط1 ،عمان ،الأردن ،1995.

64. فتحي عبد الرحمن جروان ،الإبداع ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1 ،الأردن ،2002.

65. فضيل دليو وآخرون ،إشكالية المشاركة الديمقراطية في الجامعة الجزائرية ،مخبر التطبيقات النفسية والتربوية، قسنطينة ،الجزائر ،2006.

66. فلاديمير ماكسيمنكو ،الأنتليجانسيا المغاربية –المثقفون أفكار ونزاعات- ،تر:عبد العزيز بوباكير ،دار الحكمة ،دار النهضة ،ط1 ،الجزائر ،1984.

67. فيصل العوامي ،المثقف وقضايا الدين والمجتمع ،منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث ،ط1 ،بيروت ،1999.

68. فيليب كابان ،علم الاجتماع ـمن النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات- ،تر: إياس حسن ،دار الفرقد ،ط1 ،دمشق ،2010 .

69. قباري محمد اسماعيل ،مناهج البحث في علم الاجتماع :موقف واتجاهات ،منشأة المعارف ،الاسكندرية ،1982.

70. لحسن بو عبد الله و محمد مقداد ،تقويم العملية التكوينية في الجزائر: دراسة ميدانية بجامعات الشرق الجزائري ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1998.

71. ماكس فبير ،العالم والسياسي ،تر: سعيد سبعون ،دار القصبة للنشر ،الجزائر ،2009.

72. مالك بن نبي ،من أجل التغيير ،دار الوعي ،ط1 ،الجزائر ،2013.

73. محمد رفيق الطيب ،العالم العربي والتحديات المعاصرة (نقد الذات وسبل الاصلاح) ،دار النفائس ،ط1 ،بيروت ،2010.

74. محمد زياد حمدان ،تقييم التحصيل-اختباراته وإجراءاته وتوجيهه للتربية المدرسية- ،دار التربية الحديثة ،الأردن ،2001.

75. محمد سبيلا ،مدارات الحداثة ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،ط1 ،بيروت ،2009.

76. محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي ،الإيديولوجيا ،دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء ،المغرب ،2006.

77.محمد السويدي ،مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،ط1 ،الجزائر ،1991 .

78.محمد شوقي الزين ،الذات والآخر –تأملات معاصرة في العقل والسياسية والواقع- ،منشورات الاختلاف ،ط1 ،الجزائر ،2010.

79.محمد العربي ولد خليفة ،المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية ،الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1989.

80.محمد عبد الرحمن عبد الله ،سوسيولوجيا التعليم الجامعي: دراسة في علم الاجتماع التربوي ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1991.

81.محمد عبد الكريم الحوراني ،النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ـالتوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفة والصراع- ،دار مجدلاوي ،ط1 ،عمان ،الأردن ،2008 .

82.محمد عبيدات وآخرون ،منهجية البحث العلمي-القواعد والمراحل والتطبيقات- ،دار وائل للنشر ،ط2 ،عمان ،1999.

83.محمد العلي ،نمو المفاهيم –تساؤلات وآراء في الوجود والقيم- ،المركز الثقافي العربي ،ط1 ،المغرب ،2013.

84.محمد علي محمد ،الشباب العربي والتغيير الاجتماعي ،دار النهضة العربية ،بيروت ،1985.

85.محمد محمد المفتي ،بنية الثقافة وأزمة التحديث ،مجلي الثقافة العام ،د ط ،سرت ليبيا ،2008.

86.محمد مزيان وآخرون ،قراءات في طرائق التدريس ،جمعية الإصلاح التربوي والاجتماعي ،ط1 ،باتنة ،الجزائر ،1994.

87.معن خليل العمر ،علم اجتماع المثقفين ،دار الشروق للنشر والتوزيع ،ط1 ،عمان ،الأردن ،2009.

88.منذر عيَاشي ،الأسلوبية وتحليل الخطاب ،مركز الإنماء الحضاري ،ط1 ،سوريا ،2002.

89.مونتيسكيو ،روح الشرائع ،تر:عادل زعيتر ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة ،2013.

90.ناصر جابي ،الجزائر: سنوات بوتفليقة ـمقالات في السياسة والاجتماع- ،دار الأمة ،الجزائر ،2013.

91.ناصر جابي ،لماذا تأخر الربيع الجزائري ،منشورات الشهاب ،الجزائر ،2012.

92.ناصر جابي ،مواطنة..من دون إستئذان ،منشورات الشهاب ،الجزائر ،2006.

93. ناصر قاسيمي ،سوسيولوجيا المنظمات ـدراسات نظرية وتطبيقية- ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2014.

94. نسيمة مخداني ،الجامعة الجزائرية بين الأصالة والمعاصرة ،دار قرطبة للنشر ،الجزائر ،2013.

95. هشام شرابي ،النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمعات العربية ،الغرب للنشر والتوزيع ،ط4 ،بيروت ،1988.

96. هشام شرابي ،مقدمات لدراسة المجتمع العربي ،الأهلية للنشر والتوزيع ،بيروت ،1981.

97. يوسف محمد حسين ،موقف مالك بن نبي من الفكر الغربي الحديث ،دار الخلدونية ،ط1 ،الجزائر ،2010.

2- المراجع باللغة الأجنبية :

1. Alain COULON ;Le Métier d'étudiant :L'entrée dans la vie universitaire ;paris :PUF ;1er Ed ;1997.
2. Alain TOURAINE ; Lutte étudiante ; Paris : Seuil ; 1978 .
3. ASSIE GUY ROGER- KOUASSI ROLAND RAOUL, Cours d'initiation a la méthodologie de recherche école pratique de la chambre et d'industrie– ABIDJAN, COTE D'IVOIRE.
4. Djamel GUERID ;L'exception Algérienne -La modernisation à l'épreuve de la société- ;édition CASBA ;Alger. 2007.
5. Djamel GUERID ,REPENSER l'Université ,édition Arak ,Alger ,novembre 2014.
6. Djamel GUERID ; Savoir et Société en Algérie ; centre de recherche en économie appliquée pour le développement ; Algérie ; 2012.
7. Françoi Dubet, « Dimensions et figures de l'expérience étudiante dans l'université de masse », Revue Françoise de sociologie, vol.xxxv, 1994.
8. Karl Mannheim ;le problème des générations ;(1928) ;trad ;Gérard Mauger ;ed.Natham ;Pari ;1990.
9. Liés Mairi, Faut-il fermer l'université ? ENAL, Alger, 1994.

2) المجلات العلمية:

1. أحمد موسى بدوي ،مابين الفعل والبناء الاجتماعي:بحث في نظرية الممارسة لدى بيير بورديو ،مجلة إظافات الصادرة عن: مركز دراسات الوحدة العربية ،العدد 08 ،بيروت ،خريف2009.
2. إيلين دمعة ،الاختصاص الجامعي ومحنة الثقافة ،مجلة إضافات ،الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية ،العدد25 ،بيروت ،شتاء 2014.
3. الطيب الحيدي ،الاعتراف وهوية الذات المواطنة في الفضاء العمومي المشترك ،الصادر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ،قسم العلوم الانسانية والفلسفة ،الرباط ،المغرب.
4. المهدي مستقيم ،كيف تلتهم البدولوجيا حرية الإنسان العربي ،مجلة ذوات :الصادرة عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ،العدد 15 ،الرباط ،المغرب ،2015.
5. حسين تومي ،الجامعة وتنمية المجتمع في الجزائر –بين النجاح الكمي والإخفاق الكيفي- ،مجلة دراسات اجتماعية الصادرة عن: مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلمية ،العدد05 ،الجزائر ،جويلة2010 .
6. خالدي مسعودة ،الاشكاليات والعوامل المحددة لإعادة تخطيط سياسة التعليم العالي في الجزائر ،مجلة دراسات اجتماعية ،الصادرة عن مركز البصيرة للبحوث والإشارات والخدمات التعليمية ،العدد05 ،الجزائر ،جويلية 2010.
7. جابر عصفور ،معنى الجامعة ،مجلة العربي ،العدد 451 ،الكويت ،يونيو 1990.
8. جلول مقورة ،هابرماس: النشاط الديمقراطي في خدمة الفاعلية التواصلية ،مجلة الحكمة ،الصادرة عن :مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ،العدد16 ،الجزائر ،السداسي الأول 2013.
9. رضا عامر ونسيمة كربيع ،إشكالية التقويم الجامعي وأثره في تحسين مردود الأستاذ الجامعي ،مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،الصادرة عن جامعة غرداية ،العدد08 ،الجزائر ،2010.
10. عبد الرحمن صوفي عثمان وآخرون ،مجتمع المعرفة :التحديات الاجتماعية والثقافية واللغوية في العالم العربي حاضرا ومستقبلا (أشغال المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية الأداب والعلوم الاجتماعية) ،منشورات جامعة السلطان قابوس ،المجلد الثاني ،سلطنة عمان ،2007.
11. عبد الرحيم العطري ،احتمالات التحول القيمي:صيغ التفويض والترميق ،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ،الرباط ،المغرب ،2015.
12. عبد العالي دبلة ويزيد عباسي ،ثقافة الشباب بين التأطير المعرفي والواقع الاجتماعي ،مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ،الصادرة عن جامعة الشهيد حمة لخضر –الوادي- ،العدد11 ،الجزائر ،جوان 2015.

13. عمر العرباوي ،قراءة للعلاقة البيداغوجية بين الأستاذ والطالب (قسم علم الاجتماع نموذجا) ،مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،الصادرة عن :جامعة غرداية ،العدد08 ،الجزائر ،2010.
14. علي سعد وطفة ،الأداء الأيديولوجي للمدرسة في منظور بيير بورديو :العنف الرمزي بوصفه ممارسة طبقية في المدرسة ،مجلة العلوم التربوية ،الصادرة عن معهد العلوم التربوية بجامعة القاهرة ،العدد الأول ،القاهرة ،يناير 2013.
15. فاطمة الزهراء زيراوي ،المثقف والثورة التحريرية ،مجلة البحوث ،العدد2 ،جامعة الجزائر ،الجزائر ،1994.
16. لحسن العقون ،التثاقف الاستراتيجيات والآثار ،مجلة علوم الانسان والمجتمع الصادرة عن: كلية العلوم الاجتماعية بجامعة محمد خيضر ،العدد09 ،بسكرة ،الجزائر ،مارس 2014.
17. محمد أحمد الرفوع وتيسير خليل القيسي ،قياس الشخصية الاستغلالية لدى عينة من طلبة كلية الطفيلة الجامعية التطبيقية واستقصاء العوامل المؤثرة فيها ،مجلة جامعة دمشق ،المجلد12 ،العدد الأوَل ،دمشق ،سوريا ،2005.
18. محمد أحمد الزغبي ،المنهج العلمي في البحث السوسيولوجي في ضوء النظرية العامة للمعرفة العلمية ،مجلة دراسات عربية الصادرة عن دار الطليعة ،عدد 03 ، السنة 19 ،بيروت .
19. محمد جعفر جمل اليل ،دراسة لبعض المتغيرات المرتبطة بالتوافق مع المجتمع الجامعي طلاب وطالبات جامعة الملك فيصل ، المجلة العربية للتربية ،الصادرة عن :المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،العدد01 ،تونس ،ديسمبر 1993.
20. محمد صالح مرمول ،دور الجامعة الجزائرية في تغيير البنية الاجتماعية ،مجلة سيرتا الصادرة عن: وزارة التعليم العالي ،العدد01 ،الجزائر ،ماي 1979.
21. محمد فوزي كنزاي ،براديغم مدرسة فرانكفورت على المحك :منظور اتصالي ،الصادر عن مجلة :البحوث والدراسات الانسانية بجامعة سكيكدة ،العدد 09 ،الجزائر ،2014.
22. مختار مروفل ،الجامعة والسياسة في الجزائر :مشروع المجتمع بين مطرقة السلطة وسندان الايديولوجية لمحة تاريخية ،مجلة اضافات ،الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية ،العددان 26-27 ،بيروت ،(ربيع-صيف 2014).
23. مراد بن سعيد وصالح زياني ،النخب والسلطة والأيديولوجيا في الجزائر :بين بناء الدولة والتغيير السياسي ،مجلة المستقبل العربي ،الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية ،العدد 430 ،بيروت ،كانون الأول/ديسمبر 2014.
24. مصطفى حجازي ،التفكير الإبتكاري (بحث) ،مجلة الفكر العربي ،الصادرة عن :معهد الإنماء العربي ،العدد21 ،بيروت ،1981.

25. منى شكري ،في لقاء حواري ،أجرته مع الدكتور وليد المعاني ،الصادر عن المجلة الالكترونية "تذاوت" عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث ،العدد12 ،الرباط ،2015.
26. نجاة بوساحة ،إشكالية إنتاج المعرفة في الجامعة الجزائرية –مقاربة سوسيولوجية- ،مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ،الصادرة عن :جامعة قاصدي مرباح ورقلة ،العدد08 ،الجزائر ،جوان 2012.
27. نور الدين زمام ،حول سوسيولوجية المثقف الجزائري ،مجلة إضافات (المجلة العربية لعلم الاجتماع) ،الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية ،العدد الأول ،بيروت ،شتاء 2008.
28. وائل مصطفى أبو الحسن ،واقع التعليم العالي في الوطن العربي –تحديات وتطلعات- ،مجلة ذوات ،الصادرة عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ،العدد 12 ،المغرب ،2015.

3) الجرائد الاعلامية:

1. Djamel GUERID; L'université Algérienne a 100 ans; publié dans le Quotidien d'Oran le 06-01-2010.
2. Rabeh Sebaa, Quelle recherche scientifique, pour quelle université ?,journal el watan ,le :09-02-2013
3. Entretien avec Dr AHMED ROUADJIA, par: Samir Azzoug, le journal EL Watan, N :7350, Algérie, le 10-12-2014.

4) الرسائل والأطروحات:

1- آمنة سعدون ،التعليم العالي وتنمية قدرات الطالب الجامعي ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ،تنمية الموارد البشرية ،قسم علم الاجتماع ، قسنطينة ،الجزائر ،2005.
2- حبيب العايب ،قضايا التهميش في تونس-دراسة ميدانية- ،المعهد العربي لحقوق الإنسان ،تونس ،2012.
3- فني غنية ،التغيرات التنظيمية وأثرها على التحصيل الدراسي في الجامعة الجزائرية ،رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع –تخصص:تنظيم وعمل- ،إشراف :حروش رابح ،بجامعة باتنة ،الجزائر ،2004-2005.

5) المحاضرات والندوات:

1. جمال غريد ،محاضرة في التحولات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري -من الصدمة الاستعمارية إلى الانفجار المجتمعي- ،مقياس الأسس الثقافية للمجتمع الجزائري ،السنة الأولى ماجستير علم الاجتماع ،تخصص: ثقافات ومجتمعات ،كلية العلوم الاجتماعية ،جامعة وهران2 ،الجزائر ،2012-2013.
2. جورج قرم :محاضرة بعنوان :المثقف والسلطة بين المعانقة والمفارقة ،هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ،25-02-2009.

6) معاجم وقواميس:

1. جيل فيريول ،معجم مصطلحات علم الاجتماع ،تر: أنسام محمد الأسعد ،دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر ،ط1 ،بيروت ،2011.
2. ستيفان شوفالييه وكريستيان شوفيري ،معجم بورديو ،تر:الزهرة ابراهيم ،دار النياء للنشر والتوزيع ،ط1 ،دمشق ،2013.

7) المواقع والروابط الالكترونية:

1. المكانة الاجتماعية،www.moqabel.com .
2. حمدي ابراهيم حسن ،رؤية حول مفهوم التواصل اللغوي ،2011 عن الموقع الالكتروني : related :Faculty.KSU.edu.sa
3. سمير اسماعيل ،الانتهازية والانتهازيون ،الحوار المتمدَن ،العدد1108 ،بتاريخ:13-02-2005 : www.ahewar.org.
4. سمير شعبان ،علاقة الأستاذ الجامعي بالطالب واثرها في تعزيز الوسطية ،أبحاث مؤتمر (دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي) ،الجزائر: http://repository.taibahu.edu.sa.
5. محمد شركي ،المحسوبية والزبونية تدمير للمصلحة العامة ،مقال صادر عن الموقع الالكتروني: http://www.oujdacity.net/national-article-29267-ar/national-article-29267-ar.html

6. محمد منصف المرزوقي في لقاء حواري مع موقع pjd.ma :
https://www.youtube.com/watch?v=oJwPzBQWojM
7. محمود السيد ،لغة الغالب والمغلوب: تفاعل أم تغييب ،بتاريخ:25-04-2009 :
http://www.dalilalkitab.net/?id=264
8. عدنان سليمان الأحمد ،رؤية استراتيجية لمنظمات المعرفة –الجامعة نموذجا- : www.el bassaire.net
9. عمار بن طوبال ،المثقف الجزائري وخطاب الأزمة ،مقال صادر عن مدونة الكاتب في الموقع الالكتروني :http://koutama18.blogspot.com/2010/09/blog-post_8935.html
10. لقاء حواري مع السوسيولوجي ناصر جابي ،أجراه: احميدة العياشي ،الصادر عن مدونة الخير شوار :chouar.blogspot.com/2012/01/blog-post_23.html
11. زهير الخويلدي ،نظرية الهابيتوس والرأسمال الرمزي عند بيير بورديو ،مقال صادر عن الموقع الالكتروني :www.arabtimes.com
12. عدنان الصالحي ،المحسوبية وإنتاج المأزومة ،مقال صادر عن الموقع الالكتروني : http://annabaa.org/nbanews/2012/02/141.htm
13. دلال اليرزي ،...فيما يخص توريث رأس المال الرمزي ،مقال صادر عن الموقع الالكتروني : www.metrans parent.com
14. عقبة صالح طه ،دور المؤسسات التقليدية العربية في تقمص روح المؤسسة الحديثة –العائلة نموذجا- ،مقال صادر عن الموقع الالكتروني :
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=338731

الملاحـــق

1- دليل المقابلات.

1-1- دليل المقابلة الخاص بالطلبة:

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران 2

كليـــة العلـــوم الاجتماعيـــة
قســـــم علـــم الاجتمـــاع
ماجستير: ثقافات ومجتمعات

دليـــل المقابلـــــــة

رقم:... **تاريخ الاجراء:...** **التوقيت:...**

1) التصورات والمواقف:

1. ماهو المنظور العام الذي يمكن أن نستنتجه من تجربة حياتك الجامعية منذ الالتحاق بها علميا واجتماعيا؟
2. ماهو تصورك الأولي للجامعة قبل وأثناء تسجيلك بمقاعدها؟
3. في اعتقادك ،ما هو الأمر الذي تغير وأنت تقضي سنوات من الدراسة الجامعية؟
4. هل ترى في هذا التغيير كوامن تأثيرية على تحصيلاتك الدراسية ونزعاتك الأكاديمية في مجال البحث العلمي؟ وكيف تم ذلك؟
5. يعد عضو هيئة التدريس (الأستاذ الجامعي) حلقة مفصلية في تسيير وتفعيل الحراك المعرفي والعلمي داخل فضاء الجامعة ،فما رأيك في هذا الفاعل داخل الجامعة الجزائرية وخاصة في الحقل الذي أنت فيه؟
6. حسب منظورك ،ماهي الاستنتاجات التي يمكن أن تستنبطها فيما يتعلق برؤيته للطالب الجامعي؟
7. هل لهذه الرؤى علاقة وإسقاط على الكيفيات التواصلية التي تجمعك به؟ وما سبب ذلك؟

2) الممارسات والردود الفعلية:

8. لنفترض أن هذه الانطباعات تندرج ضمن العموميات ،فهل هي وليدة التفاعل القائم بينكما –الطالب والأستاذ- داخل الفصل أم هي امتداد له؟
9. هل لك أن تحدد لنا الأسس التي تتلقى بها المعارف أو الدرس العلمي من طرف الاستاذ داخل القاعة؟
10. هل تعتبر نفسك فاعل مشارك في هذه العملية التدريسية أم مجرد ملقن؟
11. تتأسس دينامية انتاج الأفكار من خلال الماكنات النقدية ،فهل يرتكز تواصلك مع الأستاذ على هذا النمط من الأساليب؟ ولماذا؟
12. هل لهذا النوع من الحواصل له تأثير على تواصلاتك مع باقي الطلبة؟
13. من هو الطالب الجامعي بالنسبة لك ؟
14. كيف هي علاقتك الاجتماعية مع الأسرة الجامعية بين الثوب الأكاديمي وثوب الانسان العادي ؟
15. أي دور يؤثر على سلوكياتك وتفاعلاتك اليومية مع المجتمع؟

3) الآمال والتطلعات:

16. متى نجد ابداعاتك المعرفية وإنتاجاتك الاكاديمية على مستوى الممارسة؟
17. كثيرا ما نلتمس أن تضارب الرؤى حول المستوى الجامعي في الجزائر متباين بين الطالب والأستاذ ،حيث أصبح كل طرف يرجع سبب الفشل إلى الطرف الآخر كسلوك تبريري. ألا تعتقد أن أفكارك هذه من انتاج هذا السجال؟
18. ماهو المعيار المأمول لتطوير والارتقاء بمستوى أداء الجامعة في الجزائر معرفيا ومجتمعيا؟

اعداد الطالب: **اشراف الأستاذ**

- **صلاي كمال.** **– أ.د لقجع عبد القادر.**

السنة الجامعية :2015 -2016

2-1- دليل اللقاء الحواري الخاص بالأساتذة:

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران 2

كليـــة العلـــوم الاجتماعيـــة
قســـــم علـــم الاجتمـــــاع
ماجستير: ثقافات ومجتمعات

دليـــل المقابلـــــــة

رقم:... **تاريخ الاجراء:...** **التوقيت:...**

1- على مدى سنوات من التدريس ،ما هي النظرة الشاملة التي يمكن أن تقدمها لنا حول الجامعة الجزائرية لاسيما الجامعة التي تعمل بها تحديدا؟
2- هل ترى أن ما يدرس على مستوى المناهج التدريسية والتربوية يعكس ضالة الواقع المعاش للمجتمع الجزائري؟
3- وإذا ما تعمقنا خصيصا في مجال عملك وتخصصك ،لماذا هذا الاختيار بالضبط أم هو توجيها ليس إلا؟
4- هل يمكن أن نقرأ من جوابك ،أنك تضع فرق شاسع بين فاعليتك وفعاليتك كدارس وكمدرس؟ وما سبب ذلك؟
5- كيف تقيم لنا مستوى انتاجك المعرفي لاسيما من حيث تفاعلك مع القضايا والظواهر التي يطرحها المجتمع باستمرار؟
6- ما هي أسباب وخلفيات ذلك؟ هل هي خيار أم اجبار؟
7- في رأيك ماهو سبب اعاقة الانتاج المعرفي والإبداع الثقافي داخل الجامعة؟
8- ماهو المنظور الذي يمكنك عرضه لنا حول الطالب الجامعي اليوم؟

9- أي مستوى يطمح الأستاذ الجامعي في وجوده لدى الطالب (المتكون اجتماعيا) داخل الجامعة؟

10- ماذا عن مأمولك داخل المجتمع بشكل عام؟

11- ما سبب غياب هذه الاستراتيجية على مستوى الواقع المعاش في اعتقادك؟

12- وهل يمكننا القول أن هذا الغياب كائن حتى على مستوى الفضاء الذي تدرس فيه كمحاضر؟

13- كيف هي طبيعة العلاقة التي تربطك بالطالب في بعديها المعرفي والاجتماعي؟

14- أصبحنا نشهد انعدام لافت في انتاج الأفكار وتقوية الحراك داخل الجامعة. لماذا؟

15- ما هي مواصفات الجامعة النموذجية بالنسبة اليك كأستاذ جامعي؟

اعداد الطالب: **اشراف الأستاذ**

- **صلاي كمال.** **– أ.د لقجع عبد القادر.**

السنة الجامعية : 2015 -2016

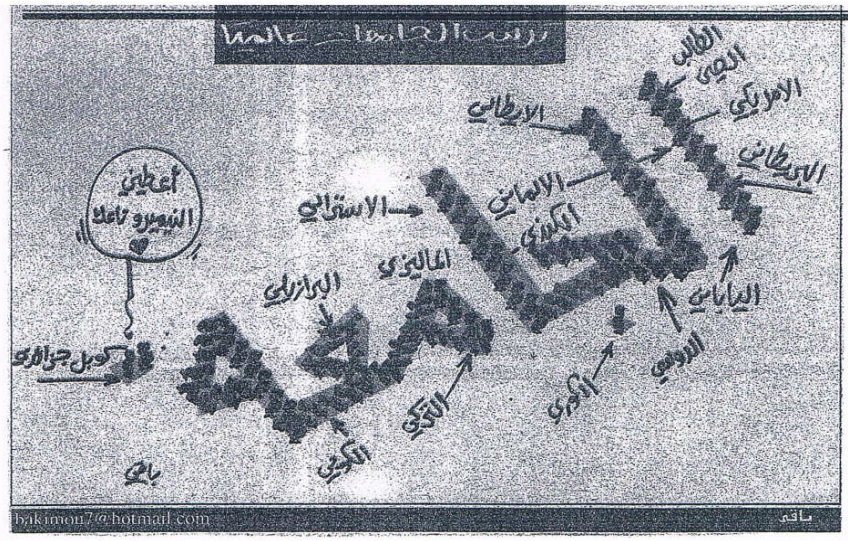

➢ كاريكاتير باقي /الصادر عن جريدة الشروق ،بتاريخ: 20-08-2014 ،العدد: 4472.

مبادرة لتكوين الإطارات الوطنية من قبل مختصين بجامعة فلوريدا

المؤسسات الجزائرية متخلفة بـ40 سنة

• ستستفيد المؤسسات الجزائرية من التكوين في مختلف المجالات من طرف الأساتذة المختصين من الجامعة الأمريكية بفلوريدا، ضمن المبادرة التي أطلقها المعهد الجزائري الأمريكي للتسيير، بهدف منح الإطارات الجزائرية المسيّرة للمؤسسات العمومية والخاصة التقنيات الضرورية لتحسين مردودية الشركات والأنشطة الاقتصادية.

وقال خبير الشؤون الاقتصادية، عبد الحق لعميري، إن الخطوة التي تبناها المعهد الجزائري الأمريكي للتسيير هي أول مبادرة من نوعها من شأنها تكوين الإطارات الجزائرية في المؤسسات الاقتصادية والإدارية من طرف أساتذة من جامعة أمريكية متخصصة في مجال التسيير والاستشارة، عن طريق دورات تكوينية دورية تمتد على مدار أسبوع.

وأوضح المتحدث لـ"الخبر"، أمس، على هامش اليوم الدراسي المتعلق بالتسيير في المؤسسات الجزائرية، بأن أبرز الميادين التي سيتم التركيز عليها خلال الدورات التكوينية، تتمثل في تلقين الإطارات المسيرة للمؤسسات العمومية والخاصة أسس وتقنيات التسيير، ووضع الخطة الاستراتيجية، إلى جانب التنافسية الدولية، القيادة والحوكمة، مشيرا إلى أن التقارير والدراسات الأخيرة تؤكد أن طرق وأساليب التسيير في الجزائر متأخرة بحوالي 40 سنة مقارنة مع المعايير المعمول بها دوليا، الأمر الذي يفسّر تراجع المردودية الاقتصادية للمؤسسات. من جهته، أكد البروفيسور الدولي في التسيير، جيل كلوتيي، على ضرورة إيجاد الحلول المستعجلة لتحسين مستوى مردودية وتنافسية المؤسسات الجزائرية المرتبطة بشكل مباشر بتكوين المسيرين والحفاظ عليهم في مواجهة استفحال ظاهرة هجرة الأدمغة الجزائرية إلى مختلف دول العالم.

وطرح المحاضر مجموعة من الأسئلة تتجه جلها في سبل رفع مستوى تنافسية الإطارات المسيّرة في القطاعين العام والخاص ومكانة التكوين وخطط التسيير في البرامج الجزائرية على الصعيد الجهوي والدولي.

وحذر الخبير من إمكانية تراجع جاذبية المناخ الاقتصادي الجزائري للاستثمارات الأجنبية، في غضون العشر سنوات المقبلة، بفعل مستويات التكوين في الشركات الاقتصادية المحلية، قبل أن يشير في هذا الصدد إلى أن النشاط الاستثماري غير مقيد بحدود معينة. واستدل جيل كلوتيي بأن حوالي 86 في المائة من التوظيف في مختلف المؤسسات على مستوى العالم تتجه نحو تنمية الموارد البشرية، التكوين، التأطير والحوكمة، باعتبارها العوامل الضرورية لرفع مستويات التنافسية والإنتاج، وهو أمر غير متوفر في الجزائر.

وركز المسؤول الأكاديمي لجامعة أورلاندو الأمريكية، جوزي ليوناردو أوتيرو، على ضرورة العمل على ضمان توفير خلف للمسؤولين والإطارات المسيرة المتجهة إلى التوقف عن النشاط بحكم التقدم في السن.

الجزائر، سعيد بشار

➢ هل يدل هذا الشلل المؤسساتي التنموي عن تداعيات أزماتية لمعضلة إنتاج الفاعل المثقف في الجامعة الجزائرية؟
➢ جريدة الخبر ،ت:22-06-2014 ،ع:7471.

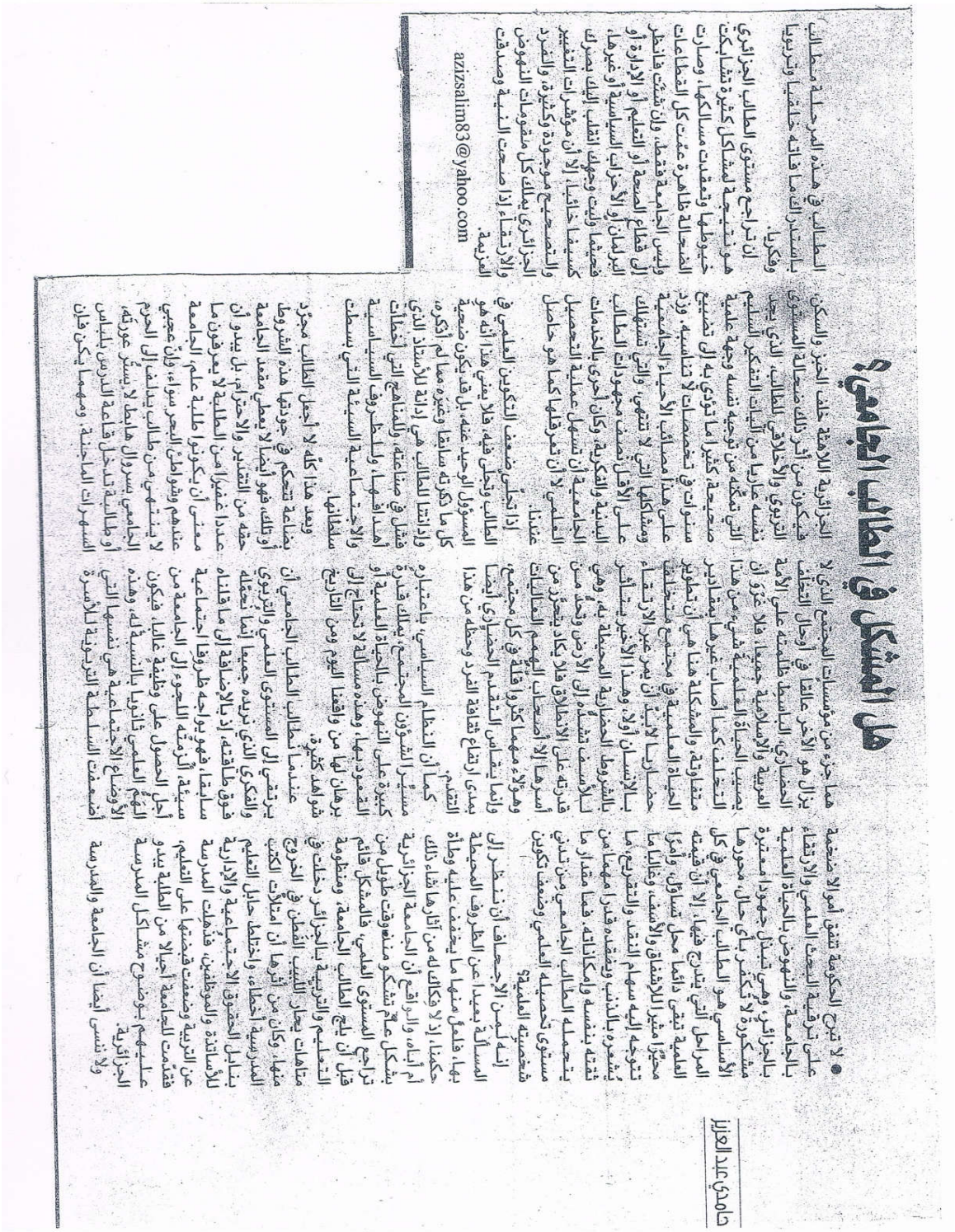

هل المشكل في الطالب الجامعي؟

حامدي عبد العزيز

• لا تزال الحكومة تنفق أموالا ضخمة على ترقية البحث العلمي والارتقاء بالجامعة، والنهوض بالحياة العلمية بالجزائر، وهي تبذل جهودا معتبرة مشكورة لا تُكدّر بأي حال، محورها الأساسي هو الطالب الجامعي في كل المراحل التي يتدرج فيها، إلا أن قيمته العلمية تبقى دائما محل تساؤل، وأمرًا محيّرًا مثيرا للإشفاق والأسف، وغالبا ما تتوجه إليه سهام النقد والتقريع، ما يُشعره بالذنب ويفقده قدرا مهما من ثقته بنفسه ولمكاناته، فما مقدار ما يتحمله الطالب الجامعي من تدني مستوى تحصيله العلمي وضعف تكوين شخصيته العلمية؟

إنه ليمن الإجحاف أن ننظر إلى المسألة بعيدا عن الظروف المحيطة بها، فلمؤ منها ما يخفف عليه وطأة حكمنا، إذ لا ذكاك له من آثارها شاء ذلك أم أباه، والواقع أن الجامعة الجزائرية بشكل عام تشكو منذ وقت طويل من تراجع المستوى العلمي، فالمشكل قائم قبل أن يلج الطالب الجامعة، ومنظومة التعليم والتربية بالجزائر دخلت في متاهات يحار اللبيب الفطن في الخروج منها، وكان من أثرها أن امتلأت الكتب المدرسية أخطاء، واختلط حابل التعليم بنابل الحقوق الاجتماعية والإدارية للأساتذة والموظفين، فذهلت المدرسة عن التربية وضعفت قيمتها على التعليم، فقدّمت للجامعة أجيالا من الطلبة يبدو عليهم بوضوح مشاكل المدرسة الجزائرية.

ولا ننسى أيضا أن الجامعة والمدرسة هما جزء من مؤسسات المجتمع الذي لا يزال هو الآخر عالقا في أوحال التخلف فيكون من أثر ذلك ضحالة المستوى التربوي والأخلاقي للطالب، الذي يجد نفسه محاربا من آليات التفكير السليم التي تمكّنه من توجيه نفسه وجهة علمية صحيحة، كثيرا ما تؤدي به إلى تضييع سنوات في تخصصات لا تناسبه، وزد على هذا مصائب الأحياء الجامعية ومشاكلها التي لا تنتهي، والتي تستهلك على الأقل نصف مجهودات الطالب البدنية والفكرية، وكان أحرى بالخدمات الجامعية أن تسهل عملية التحصيل العلمي لا أن تعرقلها كما هو حاصل عندنا.

إذا تجلّى ضعف التكوين العلمي في الطالب وتجلّى فيه، فلا يعني هذا أنه هو المسؤول الوحيد عنه، بل قد يكون ضحيةً كل ما ذكرته سابقا وغيره مما لم أذكره، وإذا نتا للطالب هي إدانة للأستاذ الذي فشل في صناعته، وللمناهج التي أخطأت أهدافها، وللظروف السياسية والاجتماعية السيئة التي يتسلط سلطانها.

وبعد هذا كلّه لا أجعل الطالب مجرّد بضاعة تتحكم في جودتها هذه الشروط أو تلك، فهو أيضا لا يعطي مقعد الجامعة حقه من التقدير والاحترام، بل يبدو أن عددا غفيرا من الطلبة لا يعرفون ما معنى أن يكونوا طلبة علم، الجامعة عندهم وشواطئ البحر سواء، وأنّ عجبي لا ينتهي من طالب يدلف إلى الحرم الجامعي يسروال هابط لا يستُر عورته، أو طالبة تدخل قاعة الدرس بلباس السهرات الماجنة، ومهما يكن فإن الطالب في هذه المرحلة متطالب باستدراك ما فاته خلقيا وتربويا وفكريا.

إن تراجع مستوى الطالب الجزائري هو نتيجة لمشاكل كثيرة تشابكت خيوطها وتعقدت مسالكها، وصارت الضحالة ظاهرة عمّت كل القطاعات وليس الجامعة فقط، ولن تُنتَشَ فانظر إلى قطاع الصحة أو التعليم أو الإدارة أو البرلمان أو الأحزاب السياسية أو غيرها، فحيثما وليت وجهك انقلب إليك بصرك كسيفا خائبا، إلا أن مؤشرات التغيير والتصحيح موجودة وكثيرة، والفرد الجزائري يملك كل مقومات النهوض والارتقاء إذا صحت النية وصدقت العزيمة.

azizsalim83@yahoo.com

- **استفهام يبحث في مخلفات انتاج الطالب اليوم ،فهل يمكن التساؤل :كيف أنتجت هذه الذهنيات أولا؟**
- **عن جريدة الخبر ،ت:12-09-2014 ،ع: 7571.**

El Watan - Samedi 9 février 2013 - 20

IDÉES-DÉBATS

Quelle recherche scientifique, pour quelle université ?

Par Rabeh Sebaa

Universitaire

«C'est toujours une profonde ignorance qui fonde les certitudes les plus tenaces.»
Ibn Rochd

La simple évocation de la recherche scientifique dans l'université algérienne fait ressurgir le caractère dispersé, voire éclaté de sa configuration institutionnelle : un ministère de l'Enseignement supérieur et de la Recherche scientifique, «coiffant» une direction générale de la recherche scientifique et du développement technologique, à laquelle viennent se surajouter des agences thématiques, des centres et autres unités de recherche, ainsi qu'une myriade de laboratoires, de programmes nationaux de recherche et de projets individuels ou collectifs. Ce caractère pléthorique atteint son point paroxystique au vu de la répartition des activités de recherche dite scientifique, dans leur quasi-totalité domiciliées, aussi bien au sens juridique que géographique, soit à l'université, soit dans des structures excentrées, et donc difficilement maîtrisables, tant du point de vue du suivi que de l'évaluation scientifique.

TROIS ASPECTS SONT À METTRE EN EXERGUE

1- Le caractère parcellaire, voire fragmentaire de cette configuration se réduisant, dans la quasi-totalité des cas, à des groupes formés de quelques individus, pour une durée limitée, est patent. Un foisonnement d'équipes de recherche qui n'a produit, à notre connaissance, aucune grande synthèse scientifique ni dans les sciences expérimentales ni dans les sciences sociales. Même si certains résultats, au demeurant fort honorables, ont été obtenus çà et là, aussi bien dans les sciences expérimentales que sociales mais qui n'autorisent ni à jeter le bébé avec l'eau sale ni à l'installer au sommet d'un arbre qui cache la forêt.

2- Les questions d'ordres théorique, méthodologique et plus globalement épistémologique qui se posent précisément à la recherche et dans la recherche, en l'occurrence la production des connaissances, tant dans les domaines sociétaux qu'expérimentaux, sont toujours pendantes. Il n'existe pas, pas encore, ou si peu une aspiration à la déconstruction ou tout au moins à une remise en question des paradigmes dominants dans l'ensemble des champs disciplinaires. Comment peut-on, dans ces conditions, parler de pôles d'excellence là où le basique est hors de portée ?

3- Le troisième aspect est afférent aux fondements éthiques de cette recherche. Il existe bien une Charte de la déontologie universitaire, mais elle ne consacre que très peu de place aux fondements éthiques de la recherche et, surtout, elle ne garantit aucune régulation ou tout au moins une orientation en matière de distribution des ressources humaines, en fonction des compétences fondées sur un minima déontologique. Ce qui conforte certaines institutions dans leur vocation de recherche de la complaisance, apportant une caution académique à des programmes ou des orientations officielles, au détriment d'une recherche scientifique de la dissonance. Il suffit de rappeler comment se constituent les projets, les groupes, les unités ou les centres de recherche pour comprendre le caractère endogamique de cette inefficience. Il est souvent plus question d'affinités et de proximité que de critères de scientificité. C'est ainsi que, dans la plupart des cas, un individu ou un groupe, parfois compétent et motivé, s'entoure de «membres de l'équipe», selon la formule consacrée, qui n'ont aucune disposition pour la

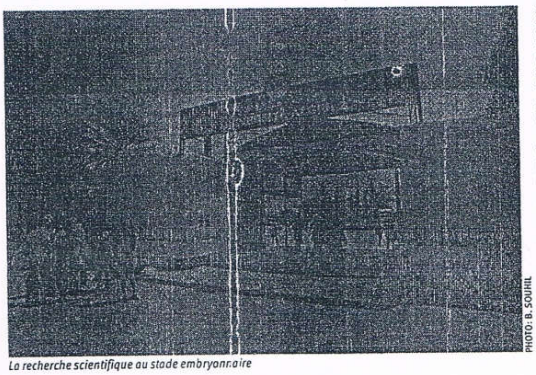

PHOTO: B. SOUHIL

La recherche scientifique au stade embryonnaire

thématique ou l'objet de recherche retenu. On peut citer des cas de projets, voire de laboratoires ou centres de recherche travaillant sur des questions éparses et dont le profil des membres se trouve fort éloigné de toute problématique en rapport avec lesdites questions. Dans ce cas de figure, comme dans d'autres, la présence dans ces structures de recherche est plus motivée par des raisons logistiques que par des préoccupations d'ordre épistémologique. Un complément de salaire sous forme de primes, un petit équipement à ramener au domicile pour les responsables, un stage, un billet d'avion pour l'étranger, ou une note à ajouter sur un C.V., pour un éventuel avancement dans le grade et la hiérarchie. Il faut tout de suite préciser que c'est moins l'attitude des personnes qui est blâmable ou «moralisable» que le fonctionnement institutionnel même de cette recherche, dite scientifique, dans ces moules rigides ou rigidifiés. On retrouve ainsi les mêmes thèmes de recherche depuis deux, voire trois décennies, sans le moindre résultat probant. Pire encore, certains de ces projets sont allègrement repris par les mêmes équipes, en incluant de nouveaux membres, choisis de préférence parmi les proches. Il existe même des projets d'établissement, arrivés à échéance, reconduits sous forme de Programmes nationaux de recherche. Pourtant, on ne peut pas dire que les pouvoirs publics ont lésiné sur les moyens. Début 2010, l'Etat algérien alloue au ministère de l'Enseignement supérieur et de la Recherche scientifique un budget de 250 milliards de dinars, à l'indicatif du programme quinquennal 2010-2014, pour le développement de la recherche scientifique et qui voit le lancement des Projets nationaux de la recherche. Des cérémonies protocolaires ont ainsi été organisées pour la signature desdits contrats de recherche, à Alger, Constantine et Oran, en juin 2011. Plus de cinq milliards de dinars ont donc été débloqués et l'appel d'offres pour les PNR au nombre de 34. Cette opération a mobilisé plus de 18 000 chercheurs à travers près de 3998 soumissions de projets examinées par 15 organismes pilotes, qui ont eu à évaluer la «recevabilité» de ces propositions de projets de recherche. Moins d'une année après la signature de ces contrats, le directeur général de la recherche scientifique et du développement technologique concède publiquement : *«Sur 6085 projets de recherche scientifique à l'échelle des universités, très peu sont des valeurs ajoutées ; pour les autres, l'objectif principal de leur propriétaire est l'acquisition d'une titularité»*, a-t-il déclaré lors de son intervention dans le cadre de la première université d'été, organisée par le Syndicat autonome des chercheurs permanents. Observation reitérée à l'occasion des dernières Assises nationales des sciences sociales, tenues à Oran en février 2012. Ainsi, à l'opposé de l'homosociologicus et l'homostratégicus de Raymond Boudon, l'homostratégicus de Michel Crozier et l'homoacadémicus de Pierre Bourdieu, l'université algérienne peut se flatter d'avoir engendré la figure de l'homologisticus. Tout en estimant que cette situation a une répercussion *«négative»* et *«directe»* sur les vrais chercheurs, le DG de la recherche scientifique a déploré un autre problème qui entrave l'épanouissement de la recherche en Algérie. Il s'agit, a-t-il dit, *«du déficit de chercheurs parmi les enseignants universitaires»*. Il a, dans ce sens, précisé que *«sur les 35 000 enseignants universitaires, 18 000 seulement sont des chercheurs»*, d'où l'importance, a-t-il noté, de créer *«un système qui permette l'émergence de la compétence»*. Quels sont les modes et les moyens mis en place pour favoriser l'émergence de ce système ? Dans cette situation plus que préoccupante, il faut se demander alors ce qui relève de la crise de l'institution universitaire en général, de l'anomie du procès de production de connaissances, du statut étriqué du savoir, mais plus encore de l'absence du procès d'émergence de l'intellectuel collectif dans la société algérienne. Et, surtout, se demander pourquoi l'université algérienne ne participe-t-elle pas à l'émergence de cet intellectuel collectif ni même à celle d'une simple intelligentsia critique se sustentant régulièrement d'une recherche de la dissonance ? Mais que les choses soient claires : il est bien entendu qu'il existe des universitaires qui remplissent des fonctions intellectuelles tout en exerçant dignement leur métier d'enseignants. Il existe d'authentiques chercheurs vivant et travaillant en Algérie, aussi bien dans les disciplines sociales qu'expérimentales. Comme il existe ceux, plus nombreux, qui finissent par se plier à cette mascarade de la course effrénée au remplissage des canevas, des formulaires et des rapports épisodiques, au détriment de la recherche, voire de la réflexion tout simplement. Et la première des réflexions devrait être la dimension de cognition qui sous-tend ou soulève explicitement une question majeure : comment contenir les travers de l'institutionnalisation de la recherche scientifique, et partant de la bureaucratisation des procès de production et de reproduction de la connaissance ? Nous nous trouvons, de ce fait, face à une triple relation d'absence :

a- l'absence de distance critique par rapport aux paradigmes dominants, toutes disciplines confondues ;

b- l'absence d'exigence de pertinence scientifique par rapport aux conditions de construction de la connaissance ;

c- et, enfin, l'absence déontologique sous forme de déficit éthique drastique dans un grand nombre de structures de recherche.

Ce triple rapport d'absence a contribué et contribue encore à la reproduction élargie d'une université fondée sur le souci de sa propre pérennisation dans sa fonction fondamentale de formation diplômante. Dans ces conditions, trois types de questions, à la fois distinctes et relativement complémentaires, deviennent incontournables.

1- Tout d'abord, l'institution universitaire est un lieu où s'élabore et se transmet un savoir le plus affranchi possible de la tutelle du «savoir» officiel. Cette première dimension s'appelle «l'affranchissement par l'autonomisation». De toute évidence, ce processus ne semble pas être à son entame. Est-il à l'ordre du jour au sein de l'université algérienne ?

2- Les savoirs spécifiques élaborés et enseignés dans la majorité des universités dans le monde le sont dans le dessein de parvenir à une certaine unité contradictoire du savoir. Université s'articule, dans cette vision, à universalité. Quels sont les efforts, les volontés, voire les dispositions pratiques prodigués en Algérie pour s'inscrire ou s'articuler à cette universalité ? Qu'est-ce qui est réellement entrepris pour objectiver l'universalité algérienne, en dehors du recours à cette notion générique de savoir universel, ou prétendant à l'universalité, comme un haut drapeau claquant dans le vide, pour reprendre le mot de Louis Althusser ?

3- Enfin, et parce que cela lui est historiquement consubstantiel, l'institution universitaire ne peut pas être dissociée de l'idéal d'humanité. Elle ne saurait se réduire à sa seule mission d'utilité, voire d'utilitarisme, fonctionnant comme un distributeur automatique de tickets homologués, à présenter à l'entrée, fort improbable du reste, du premier emploi venu. La question qui se pose, non sans urgence aujourd'hui, est donc de savoir si l'université algérienne, et notamment la recherche scientifique qui y est menée, est apte à une aspiration anti-utilitariste ?

Dans la conception de la direction de la recherche scientifique, la réponse est négative, puisque son mot d'ordre, qui trône invariablement sur toutes les activités, est «pour recherche utile» : *«Plus qu'un vœu, c'est une nécessité, voire une obligation. La recherche scientifique en Algérie doit impérativement engendrer des retombées immédiates avec des impacts tangibles sur les secteurs socio-économiques.»*

En prenant connaissance de cet «impératif», on ne peut s'empêcher de penser au mouvement anti-utilitariste dans les sciences sociales notamment, «ie Mauss» qui évoque le nom d'un des pères fondateurs de l'anthropologie, Marcel Mauss. Un courant qui considère que l'axiomatique de l'intérêt constitue le véritable soubassement théorique de la recherche scientifique utilitariste. Qu'il s'agisse d'individus, d'institutions ou de l'Etat, tous n'agissent qu'en fonction de l'intérêt qu'ils attribuent à l'action anticipée, programmée ou recherchée. D'où, d'ailleurs, la nature et la vocation de la «Recherche-action» inscrite dans la totalité des cahiers des charges des structures de recherche en Algérie. Le problème, c'est que nous nous trouvons souvent dans la situation où il n'y a ni recherche active ni action réflexive. De là à envisager la déconstruction des paradigmes dominants, évoquée plus haut, autant chausser sans tarder les bottes de cent mille lieues. L'acte fondateur d'un savoir autonome, c'est-à-dire l'essence même de toute université et partant de toute recherche scientifique, est d'être davantage habité par la recherche de la compréhensibilité, au sens de Wittgenstein, plutôt que par la prédominance ou la suprématie de l'utilité. Un acte de création mû par la triple exigence, à la fois de la «réflexivité», de la «questionnativité» et de l'«imaginativité». Cette triple exigence est la seule garantie contre le triomphe durable et ravageur de l'insignifiance. Le seul gage pour le retour de la pertinence et la réhabilitation de l'intelligence.

R. S.

- **انشغال يحيلنا إلى البحث في :أي ذهنية بحثية لأي بحث جامعي؟**
- **عن جريدة الوطن (بالفرنسية) ،ت:2013-02-09.**

ماذا يجري في جامعات الجزائر

بقلم: د/ عبد العالي رزاقي

- ألا يمكن اعتبار هذا الطرح مستوحى من سؤالنا :أي طالب لأي جامعة؟ وأي كفاءة لأي مجتمع؟
- عن جريدة الشروق ،ت:06-02-2015 ،ع:4640.

وزارة التعليم العالي تعيد النظر في قانون البحث العلمي

فتح مخابر على مستوى المؤسسات الاقتصادية

● قررت وزارة التعليم العالي مراجعة القانون الخاص بالبحث العلمي، حيث أعدت مشروعا جديدا لم يتضمن، حسب مصدر مسؤول من الوصاية، أية إجراءات من شأنها ترقية البحث العلمي والتطوير التكنولوجي، بقدر ما تجاهل مقترحات كانت محل مطالبة من قبل الباحثين والأكاديميين. وأكثر من ذلك، فإن المصالح المختصة لم تقدم لحد اليوم تقييما شاملا للبحوث التي أجريت في إطار لجنة التقييم التي نص عليها قانون 2008 "حيث لازال قرار تنصيبها مجرد حبر على ورق.."، ما يفسر تجاهل أصحاب المشروع الجديد تحديد أولويات البحوث وعدم إقحام المجلس الوطني للبحث العلمي في وضعها.

تضمن المشروع التمهيدي للقانون التوجيهي الجديد والبرنامج الخماسي للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي 2014-2018، مقترحات جديدة تتعلق أساسا بفتح أقسام بحث على مستوى المؤسسات الاقتصادية والصناعية، بهدف إشراكها في عمليات إجراء البحوث، وتقريب الطالب الباحث من مسيريها للاستفادة من فرص التكوين، وبالتالي التوظيف مباشرة دون أي وسيط.

وتعتبر هذه الخطوة، حسب المصادر التي تحدثت لـ"الخبر"، إيجابية من حيث المبدأ، لكن يبقى التساؤل حول الآليات التي يجب اتباعها من أجل تحقيق هذا الهدف، بحيث سيكون مصير هذه التجربة، تضيف مصادرنا، مثل التجارب الأخرى، ما لم يتم التدقيق في كيفيات إنجاز البحث العلمي على مستوى المؤسسة الاقتصادية وكيفيات استعمال النتائج المنتظرة لخلق ديناميكية جديدة للاقتصاد الوطني وتطويره.

وعابت مصادرنا عدم استشارة المجلس الوطني للبحث العلمي والتقني في صياغة الأولويات المنتظرة من المشروع الجديد، حيث كان من المفروض أن يجتمع أعضاؤه لإجراء عمل استشرافي إحصائي، يتم على أساسه تحديد مشاريع البحوث التي يجب التركيز عليها خلال السنوات المقبلة، من جهة أخرى، اكتفى أصحاب المشروع بإشراك ما يسمى الوكالات المواضيعية واللجان ما بين القطاعات لإعداد البرامج الكبرى للبحث العلمي، وتقديمه على شكل أهداف وبرامج في نص المشروع التمهيدي، وهو ما يتنافى مع مراحل إعداد مثل هذه المشاريع، حيث سيتم استهلاك اعتمادات مالية دون الوصول إلى نتائج ميدانية.

للتذكير، فإن القانون التوجيهي والبرنامج الخماسي حول البحث العلمي والتطوير التكنولوجي رقم 08-05 لـ 23 فيفري 2008 نص على ثلاثين هدفا في مادته الثالثة من أجل تحقيق التنمية الثقافية والعلمية والتكنولوجية للبلاد. ومن أجل تحقيق تلك الأهداف، نصت المادة 10 من هذا القانون على تحديد 34 برنامجا وطنيا للبحث متعلقة بالفترة 2008-2012.

غير أن المصالح المختصة على مستوى وزارة التعليم العالي، تقول مصادر "الخبر"، لم تقدم لحد الآن تقييما شاملا لمدى تطبيق هذه الأهداف على أرض الواقع، وما الذي حققته في مختلف المجالات، كما أنه لم يتم لغاية اليوم تحديد الخدمات التي استفادت منها المؤسسات الاقتصادية العمومية والخاصة في إطار توفير مناصب شغل جديدة ودائمة. ويتساءل محدثونا: "هل أضافت هذه البرامج الوطنية قيمة مضافة في مجال الابتكار..؟" لقد تم توزيع هذه البرامج على فرق البحث كما وزعت التعويضات المالية على أصحابها دون المطالبة بإجبارية النتائج، ودون القيام برصد حوصلة نتائج التحويل التكنولوجي الذي كان من المفترض الحصول عليه من أجل الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية".

للعلم، فإن القانون 98-11 المؤرخ في 22 أوت 1998 أعطى المجال لفتح مخابر بحث على مستوى مؤسسات التعليم العالي، لكن رغم الأموال التي صرفتها هذه الهياكل في إطار ميزانية التسيير والتجهيز، يبقى البحث العلمي دون المستوى المنشود، تقول مصادرنا، فمحاور البحث المختلفة لهذه المخابر لم تساهم في تحقيق التنمية المنتظرة ونشاط هذه الهياكل لم يفتح الجامعة على محيطها الاقتصادي والاجتماعي، "حيث يلاحظ أن أغلب مشاريعها تبقى مرتبطة ببرامج بحث لمخابر أجنبية خاصة منها الفرنسية لأسباب تعاونية مشتركة أو لعلاقات رجال البحث الجزائريين بزملائهم الأجانب". وتساءلت مصادر "الخبر" عن مصير اللجنة الوطنية للتقييم التي نص عليها القانون التوجيهي 06/08 المؤرخ في 23 فيفري 2008، في مادته 43 مكرر، ما يفسر بقاء كل نتائج البحث مجرد حبر على ورق، حيث تحولت إلى مقالات علمية يستعملها الباحثون في الترقية من رتبة إلى أخرى أو لمناقشة الدكتوراه لا غير.

الجزائر، خيرة لعروسي

- **انعكاس اندفاعية حرق المراحل في الجزائر :أين هي إنتاجات الطالب في المخابر الجامعية قبل المؤسسة الاقتصادية؟**
- **جريدة الخبر ،ت:23-06-2014 ،ع:7472.**

3- المثقف والمجتمع في الجزائر.

أحمد دلباني لـ "الخبر"

"المثقف عليه أن يتخلى عن النرجسية القديمة"

تساءل أحمد دلباني، في سياق حديثه عن "مشروع راهن للمثقف اليوم"، قائلا: "أين المثقفُ الجزائري؟ أين المثقفُ الذي يتحمّل مسؤولية الجهر بالحقيقة العارية من ثقل الحضور المؤسسي، بدلا من الهرولة وراء الامتيازات، أو الانكماش داخل أسوار الجامعة، أو السعي المحمُوم وراء التكريم الأدبي. وقال دلباني، وهو أستاذ الفلسفة بجامعة بسكرة، في حوار مع "الخبر": إنّ جبهة حضور المثقف النقدي في بلادنا، يجبُ أن تتمحور حول نقد الشرعيات المُختلفة، التي يتلفعُ بها الواقع الشامل بكل أوجُهه. معتبرا أن المثقف الذي عاش ما أسماه "السبات الإيديولوجي" قد مات، وانتهى، داعيا إلى نخبة جديدة تتخلى عن نرجسيتها القديمة وتفكر في الوعي.

أحمد دلباني

أي مشروع راهن للمثقف اليوم في خضم التحولات الحاصلة؟

أعتقدُ أنه سيكون من الصعب الحديثُ، اليوم، عن "مشروع راهن للمُثقف" بالمعنى الذي كان مُتداولا قبل عشريات خلت، عندما كان هذا الوجهُ يملأ الدنيا صخبا، ويعتقدُ أنه يقبضُ بقوة الوعي على خيوط اليوتوبيا، التي ترسمُ ملامحَ مُقبل الأيام، في صورة مشاريع خلاصية. اتّضح، فيما بعد، أنها لم تكن إلا مُعتقلا للمعنى، وتشرنقا أمام جلبة التاريخ وتأسيسا للشمولية. سيكون، بمعنى آخر، من الصعب الحديثُ عن "مركزية المثقف" في استشراف المستقبل وقيادة الحراك التاريخي انطلاقا من مُسبّقاته الإيديولوجية والهواجس الأخلاقية والسياسية المعروفة التي ألهمت وجوها كبيرة تمتد من لحظة فولتير إلى إدوارد سعيد، مرُورًا بـ"رزولا" و"سارتر" و"برتراند راسل". فربما أصبحَ بالإمكان الحديثُ - بدلا من ذلك - عن "موت المثقف" الذي عاش "السُّبات الإيديولوجي" وظل يعاني من التشرنق داخل المنظومات الفكرية الجاهزة.

وكيف يمكن تحديد وظائف المثقف الراهنة؟

●لعلنا نجدُ في التمييز الذي أقامه علي حرب بين المُثقف / المُبشر والمُثقف النقدي، دليلا هاديا إلى معرفة وظائف المثقف الرّاهنة.

لقد ظل المثقف الشمولي التقليدي أسيرًا للمذهبية، يُجابه "الممنوع" الظاهر، ويجهرُ بثورته ضدَّ التابو الرّاسخ، بفعل سطوة المُؤسّسة التاريخية. لقد كان، بمعنى ما، داعية للتحرر والتنوير والانعتاق، انطلاقا من مرجعية تستلهمُ المدوَّنات المعرفية/ الإيديولوجية الجاهزة في صورتيها القومية والاشتراكية بالأخص. وبما أن "كل مذهبية تُحيلُ على الجلادين" - كما يقولُ أدونيس - فقد كان هذا المثقف حالما بخلاص، يقومُ على طمس المُختلف، وتكريس الأحادية الفكرية والسياسية كما نعلم. من هنا تولدت الحاجة الرّاهنة إلى النقد الجذري لكل منظومات الفكر المغلقة، وبخاصة بعد انتكاس مشاريعنا النهضوية والتنموية والوحدوية، وبدأ الحديثُ عن حاجتنا الملحة إلى "سفر خروج" جديد، نهجرُ بوساطته البنية المرجعية للفكر، إلى أرض موعودةٍ جديدة مُقاومة "المُمتنع" الخفيّ في الفكر، الذي ظل يُنتجُ "غولاغ"، يعتقلُ المعنى ويشل قدرتنا على إنتاج مُراسلاتٍ فعالة مع الواقع المُتغير. هذا ما غيَّر من طبيعة حضور المثقف اليوم مُجدِّدًا وظيفته التي أصبحت تأنُّف، شيئا فشيئا، من النبرة النبوية والغائية الإيديولوجية، لتعكف على نقد علاقتنا بالمعرفة، وفضح مُضمَرات الخطاب والوعي. يذكرني هذا، هنا، بملاحظة ميشال فوكو البصيرة وهو يقول: "إن النبيَّ العبراني والحكيم اليوناني والمُشرِّع الروماني، ما زالوا يسكنون المثقفين الشموليين". من هنا نعتقدُ أنه على المُثقف أن يتخلى عن النرجسيَّة القديمة، ليحتل لهُ موقعا، يرصدُ من خلاله التحولات الجارية، بصورة نقدية تُنبِّه إلى انحرافات السلطة، وهي تجعلُ المعنى جارية في سراي القوة. النقد مكان اليوتوبيا: هذه وظيفة المُثقف الجديدة. فأين المُثقفُ الجزائري من هذا؟ أين المثقفُ الذي يتحمّل مسؤولية الجهر بالحقيقة العارية من ثقل الحضور المُؤسسي بدلا من الهرولة وراء الامتيازات أو الانكماش داخل أسوار الجامعة أو السعي المحمُوم وراء التكريم الأدبي.

أين المُثقف الذي يُسهم في عتق المعنى من قمقم القراءات الرسمية؟ أين المُثقف الذي يلتصقُ بلحظته بمعزل عن ادّعاء معرفة مصبّ نهر التاريخ بشكل دوغماتي؟

●يبدو لي، شخصيا، أنّ جبهة حضور المُثقف النقدي في بلادنا، يجبُ أن تتمحور حول نقد الشرعيات المُختلفة، التي يتلفعُ بها الواقع الشامل بكل أوجُهه. وهي شرعياتٌ تاريخية وسياسية وثقافية ورمزية، ينهلُ منها التسلط غير الديمقراطي، على مصائر الشعب المُغيَّب عن صنع تاريخه، والتعبير الحر عن هويَّته. على المُثقف أن يُوسِّعَ من مجال المرئيِّ، وأن يُقلِّص من هامش المسكوت عنه، بعيدًا عن تمويه الخطابات الديماغوجية، التي تحجبُ حقيقة الصِّراع على المعنى المشروع للكينونة التاريخيَّة، كما عليه أن يجتهدَ في فضح كل نزوع شموليّ، لا يكشفُ إلا عن رغبة الهيمنة.

- **عندما تعوض الثرثرة المشروع الفكري ..**
- **جريدة الخبر ،ت:17-03-2015 ،ع:7734.**

محمد بن زيان

المثقف لم يعد ينتج المعنى

● بخصوص المثقف ومسألة الدور وسؤال المعنى في مواجهة واقعنا نجد أنفسنا نقول ما سبق للمرحوم بختي بن عودة كما نعته قائلا: "قد نقول ما مضى أن تكون مثقفا وسط الجحيم التالي: (الفوضى) قوى الماضي، الغموض الأفق، الصراخ الانتحاري القتل، الانكسار الخصوصي، الخ) وما معنى أن يظل المعنى هو منتهى غاياتنا ما دام المثقف هو الباحث عن المعنى والمنتج له. أسئلة أمام الإشكال أخر لا ننوه فيه على أنها جديدة لنستعيده كيف نسمي وكيف يكون الفكر حاضرا في صميم التسمية؟"

هو السؤال الذي يستمر مطروحا، سؤال عن المثقف وعن النخبة، وفي كل فترة تطرح مفاهيما ومصطلحات وأطروحات مرتبطة بالسياق وما يكتنفه من ملابسات، في مطلع ثمانينات القرن الماضي، ومع بداية تشكل إرهاصات ما سيعرفه العالم من تحولات صاحبتها انهيارات والانكدارات، ثم انبثقت محاولات إعادة التبلور والصياغة للمشاريع طرح السؤال جزافا عبر المنابر الصحفية، وكان الطرح مقترنا مع أحداث كانهيار الشيوعية، ووضع تساؤل لأحدى دورات اللجنة المركزية للحزب الواحد لملف السياسة الثقافية.

وكل ما طرح وما جرى كان بالتعبير المسرحي، بمثابة "بروفة" لما سينبثق من رحم الجحيم الذي دخلته البلاد، ولاقترن ذلك أيضا بمتغيرات عالمية، تداعيات بوتيرة متسارعة مثلما تمخضت عنها حرب الخليج الثانية، فقد شهدت الأحداث والتفاعلات المتلاحقة ازدواجية الكثير من المثقفين حين يتعلق الأمر بحرية من يختلفون معهم في الرأي أو المرجعية الإيديولوجية.

المضجر وبلا أي قيمة أن نعود مرة أخرى إلى تلك المناقشات التي دارت في فرنسا حول هذا السؤال ما هو المثقف؟ طرح السؤال يعني حسب أركون: "العودة إلى دراسة تطور مجريات تراث فكري ما وطريقة عمله، ضمن سياقاته تاريخية واجتماعية محددة تماما وخاصة به دون غيره. وبالتالي حدث من تشكل لما يسميه السلطة الدوغمائي المغلق، وهو ما جعل مهمة المثقف المسلم تختزل كما يذكر: "إلى مجرد التعرف على الشيء، لا المعرفة الحقيقية به".

وصلنا مرحلة مرعبة الشاكن وخطاب الخاطر واستعباد تدور العقل، الذي يمد الفعل به يشله ويحوله تغييبا حقيقيا لمؤسسا التحول الذي يتضمن حتما القطيعة والاستمرارية، فطبيعة الذي ساد حتى أياد، واستمرار رأسملة ما تراكم. المثقف الذي نصاب بالتفكك والضعف، يصبح من الشتائم التنديد بالنخب، أي بالأنتلجنسيا، خالقة الروحية ذلك المحرك الانتفاضات الذي يدفع بالأمم إلى الأمام، تشكل من تلك الطبقة التي نسمي بالأنتلجنسيا، وتضم هذه الطبقة (الرقيقة) والناعمة والراقية، جميع العناصر التي تعمل في حقول وفضاءات المعرفة المتعددة والمتنوعة، فهي الحاملة والحاضنة للتغيرات والمعاني والمفاهيم والقيم الجديدة... والناطق باسم الضمير المستتر للأمة".

وتناول المسألة في سياقنا، يجعل كما قال أركون: "من الاجتماعيين الآخرين، لأنه الوحيد الذي يفهم بمسألة المعنى".

محمد بن زيان

اسماعيل مهنانة يرى بأن مفهوم المثقف تعرض للنسيان

كلمة مثقف أصبحت تحيل إلى "وضعية"

● يرى الدكتور اسماعيل مهنانة، أستاذ الفلسفة المعاصرة بجامعة قسنطينة، أن مفهوم المثقف تعرض للنسيان في الشرق العربي، وقال: "أقصد أن كلمة مثقف صارت تحيل إلى "وضعية" وسلبية اجتماعية وسياسية منشودة بكل الوسائل أكثر مما يجتهد بها أن تكون تشخيصا لحالة وعي بالتراهات الحقيقية للتغيير والتحديات التي يفرضها مقتضى الإقامة في العصر".

ويعتقد صاحب كتاب "العرب ومسألة الاختلاف"، أنه في كل العصور والحضارات، يمكن التقاط هو ذلك الجارب، الذي يفتك العدالة افتكاكا، ويتمثل الحكمة التاريخية من المقولة: "لا تجعل الماضي في عالم أقل مما يقال عنه إنه عالم معادي للجديد، وأضاف: "لكن المثقف الجزائري انكمش بعد الاستقلال مباشرة انتكاسة فادحة، سواء كان من هؤلاء الذين انسياقوا في جوقة تعبئة الدفع القائم ومباركة النظام السياسي، وقد تحولوا إلى "مثقفي الداخل" مقابل طائفة مغضوب عليها من مثقفي المنفى، أو ممن اختار المنفى، على الأصح إن خط الحظيرة السياسية الذي فرضه النظام بالتوط والجزرة، كان ذلك يشبه القدر بالنسبة للجيل الأول".

في نهاية الثمانينيات من القرن العشرين، تبلور، حسب مهنانة، الجيل الثاني الذي سيحمل مشعل الأمل في التغيير والتعددية، والتي انفجرت أحداث أكتوبر 1988، لولا أن طائفة العشيرة السوداء ذاهمته، وأفقت على كل الأحلام

استاذ مهنانة

- عندما تعوّض الثرثرة المشروع الفكري..
- جريدة الخبر ،ت: 2015-03-17 ،ع: 7734.

مستقبل المجتمع الجزائري بين المثقف التنويري والمثقف السياسي

د. رابح لونيسي

- في سبق أن طرح العديد من الباحثين المسألة، ومنهم مثلا جوليان بندا وجون كاري وغرامشي وإدوارد سعيد وشريفتي وغيرهم ويرى بعضهم أن المثقف يجب أن يقف إلى جانب المجتمع في مواجهة السلطة، وهو الذي لا يمارضه أي كان، لكن مصطفى لشرف لأنه أراد إصلاح المدرسة التي وقفت في يد تيارات أيديولوجية نمت بدل أن تقول السلطة بالإطلاق يستحسن التحول بوقوف المثقف ضد الاستبداد، وتبني انتشار الأفكار التنويرية وعرقلة بناء والاستغلال والظلم، فالمفروض أن يكون المثقف ضمير المجتمع والمدافع عنه لكن ماذا سيفعل هذا المثقف إذا لاحظ بأن جزءا كبيرا من هذا المجتمع قد انتشرت في صفوفه أفكار ممتة يستفيد المستبد والاستغلالي الحفاظ على مصالحهما نتيجة انعدام الروح النقدية بسبب آلة أيديولوجية تسيطر عليها هذه السلطة، فهل سيساير المثقف عواطف المجتمع كي يرضى عنه أم يصارخه ويصدمه بالحقيقة؟ فمن السهل جدا ممارسة الأبوية أو إرضاء السلطة، لكن لا يفعل هذا إلا دور الأطماع الشخصية، وهو ما نطلق عليه صفة "المثقف السياسوي"، لكن المثقف يجب أن ينأى بنفسه عن ذلك، وينبه ويواجه الأفكار الممتة في مجتمعه مهما كان الثمن، فلولا المواقف البطولية والنقدية الشجاعة للمثقف التنويري في أوروبا لما عرفت هذه الأخيرة التقدم والتحرر رغم معاناة هؤلاء المثقفين من السلطة والمجتمع الذي سيطرت عليه الأفكار الكنسية الظلامية. أجبرنا التاريخ كيف كفّر وخوّن مثقفون

لاضداد الذي تعيشه مجتمعاتنا الإسلامية، ومنها مجتمعنا الجزائري الذي يعرف استقالة بعض نخبه المثقفة من الوقوف إلى قضايا الأمة وهمومها إلى برجها العاجي إما خوفا من السلطة المجتمع على حد سواء، أو بعد تجربة إرهاب التسعينيات أو أسا من عدم إيصال صوتها، يلفتنا إلى إعادة طرح مسألة مام المثقف وقضية علاقته بالسلطة أو المجتمع.

رشد أحرقت كتبه تحت تكبيرات الجمهور بعد ما هربت بعضها إلى أوروبا لتساهم في نشوء عقلانيتها ونهضتها، وأحرق غاليلي لأنه قال بدوران الأرض تحت تهليل الجماهير التي وقفت تحت تغدير رجال دين الكنيسة، وصدقت تكفيرها له، وكفر محمد عبده الذي يعتبر اليوم رائدا للإصلاح الديني لأنه دعا إلى تجديد الخطاب الديني وإدخال العلوم الأوروبية الحديثة إلى مؤسسة الأزهر، وكفر قاسم أمين وأحرق بيته لأنه دعا المرأة لتلعب دورها في المجتمع كاملا دون أن تناقض مبادئ الإسلام السامية، وشوه المجاهد مصطفى لشرف لأنه أراد إصلاح المدرسة التي وقعت في يد تيارات أيديولوجية نمت وتغذى لتنفر الأفكار التنويرية وعرقلة بناء مواطن متسم بالحداثة وحاملا للحس النقدي. إن حركة التاريخ هي نتيجة معركة يقودها المثقفون التنويريون ضد ثلاث سلطات متحالفة، وهي الاستبداد والاستغلال وأيديولجيهما، ولن يكون للاستبداد والاستغلال أي نفوذ لولا امتلاكهما آلة أيديولوجية تتغذ في كل فترة من فترات التاريخ تسمية ممينة، ففي الماضي كانت المغابد وسدنتها، واليوم نجد المدرسة على رأسها، فالقائمون على هذه الآلة الأيديولوجية هم الذين يبررون الاستبداد والاستغلال باستغلال وتخدير الشعوب، فلا يمكن تحريك عجلة التاريخ إلى الأمام إلا بمواجهة مثقفة مع هذه الأطراف الثلاثة، ولهذا فالمثقف التنويري يصطدم مع السلطة، وفي الوقت نفسه مع المجتمع الذي خدرته بشكل غير مباشر الأدوات الأيديولوجية للسلطة والقائمين عليها، والذين هم أيضا يعتبرون أنفسهم مثقفين، لكنهم مثقفون سياسويون يتملقون السلطة أحيانا، ويخدرون المجتمع أحيانا أخرى بتبعيته عواطفه

عقول الكثير اليوم كما كان يتحكم فيها سدنة المعابد في الماضي، ويوجهونها ضد الأنبياء والمعابد في الماضي، فالمعركة من أجل حركة التاريخ إلى الأمام يجب أن تكون على صعيد أيديولوجي وثقافي وفكري وعلمي، بتفكيك وفضح الطروحات المخدرة والأفكار المميتة التي يروجها هؤلاء السدنة، سواء اليوم أو في الماضي.

ولو تتبعنا تاريخ الرسل والأنبياء نجد أن عملهم ينصب على ذلك، فإن كان أعداؤهم هم المستبدون والاستغلاليون كفرعون وقارون، إلا أن أخطر من يواجهونهم هم رجال الدين السائدون وسدنة المعابد والمعتقدات التي يروجونها، ولهذا يظهر لنا أنه صراع ديني بمفهومنا الحالي، لكنه في الحقيقة معركة على الصعيد الفكري والثقافي والعلمي، ويمتلك دائما هؤلاء السدنة لهما جاهزة ضد الأنبياء والرسل، كما هي جاهزة اليوم ضد المثقفين التنويريين النقديين، كالتكفير والتخوين وغيرها من التهم التي للأسف تنطلي على الكثير، لأنهم أخضعوا لسيطرة أيديولوجية من قبل، خاصة على يد المدرسة التي عادة ما يحولها المستبد إلى أداة لترويج أيديولوجية الخضوع وغرس عوائق معرفية في ذهن الإنسان عندما كان طفلا، ولهذا تجدهم يرفضون كل فكرة جديدة أو أي محاولة لإعادة النظر في الأفكار والطروحات السائدة بالاستناد على البحث العلمي، وهو ما يسميه أركون "السياج الدوغمائي". ويغيب عن الكثير أن من أهداف البحث العلمي مثلا ليس فقط البحث عن الحقيقة، بل النقد وإعادة النظر المستمر في النظريات العلمية وكل الطروحات السائدة في كل المجالات، وإن لم نقم بذلك فلن تتقدم العلوم، والأمر نفسه ينطبق على الأفكار والطروحات السائدة، فالكثير يرفضون ذلك لأن الآلة

التفكير، وجعلتهم لا يمتلكون روحا نقدية تسمح لهم بالتمييز، ما يتطلب تحرير عقولهم قبل كل شيء".

ولو نتتبع ممارسات الأيديولوجيين الذين يقفون في وجه أي محاولة لخلخلة الأفكار السائدة لتحريك عجلة التاريخ نجدهم يتصرفون مثل كل سدنة المعابد في الماضي الذين واجهوا الأنبياء والرسل، ويشبه حرصهم على بعض الأوضاع والأفكار السائدة حرص قريش نفسه وتصرفهم مع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، عندما رفضوا ما أوحي إليه من نور- من التنوير-، وردوا عليه بهذا ما ألفينا عليه آباءنا"، أي معناه اتباع ما وجدوه من وضع وأفكار دون أي إعادة نظر فيه أو إخضاعه للنقد والتمحيص والبحث العلمي، وهي إجابة كل الأقوام للأنبياء والرسل. ولو كان هؤلاء السدنة على حق، وأن تلك الأوضاع والأفكار التي يتبعونها صحيحة، فمعناه أن ما جاء به الأنبياء والرسل خاطئ، وإن تتبعنا منطقهم فمعناه الجمود والتخلف وتوقف حركة التاريخ نحو التقدم. فمن أبرز مهام المثقف النقدي التنويري خلخلة الأفكار المميتة السائدة في المجتمع التي تعرقله على التقدم والتفتح ودفع عجلة التاريخ إلى الأمام، وهو يشبه دور الباحث الأكاديمي الذي يشكك في كل الطروحات العلمية السائدة، ويعيد النظر فيها كي تتقدم حركة العلوم في كل المجالات، ومنها الدراسات الإجتماعية والتاريخية.

الفرق بين المثقف التنويري النقدي والمثقف السياسوي يشبه الفرق بين رجل الدولة الذي يحسم في القرارات المصيرية من أجل مصلحة الأمة والدولة، حتى ولو أغضبت العامة، على عكس رجل السلطة الذي يدغدغ عواطفها لأهداف سلطوية وعلى حساب مستقبل الدولة والأمة.

lounici rabah2008@yahoo.fr

- **إشكالية أدلجة المثقف ...إلى أين؟؟**
- **عن جريدة الخبر ،ت:2015-06-05 ،ع:7511.**

"علينا إعادة النظر في مكانة المثقف في المجتمع أولا"

• يعتقد الدكتور السعيد بوطاجين، أنه من المهم إعادة النظر في مفهوم المثقف في حد ذاته. هذه الإشكالية وجب ضبطها بدقة. أما المثقف العضوي فأمر آخر. ويرى أنه علينا أن نأخذ في الحسبان عدة اعتبارات من شأنها إضاءة السياق، ومنها وضع هذا المثقف الذي لا اعتبار له. فيقول "لقد سعت الأنظمة المتعاقبة إلى إذلاله والإعلاء من شأن السياسي والطرب ولاعب كرة القدم، مما تعكسه عدة علامات ووقائع". مضيفا أنه قد يكون للاعب وزن وتأثير في الرأي العام، إن لم يحل محل العالم والمفكر، أما المثقف فمنبوذ على كافة الأصعدة، من حيث إن الأموال والمناصب والعلاقات هي التي تفكر وتتنذ، أي أنها حسب الدكتور بوطاجين ظلت تمثل السلطة الفعلية في كل الأوقات. ويعتقد بوطاجين أن انسحاب المثقف وانحسار دوره ومواقفه له علاقة مركبة بالسلطة والمجتمع في الوقت ذاته، وبالتالي "علينا أن ندرس مرجعيات الجزائري، التي يمكن أن تكون كالتالي: أهمية الرأي والشهودة وكرة القدم والبرنسة. هذه هي القيم السائدة حاليا، ومن ثم يتعذر على المثقف فيما آل إليه فيقول "رغم ذلك لا يمكن تبرئة الموقف السلبي لهذا المثقف، مع الإشارة إلى أن المشكلة عالمية تقريبا. نحن نتذكر بعض الأسف أيام جان بول سارتر وألبير كامو وهابرماس وشانكر غراس وطاكور وغيرهم من الذين شكلوا دروعا حقيقية ضد أنواع الشر الذي تنتجه القوى الإمبريالية وصناع الحروب والفتن والمستفيدون منها. يثمن بالمقابل الناقد السعيد بوطاجين بعض المواقف "مع ذلك لا ننفي أبدا مواقف أصوات جزائرية، خاصة المبادرات الفردية، كما يمكن أن يعكس ذلك بعض ما ينشر". مصيرا من جهة أخرى مسألة تأثير هذه المواقف على الرأي العام "بيد أننا لا ننتظر أن يكون لهذه المواقف تأثير كبير بالنظر إلى أن أي لاعب أكثر قيمة من مئات المثقفين، وقد يكون خطابه، مهما كان مستواه، أكثر تأثيرا من آلاف الكتب والمقالات العبقرية التي تدافع عن قضايا إنسانية بكثير من الوعي والمسؤولية والحكمة. لكنها لا تؤخذ بعين الاعتبار، ولا تصل إلى أية جهة". ويخلص الدكتور السعيد بوطاجين إلى أن مواقف المثقفين ليست أموالا ومناصب وعقارات حتى تكون لها أهمية في المجتمع، ولعل ذلك ما يبرر هذا الانكماش الذي لا مفر منه. وينتهي إلى أن هذا الدور سيكون له حضوره بعد سنين، أي عندما تصبح الثقافة من أولويات الأمة، وإحدى ركائزها الفاعلية التي تنمي حاضرها ومستقبلها. أما الآن فيرى أنه علينا أن نكتفي بما هو قائم، ولا يمكن، في ظل الظروف الحالية، "أن نطلب من المثقف أن يقوم بدور سيارتاكوس أو عنترة. إنه يجتهد وفق مقدرته، وهو حاضر بما هو متوفر من إمكانيات".

الكاتب و الإعلامي علي رحايلية

"المثقف الجزائري..إما خائن..أو جبان"

• يحيلنا الكاتب والإعلامي علي رحايلية من خلال رأيه، إلى جانب آخر من الإشكالية وهي هل هناك مثقف حقيقي يهتم بقضايا الأمة الجوهرية؟ وأي نوع من المثقفين نتكلم عنه؟ وأي مواقف ننتظر؟ يشدد رحايلية، على أنه عندما نتحدث عن المثقف والثقافة، فإننا بالضرورة سنتحدث عن "المعرفة والوعي والحكمة، عن الفكر والفكرة والفكر، نتحدث عن التحليل والنقد والتغيير، عن المبادئ والمواقف والنضال، نتحدث عن الحرية والقضية والتضحية، عن الصراع من أجل الدفاع عن حقوق الأغلبية المسحوقة ضد طغيان الأقلية المافيوية الجرمية. لكن يستدرك "عندما ننظر إلى حال وعلى لا أحد من تتوفر فيهم "صفات" و"شروط" ولا حتى "علامات" من يمكن أن تنطبق عليه صفة "مثقف" مطلقا" والغريب أن كل من يتصدى لهذه الوصفات في المثقف؟!". ويشير الكاتب إلى أن الأسماء التي تقبع في الجزائر بصفة "المثقف" ما هي في الواقع إلا مجموعة من "أصحاب الشهادات" أي مجموعة من "المتعلمين"، دكاترة وبروفيسورات وأساتذة وخبراء و... "لا علاقة لهم لا بالثقافة، ولا بالوعي، ولا بالحرية، ولا بالمبادئ، ولا بالمواقف، ولا بالنضال ولا بالمجتمع وقضاياه ولا بمصيره". مضيفا أن هؤلاء الذين يقدمهم الإعلام بصفة "المثقفين" مجرد "مقالين" و"مداحين" من مهنتهم حرفة "التسبيح بحمد حكامه" ومحترفي لعق "الأحذية المتسخة"، وأن هؤلاء حسبه يمكن أن يعملوا أي شيء مقابل المال والمنصب، هذه الفئة يقول المتحدث من "مثقفي" إعلام السلطة موجودة في كل مكان، موضحا أنه داخل هذه الفئة من "مثقفي السلطة" توجد فئة أكثر "نفاقا" وخطورة، وهي تلك الفئة التي تعيش وتتغذى من "نقد" السلطة، ولها علاقات بالسلطة والمسؤولين فيها، أفضل في كثير من الأحيان من فئة "الشياتين والطبالين". ويعتقد رحايلية أن خطورة هذه الفئة التي يسميها بـ"العميلة" تكمن في الدور المزدوج الذي تلعبه، خاصة في المجال السياسي والإعلامي ومجال حقوق الإنسان. وأخيرا يختم رحايلية بالقول أنه في مقابل هذه الفئة، أي فئة "الشياتين والطبالة" توجد فئة "الجبناء"، لأن من يسميه "المثقف الجزائري" هو إما "خائن" أو "جبان"، وهو جبان لأنه "لا يفصح عن رأيه وموقفه، وإن أفصح عنه فإنه لا يدافع عنه، بمعنى آخر أنه ليس مستعدا للتضحية من أجل مواقفه ومبادئه". ويخلص علي رحايلية إلى أنه "لا ننتظر أي شيء من هذا الذي يسميه "المثقف الجزائري"، متسائلا "ماذا يمكننا أن نأمل ونستنتظر من شخص "جالس في حجر السلطة" وآخر مرعوب منها.. في الجزائر لا صوت يعلو على صوت "فخامته"!!"

الدكتور عبد العالي رزاقي

"المثقفون الجزائريون يفتقدون لفضاء يجمعهم ومنبر يمثلهم"

• أولا.. تراجع المثقف الجزائري عن دوره منذ أكثر من 15 سنة، لأن السلطة في الجزائر أصبحت هي المثقف. فأول لقاء للرئيس بوتفليقة كان عن طريق الشبابطين سنة 1999، وأصبح بعدها المثقف جزء من السلطة، ولاحظنا أن الكثير من وزراء الثقافة ومنهم من كان مثقفا أصبح مدافعا عن السلطة بينما تراجع دوره كمثقف. ويشير رزاقي إلى أنه من أسباب تراجع دور المثقف هو وصاية السلطة على الجمعيات والنوادي الثقافية والفكرية التي أصبحت مؤسسات تابعة للسلطة، كاتحاد الكتاب الذي أصدر أول بيان له يساند فيه الرئيس بوتفليقة. ويرى رزاقي أنه عندما يفقد المثقف مكانا واتحادا للالتقاء سيعاني من التشتت.. وذكر رزاقي هنا بمحاولات الجاحظية في هذا الإطار وسعي المرحوم الطاهر وطار لخلق فضاء يجمع المثقفين، حيث كانت لجمعية الجاحظية عديد المواقف وأصدرت عديد البيانات حول أهم القضايا الوطنية والعربية، لكن للأسف يضيف "بعد رحيل الطاهر وطار تراجع أيضا دورها".

يرى رزاقي أن المثقف يبرز من خلال وزارة الثقافة، لكن للأسف

هذه الأخيرة منذ وقت طويل أصبحت لا علاقة لها بالثقافة، كما لا توجد مجلة تمثل المثقف الجزائري وتكون منبرا له لتقديم آرائه، فهناك نخبة محدودة على مستوى الجامعات من دكاترة وأساتذة جامعيين لكن يفتقدون لإطار يجمعهم.

ويخلص الدكتور عبد العالي رزاقي إلى أن دور المثقف تراجع كثيرا فيما يتعلق بالقضايا الجوهرية للأمة خاصة القضية الفلسطينية، التي انتزعها السياسيون، فمؤسسة القدس يرعاها ملك وقضية الشتات يرعاها ملك وملك ثالث يقود الوساطات، فالقضية الجوهرية سطا عليها الملوك والرؤساء وهمّش دور المثقف.. صحيح قد حاول كتّاب وشعراء فلسطين لسنوات عديدة جمع المثقفين العرب حول القضية الجوهرية خاصة منهم محمود درويش، لكن عندما رحل رحلت القضية، وهنا لا يتحدث رزاقي عن المثقف الكاتب والشاعر فقط، بل حتى الفنان والفنان التشكيلي والمسرحي وكل الفاعلين. مضيفا أنه اليوم لا يوجد مثقف أو فنان يقول إن إسرائيل دولة إرهابية، فمدم وجود منابر لا ينفي أن المثقف أيضا يتحمل مسؤولية كبيرة اتجاه القضايا الجوهرية للأمة..

- **السلطة في الجزائر أصبحت هي المثقف.**
- **ندوة الخبر ،ت:2014-08-03 ،ع:7511.**

الملخص:

تعيش الجامعة الجزائرية في الآونة الأخيرة ،أكبر الترددات الزلزالية التي شهدتها المنظمات المعرفية منذ نشأتها ،من بعدها المحلي إلى نطاقها الكوني ،حيث تباينت مضامينها التحليلية بين سوسيولوجية المعرفة وسيكولوجية العقل العلمي ،وبين أنثربولوجية المجتمع ومستقبلياته ،ومن هذا المستوى الفكري المتشعب في المعنى والسَياق ،جاءت دراستنا العلمية لتتناول إحدى أهم اشكالاتها ،والتي حددناها في :"الجامعة ومعضلة إنتاج الطالب المثقف" بعمل ميداني نوعي ،تجسَدت نقدياته التساؤلية في ما مضمونه :أي طالب جامعي لأي جامعة؟ وأي أكاديمي مثقف لأي مجتمع؟ ،بحكم أن ذروة التأزَم التي باتت تعطَل ماكينات الحراك المعرفي للحقل الجامعي في الجزائر ،لم يكن إلا نتاجا لغياب التثاقف بين الأستاذ والطالب بالأساس ،والذي تمظهرت باطولوجياته في هيمنة اليوتوبيات التقليدية ،واستملاك السلطويات العصبية ،وتبني الخطابات المتوارثة ،وهو ما وضع الجامعة الجزائرية أمام جدليات البين بين وظيفيا ،من عقدة فهم المجتمع الأهلي إلى مهمة بناء مجتمع المعرفة.

الكلمات المفتاحية :الطالب الجامعي ،الحقل الجامعي ،التثاقف ،المثقف.

الملخص :

تعيش الجامعة الجزائرية في الآونة الأخيرة ،أكبر الترددات الزلزالية التي شهدتها المنظمات المعرفية منذ نشأتها ،من بعدها المحلي إلى نطاقها الكوني ،حيث تباينت مضامينها التحليلية بين سوسيولوجية المعرفة وسيكولوجية العقل العلمي ،وبين أنثربولوجية المجتمع ومستقبلياته ،ومن هذا المستوى الفكري المتشعب في المعنى والسَياق ،جاءت دراستنا العلمية لتتناول إحدى أهم اشكالاتها ،والتي حددناها في :**"الجامعة ومعضلة إنتاج الطالب المثقف"** بعمل ميداني نوعي ،تجسَدت نقدياته التساؤلية في ما مضمونه :أي طالب جامعي لأي جامعة؟ وأي أكاديمي مثقف لأي مجتمع؟ ،بحكم أن ذروة التأزَم التي باتت تعطَل ماكينات الحراك المعرفي للحقل الجامعي في الجزائر ،لم يكن إلا نتاجا لغياب التثاقف بين الأستاذ والطالب بالأساس ،والذي تمظهرت باطولوجياته في هيمنة اليوتوبيات التقليدية ،واستملاك السلطويات العصبية ،وتبني الخطابات المتوارثة ،وهو ما وضع الجامعة الجزائرية أمام جدليات البين بين وظيفيا ،من عقدة فهم المجتمع الأهلي إلى مهمة بناء مجتمع المعرفة.

الكلمات المفتاحية : الطالب الجامعي ،الحقل الجامعي ،التثاقف ،المثقف.

Le résumé :

L'université algérienne vit, durant ces dernières années, une de ses plus grandes mutations depuis sa création. Dans ce contexte, notre recherche scientifique, qui se fonde sur une enquête de terrain de type qualitatif, aborde un des aspects les plus révélateurs de la problématique de la reproduction de l'élite universitaire algérienne : **« l'université et la question de la production de l'étudiant cultivé ».** Nous sommes partis des questionnements suivants : Quel étudiant pour quelle université ? Quel intellectuel pour quelle société ? Cette situation est due à la gravité de la crise de l'instance cognitive universitaire algérienne; cette crise s'explique elle-même par l'absence de transmission de savoirs entre l'enseignant et l'étudiant. Ceci place l'université algérienne au milieu du gué: d'une part difficulté de connaître la société algérienne et, d'autre part, difficulté de contribuer à la formation de la société de la connaissance.

Mots clefs : l'étudiant universitaire, le champ de la connaissance, l'acculturation, l'intellectuel.

Abstract:

The Algerian university lives, in recent years, one of its biggest changes since its inception. In this context, our scientific research, based on a qualitative field survey, addresses one of the most revealing aspects of the problem of reproduction of the Algerian elite university, **"fr nUniversity and the production dilemma of the intellectual student"** We left the following questions: What student for What university? What intellectual for what society? This is due to the seriousness of the crisis of the Algerian university cognitive proceeding; the crisis itself can be explained by the lack of transmission of knowledge between teacher and student. This places the Algerian university in midstream: firstly difficulty of knowing Algerian society and, secondly, difficulty contribute to the formation of the knowledge society.

Key words: university student, the field of knowledge, acculturation, intellectual.